





مركز أبحاث ودراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

رحلة إلى عرب أهوار العراق



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

رحلة إلى عرب أهوار العراق ١٩٥١ - ١٩٥٨ م



ترجمة
د. خالد حسن الياس

الدار العربية للموسوعات

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م - ١٤٢٦ هـ



مركز أبحاث وتطوير

الدار العربية للموسوعات

الهاتف: ٥١١، ٩٥٢٥٩٤ / ٠٠٩٦١٥ - الفاكس: ٤٥٩٩٨٢ / ٠٠٩٦١٥

هاتف نطال: ٣٨٨٣٦٣ / ٠٠٩٦١٣، ٥٢٥٠٦٦ / ٠٠٩٦١٣، بيروت - لبنان

البريد الإلكتروني: www.arabenchouse.com

البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com



مؤسسها ومديرها العام: خالد الغاني

كلمة الناشر

حبا لله بلاد الشرق مآظر خلابة، ومناحاً لطيفاً، حيث تسلط الشمس عليها أشعتها الذهبية صيفاً وشتاءً. وأنعم على بلاد الرافدين بسحر الطبيعة فيها جبال شاهقة، نكسوها أشجار بأشعة خضراء، نسر الناظرين، وتعطي ثماراً يانعاً من كل نوع وجسر. ونكسوها حالها شتاءً حلة بيضاء من الثلوج وسهولها خضراء، صالحة للزراعة، ووديانها مجوفة تجري فيها الأنهار، وصحاريها مسبحة، يحترقها نهر العاصي موازيان من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. ولها روافد كثيرة تجري في أودية واسعة، عتبه في محاصيلها، حلقة في مناظرها

نتشر فيها آثار تاريخية، تحكي قصتها للأجيال القادمة بأنها كانت في يوم من الأيام ذات شأن، متقدمة في الحضارة والمدنية، في عهد كان العالم فيه ينحط في دجاجير الجهل والظلام. وكيف لا، فهي مهد الحضارة الأولى ومسبع العلم والمعرفة

لكنها أفوام تشتهر بالحدود والكرم فضلاً عن الشجاعة والإقدام. وفي ثنائها فبات مطلبية بالذهب لمراد الأئمة الأطهار، وريازات عربية نادرة الوجود، نسلب العقول ونهر العيون، ونحلب إليها الروار. وفي باطنها السط شريان المدينة الحديثة ومعادن أخرى لا نعد ولا نحصى. هذه الحصائص هي التي نستهي فلوب الفرنجة لرويتها والنممع بمناظرها الخلابة، فيشدون الرحال إليها من أقاصي المعمورة لبحققوا بأنفسهم عما

سمعوه من اخبارها وعما فرأوه عنها، فمسيهم من يقضي فيها أياماً فلائلاً، ومنهم من يقضي السبر، بسلك طريقه في الحياة كالسكان المحليين، يحوب أراضبها باحثاً ومنعصباً ودارساً ما يحلو له دراسته. فبكتب ما بعن له كتابته ليقطلع عليها أسماء حلدنه. ولتكون دليلاً لمن يشد الرحال لمشاهدة هذه البلاد. وربما كان لهم من ربارانهم مآرب أخرى، يجعلون ظاهراً أعمالهم سناراً يخفون وراءها مآربهم التي حاءوا من أحلبها. علبا أن يقرأ ما يكشونه عنا، إن خبراً وإن شراً. وعلبا أن لا نعمل إذا ما أساءوا في كنانانهم، إما جهلاً أو نقصاً في المعرفة أو عمدأ بل بحب أن نرد عليهم رداً علمياً ومطغياً. مفارح الحصة بالحصة فبكون تأثيرها أكثر في نفوس الفارء الكرم، وفبمنها أبلغ شأناً.

وهذا الكتاب الذي بين يديك أيها الفارء الكرم بحث في «عرب أهوار العراق»، وهم قوم بسكون منظمة نفع في القسم الحسوي من العراق، ألقه وبلعد نيسر ، البريطاني الحصة، بعد أن عاش فيها سنوات عديدة فركبها في بلادها بحيث لم يسفه في معالحنه أحد من الرواد.

ولد ولفرد فبسيحر في أدبس آبابا في سنة ١٩١٠ ونلقى علومه في كلبني إبنون واكسفورد. أصب هناك بكدمه في عبته من الملاكمة في سنة ١٩٣٥ التحق بالخدمة السباسبية في السودان. وبعد اندلاع الحرب التحق بقوة الدفاع السودانية، ثم حدم فيما بعد في الحشة وسوريا. إشغل مع القوة الحوية الخاصة في الصحراء العربية وحصل على فلادة الخدمة الممتازة. وكان ينقل مند زمن الحرب بين حبوب الجبريرة العربة وكردمنان وأهوار العراق وهذوكوش وقرة فروه ومراكش والحشة وكببا وتنجابفا، دائماً سيراً على الأقدام أو بواسطة الحيوانات. حصل على الميدالية الذهبية من المؤسسين للجمعية الجعرافية وميدالية نورس العربية من الجمعية الملكية الأسبوية المركزية وميدالية بفسكنون الذهبية من الجمعية الجعرافية

الملكية الاسكونيلا مذبة ألف كتابه الأول وعنوانه رمال الجزيرة العربية
وُشر في سنة ١٩٥٩.

نحمل المشاق الصعبة، عاش عشة بدائية بسيطة للعابة، حرم نفسه
من ملذات الحياة العصرية وماهجها العائنة والمعربة وحبانها الاجتماعية
الرافية، فاسى من شظف العيش ما لم يقاسه أحد من قبله، نجزع مرارة
العربة ولوعة الفراق حتى أحد يشعر بما يشعر به أبناء الأهوار وبحسن كما
بحسوس، فنكون كتابانه عنهم ناعمة، من صميم الواقع والوجدان.

كما يجد الفارء في ثنايا هذا الكتاب أسلوب الحياة الاجتماعية بين
سكان الأهوار وعاداتهم وتقاليدهم التي بنوارثونها جيلاً بعد جيل، وطريقة
تعاملمهم مع بعضهم البعض ومع غيرهم

كل ذلك أمور بحملها كثير من القائلين، لأن عالم الأهوار عالم قائم
بدانه، مفضع عن العالم المحيط.



كما يطلع الفارء أبصاراً على حياة الأهوار المعقدة وعلى أمور كثيرة
أخرى، لا يحصل عليها المرء إلا بعد جهد جهيد، واستقصاء دقيق، وصبر
طويل، وفطرة على تمييز ما بهم معرفته

هكذا، نجد أن المؤلف قد كفاها شئ كل هذه الصعاب والبحث
بطرحه كل هذه الأشياء من كتابه هذا، فحاشا لكمة سائعة، سهلة الهضم.

أمل أن نروى قراءة هذا الكتاب للقراء الكرام وأن يكونوا فكرة عن
جزء هام عن الأهوار في العراق الذي يخفى على الكثيرين منهم أسلوب
حباتهم ومعيشتهم في عهد مضى عليه أكثر من نصف قرن تقريباً منذ صدور
الكتاب بطبعته الأصلية الأولى.

أما إذا وجد الفارء بعض العبارات التي قد يتصور أنها نمس العرب
بسوء فإنه محطىء. لأن نبياء الحفاظ أمر لا علاقة له بإلصاق التهم.

وفي هذه الحالة، بحسب أن يحكم العقل والمنطق وأن نتحرر عن
النمير ولا ندع العاطفة تتلب علينا.

نسأله تعالى أن يهدينا سبيل الرشاد. ويرفع من شأن أمنا العربية
والإسلامية لتتوأ مكانتها اللائفة بها بين الأمم المتقدمة ومن الله العون
والنوفل.

الدار العربية للموسوعات



كلمة المؤلف

عشت في أهوار العراق الحسبية من نهاية سنة ١٩٥١ حتى حزيران سنة ١٩٥٨، وكنت أبقى فيها أحياناً مدة سبعة أشهر بشكل مستمر والسنة الوحيدة التي لم أذهب فيها إلى الأهوار هي سنة ١٩٥٧.

مع أنني كنت على الدوام في العراق نفل نضرباً إلا أنني أعتر هذا الكتاب من كتب الرحلاب لأن المنطقة التي مكثت فيها محددة، كما أعتره كتاباً يقوم بدراسة مفصلة لسكان الأهوار الذين أعيش بين طهرانهم.

أصبحت هذه السوات في الأهوار التي كنت أستمع بالعيش هناك، وعشت خلال هذه الفترة من الزمن بين سكانها كمرد منهم، وأصبحت حيناً عبر هذه السنين، عارفاً بأساليبهم نضرباً، وحاولت أن أعطي صورة عنهم مما تحويه ذاكرتي، ومما دونه في مذكراتي.

أدت الاضطرابات السياسية الحديثة في العراق إلى إغلاق هذه المنطقة أمام الزوار، ومن المحتمل أن يفرض قريباً، فتحتي، عند ذلك، طريقة الحياة التي دامت آلاف السنين فيها.

نغطي الأهوار مساحة من الأرض نضرب من سنة آلاف ميل مربع حول القرة، حيث يلتقي في هذا المكان نهرا دجلة والفرات ليشكلا شط العرب. وهذان النهران بؤلمان الهور، والنصب هو النبات السائد فيه. أما الهور الموسمي، فإن نبات البردي يغطي معظم أجزائه ويحب في موسم

الحريق والشناء . والهور المؤقت يتكون فقط حينما نغمر مياه الفيضان الأرض ثم ينحدر فيما بعد ساء الردي . ويمكن تقسيم هذه المنطقة بشكل ملاءم إلى المناطق التالية : -

١ - الأهوار الشرقية وهي الواقعة في شرق نهر دجلة .

٢ - الأهوار الوسطى وهي الواقعة في غرب نهر دجلة وشمال نهر الفرات .

٣ - الأهوار الجنوبية وهي الواقعة في جنوب نهر الفرات وغرب شط العرب .

هناك أيضاً بعض الأهوار الدائمة تقع أسفل مدينة الشطرة وعلى شط العراف الذي هو عبارة عن نهر يتفرع من نهر دجلة من الكوت ويحوي شاطئيه الجنوب الغربي باتجاه الناحية الشمالية وهماك بعض الأهوار الموسمية من السهل الواقعة إلى شمالي نهر دجلة على الضفة الغربية حيث تتكون من الفيضانات الساحمة من نهر دجلة ونهر الفرات اللذين يجريان من النول الإيرانية ثم بتلاشيان

وهناك هور موسمي صغير في منطقة ألودراج ، على بعد خمسة عشر ميلاً إلى شمال العمارة وإلى غرب نهر دجلة


وفي دروة الفيضانات ، تعطي قطع من المياه المنتشرة بضعاً واسعة من الصحراء المجاورة للأهوار ، تختلف أحجامها في كل سنة وتمتد إلى مسافات شاسعة بحيث تزيد على (٢٠٠) ميل ، من صواحي مدينة البصرة إلى الكوت تقريباً . وعندما يجسر مياه الفيضانات هذه تتحول معظم الأراضي المعمورة بالمياه إلى صحراء .

وفي فصل الربيع ، يسب ذوبان الثلوج في فعم الحبال في إيران وتركيا بارتفاع منسوب مياه نهر دجلة والفرات والأهوار تتكون من مياه

القبضانات عبر فروج عديدة ماضية ومن تدفق مياه هذين النهرين

نأخذ الأهوار الشرفية والوسطى مياهها من نهر دجلة، وإن ٨٠٪ من تصريف المياه في بغداد تغور فيهما. سهر الفرات نفسه يغور أسفل مدينة الناصرية بواسطة قنوات عديدة جداً، وتجري مياهها المنبددة تدريجياً إلى هور السناف ثم إلى شط العرب عبر محرى نهر «كرمة علي» الواقع على بعد عدة أميال شمالي الناصرية. ولا يزال المحرى القديم بين سوق الشيوخ والفرنة يُعرف باسم نهر الفرات. وفي الحفيفة، إن المياه التي فيها ما هي إلا مياه نسریت من ضفاف نهر دجلة اليميني.

والى وقت حديث، كان الكثيرون يعتقدون بأن نهري دجلة والفرات كانا بحريان بصورة معصلة إلى الخليج وأن الطمي المنكوي كان يدفع تدريجياً الطريق الساحلي أبعد فأبعد نحو الجنوب.

أما النظرية الحالية، فقد تمها من البداية في سنة ١٩٥٢ الدكتور (حي. إم. لير G M Lier) (والذي هو  J. Falcon) وهي أن نفل الطمي المتجمع بسبب ترمباً مركزياً مستطوع الأرض. وتنتي معظم الطريق الساحلي على حالة دون أن يتبدل. يبلغ العيصان السوي درونه على نهر دجلة من شهر مابس. وفي نهر الفرات في شهر حزيران، ويبدأ الهران من شهر حزيران فصاعداً بالفيضان حتى يصل إلى أدنى مستوى من شهر أيلول ونشرين الأول.

أما في شهر تشرين الثاني فيحدث ارتفاع طفيف في مسوبهما ويزداد الارتفاع طوال فصل الشتاء، وقد يحدث فيضانات فسيحة الأمد فحاً خلال فصل الشتاء والربيع. أما الأهوار الوسطى فهي المطفة التي بدأت أنعرف عليها بشكل أفضل، لآسي شرعت أتعلم فيها.

وفي الحفيفة حسب هذا المكان وطني، وحلال سنوات نقاني كان علي أن أروى كل قرية تقريباً، مهما كانت صغيرة، مرتت فعلاً أكثرها مرات

عديدة. عندما كنت أحتاج لرورف لزيارة إحدى القرى، بأثني به صبياتها الذين يستقبلوني كما يستقبلني رجالهم من رجال الفيعة.

بقي هؤلاء الصبيان طوال الوقت معي وتكون فراهم فواعد لي بعد عودتي من الزيارات. نزلت تقرباً في كل أرحاء الأهوار الشرفية، لكسي ما عرفت الناس معرفة جيدة أبدأ، لذلك بقيت عربياً مع أنهم كانوا يرحبون بي لأنني كنت أساعدهم في الأمور الطبية. أما الأهوار الحومية فما رأيت منها إلا النزر.

إنني مدين بالعرفان إلى جون فبرني John Verney لكل ما قدمه لي من المساعدات والنصائح لإخراج هذا الكتاب وذلك خلال الأشهر التي كنت فيها معه في فلورنس. قرأ كل الممسودات بأناة وصر، وأحرى فيها التعديلات الكثيرة.

كما أنني مدين لـ (فال فرنش Val French) و(جورج ويب) Georg Web فأقدم شكرهما لهما لما قدماء من اقتراحات هامة ولتعليمهما قراءة مسودة الكتاب الذي حثني على كتابته هذا الكتاب هو كراهام واطسن Graham Watson، وهو الذي نلغبت منه التشجيع الكثير والصبح الثوار. كما أنني أشكر أيضاً شركة جيمس مسكليف التابعة لوابت هول التي أولت اهتماماً كبيراً لتحخيص التصاوير - طبعها -

كما أشكر المسفر كي سي حوردان K.C.Jordan الذي رسم لي المخرائط الموحودة في هذا الكتاب.

وأشكر موظفي متحف التاريخ الطبيعي والكثيرين من الأشخاص الآخرين الذين ساعدوني ورودوني بالمعلومات.

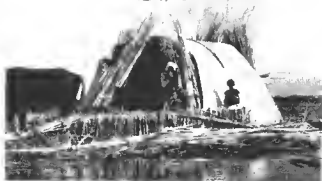
ويلفرد فيسبجر

١ - لمحة عامة عن أهوار العراق

كما منطلي طهور جبولنا ونسلك أرضاً مسسطة طوال النهار، ويرتفع العيار من حوامر جبولنا إلى درجة نكاد نحفنا. وكانت الأمطار قد انقطعت عن السقوط، كما يحدث كثيراً، فمالت السانان النامية، وانكسرت فوق الشربة، لم يجد على هذه الأرض المسطحة أية أحمة ولا أية صحرة لتكون علامة بارزة لقيس بها تقدمنا البطني بالنعاء خط الأفق.

كانت سروح جبولنا من نوع سروح العربية المعنادة وهي صلة

مركزية تكبيرية سروح



بيت من بيوت سكان الأهوار

لكونها مصنوعة من الخشب والركائب تتدلى بعيداً إلى الخلف بحيث نجسنا على الجلوس إلى الأمام وتنتصر بين الحزء البارز من المرح في الأمام وفي الخلف، وهي أشبه بسروج رعاة البقر. وفي الحقيبة، تركز اهتمامي على السروج وأيفنت من أد الأمريكيين هم الذين أخذوه من هذه الأشكال. فالعرب أدخلوا هذا التصميم إلى إسبانيا ومنها أخذها الإسبان معهم إلى العالم الجديد

يقبأ على ظهور حيولما وهي نسبر سبراً اعتيادياً لأن رفيقي كان يمتطبها لأول مرة. ورفيقي هذا هو دو كالد ستيورات Dugald Sievert، نائب الفصل البريطاني في العمارة، وهو وإن كان عمر (٢٩) سنة إلا أنه كان شخصاً ذا موهبة واضحة وكان يقول على الدوام بأن لبس لديه أي طموح سوى إنهاء وطبته كفصل بعدها يتمكن من الحصول على كل ما يريد من صيد البط الوحشي.



كما يتبادل الأحاديث ويحكى ذكرياتنا عن (إبتون Eton) كما يفعل طلاب كلية إبتون الفدماي. هذا الطالب مدرسة، حصل على رايثين مدرسين على الرغم من إصابته بمرض وإجراء عمليات جراحيتين صيرناه أسوأ من السابق، أما أنا فلم أحصل على أية رابة مدرسية مع أبي سليم السافين

أمضينا ليلتنا بين عشيرة البرود، افترشنا الأرض في حيمة صيوف الشيخ بعد تناولنا وجبة فاحرة من الأرز ولحم الصائد.

والحيمة مع أنها تستند على أحد عشر عموداً وهي واسعة جداً، ولا تختلف عن بقية الخيم السوداء الأخرى المصنوعة من شعر الماعز، وهذه الحيمة محاطة. بحاجز من جميع الجهات، إلا أنها مفتوحة من جهة واحدة على طولها.

ننحه فتحات الخيم كلها بالانحاء نفسه، وأمام معظمها نجد حصاناً



راعي جاموس من عشيرة السويد المعدان

أو حصانين مربوطين وحولها مجموعة من العنم والماعز نحد فسماً منها داخل كل خيمة.

رافيتها فرأيت الرعاء (الرعاة) الصبان يسوقونها عند غروب الشمس، كل قطع بسير داخل العمار الذهبي المنصاعد أما ثعاه العنم طوال الليل فيحدث أصواتاً وضجيجاً يرتفع ساح الكلاب على أثرها ثم يحفت.

كنت فادماً من منطقة كردستان العراق متجهاً نحو الحبوب، وكنت قد ذهبت إليها لعلّي أجد فيها راحة السال، تلك الراحة التي كنت أعهدا في صحاري الجزيرة العربية الجنوبية، حيث عشت مع البدو هناك مدة خمس سنوات، وتغلّت معهم عشرات الألوف من الأميال في تلك الأراضي التي لا وجود فيها لأيّة عربة أنداً - حتى جاءت جماعات الزلزال، طلبعة التقدم الحديث، للبحث عن النفط

وفي كردستان العراق، التي كنت أعهدا في ربارنها على الدوام، كنت أمتطي صهوة الدواب وأفعل الجبال على طريق إلى آخر، بصطحسي حادم كردي، شاب، ولا أحلم قتيلاً في طريقهم ونشاهد في مسيرنا أقباء عجيبة وعربية وأخرى لطفية.

لا يزال الأكراد الفاطميون في المناطق الحبلية يرتدون الملابس المحلية الزاهية - عطاء رأس مركزش وسراويل عريضة، وصنرة قصيرة وكمر وحرام من الفماش ذي الألوان المختلفة

يضعون الحناجر على أحزمة بطونهم، ويتدلى المسدس من جوانبهم، وتظايع صفوف الرصاص المسفوشة على صدورهم وهي ملبنة بالعناد كنت أنام في فرى سطوح منازلها تكوّن أرضية لدار أخرى وهي نعانق سفوح الجبل حيث الدور ذات السقوف المسطحة ترتفع من سطوح الدور التي نحنها. كما كنت أنام في حبل البدو السوداء المصنوبة على فمم الحبل الأجرد، فأرى بعض أنواع الزهور بين الحشائش وأرى الثلوح المتسقة



داعي عم يصب حبيبة على الجافة الشعالية من الاموار



نجرها الرياح طوال فصل الصيف

كنت أسلك الطريق المعبود يعقب الأسيار الجارية من خلال عابات
البلوط، حيث الدبة تمشي الأرض في الأحراش بحثاً عن الطعام. أراقب
قطباً من الوعل وهو يسلك طريقه على طول سلسلة صحيرية ارتفاعها
(٣٠٠٠) قدم، بينما نمر من فوقها، في العشاء، أعداد كبيرة من النسور،
والرياح تحدث صغيراً من اصطفاق أجنتها.

وكننت قد رأيت فصل الربيع الزاهي في جبال كردستان، التي تنتشر
على سفوحها وعلى حوانب الوديان فيها أنواع مختلفة من الزهور الجميلة
الزاهية، نحالها بساطاً زاهياً يسر الماطر. وأنحمت من كثرة أكل العنب
الطازج الملقى تحت أشعة الشمس أو في جدول الماء الحار البارد.
وبعد أن شاهدت كردستان العراف لم نبق لدي رغبة بالعودة إليها. فالسفر
محدود جداً إليها كما هو الأمر بالنسبة للبحث عن عرلان الغابة الجميلة.

نفع تركباً عبر هذا المجرى من النهر، وتقع إيران وراء ذلك المجتمع من المياه، حيث نرى الشرطي ينتظر سرته الرسمية في المضائق ويدقق سمات المرور، والتي ما كنت أحملها

مضى من عمري خمسون (٥٠) سنة، فلو كنت في مستقبل العمر لسلكتُ الحال من راوندوز إلى (أورميا) ثم إلى (وان)، إلا أن وعود قطاع الطرق والعشائر المعادية وقف حائلاً دون ذلك.

والأهواز التي أنجه إليها الآن هي، باعتراف الجميع، منطقة أفل سعة من المنطقة التي نزلت منطقة كردستان الجبلية هي العراق، ولكنها عالم كامل بحد ذاتها وليست جزءاً من عالم أوسع وقد مُعِت من الدحول إلى نية أحرائها

وفصلاً عن ذلك، فإنني أحب العرب ورعنا لهذا السب لا أكن حياً للأكراد حفيظة. فالتاس هناك لا يحبونني لو أن المساطر الجبلية تعجسي



حديقة قشورج لآحد شهور آل عيسى

جداً ونروق لعبي .

وأعترف أن المانع كان بسبب حملتي لعنهم، ولكن، حتى لو كنت
أتكلم لعنهم، فإنني كنت أشعر بأني لا أزال أكرهم

ولما كنت أفضل كثيراً حب الناس على حرب الأماكن، لذلك عدت إلى العرب بناءً على هذا السبب وفي اليوم الثاني ركبا خيولنا وإنجها صوب الحبوب فاصدين الأهوار هذه المرة، عبر أرض مسطحة نوفنا عن السير عند الظهيرة لدى بعض العرب الفاطميين في الحياء لتناول الطعام وتبديل الخيول.

ركب زميلتي دوكانلد حصاناً جميل المظهر، رمادي اللون، إلا أنه حروون، وعندما اعترضت وفلت بأن هذا الحصان هو أفضل من غيره، طس الشيخ، على ما يبدو، ما نيتي أريد أن أمنطيه لذلك ^{الرجل} إلى بأنه من أجل الفضل.

سرياً، وبعد فترة وجيزة، **وحرز دركنا** الحصان بكعب فذمه من دون عمد فاطلق الحصان سرعه **والكعب** بعد الفئصل نفسه، ترك العنان ومسك بضوء بكلنا يديه القسم البارز من **المرعج** ثم تبعه رفاقا بالسير جنباً لعلهم يلحقون به ويحولون دون سقوط راحته ثم أدركنا بأن عملنا هذا من شأنه أن يثير الحصان وبهيجته لذلك أمرتهم بالتوقف عن الحري.

أما دو كالد، فقد أخرج كلنا قدميه من الركاب وأصبح صفوفه من على ظهر الحصان حتمياً بين لحظة وأخرى. فاستند بي الحوف والقلن لأن الصفوف سيكون مروعاً وخصوصاً إذا كان على أرض صلبة. إلا أنه لم يسقط، بل وقف الحصان مهوك القوى، بعد أن قطع مسافة مبلين نفرياً، وما زال دو كالد ممكناً بالسرج بقوة بكلتا يديه، اللتين أصبحت راحتهما بالحدوث بسبب المعامير التي كانت تزين القسم البارز من السرج وقال «إنني حبير، ولكن أفضل السير مشياً على الأقدام». ولم يحته على امتدال حصانه لأننا عبر متأكدين من امتحانة الخيول لراكب غريب



الشيخ مرید من حمدان شيخ عشيرة آل عيسى

واصلنا السير والشمس ما زالت عالية، ورأينا شقوقاً عميقة على الأرض، ظهرت من بعد إنحسار مياه الميضات العاصبة التي غمرتها وعطنها، وكان دوكاند يترجح ويتمايل في مشبه وهو بين ويتأوه الأمر الذي حدا بالشيخ أن يلتمس مني بأن أقول لصاحبي أن يكف عن أنبه وتأنو هانه وأن يحلد للسكون. أدركنا غروب الشمس ولم نعث على أي أثر للأهوار أو للفرى التي نفضدها، إلا أسا لمحا من بعد أصواء فنللاً وحصوصاً عد اشتداد الظلمة..

كانت عشيرة الرود قد أحطرت الشيخ مريد بن حمدان شيخ عشيرة آل عيسى بأسا منحجون إليه، فأصبح يتوقع وصولنا في كل لحظة. ولما تأخرنا، بعث مجموعة من أناعه للبحث عنا. وجبنا الضياء بها، فادتنا إلى خيام الشيخ المصنوعة على حافة الأهوار. رهنا كما نحس بوحود المياه حلما دون أن مراها



حرج الشيخ مريد نفسه ليرحبنا بمقتلنا، فراهب شاباً صعب الحسم، مستلى، البدن، قوي السبة، مستعجبين كالمفرد بنيل هنته على السل والعود

وجدنا خيمة الصبوف مصاة بالعوانيس، ملبئة بالرجال، معظمهم مسلحون بالساق

وحينما دخلنا الخيمة نهض الجميع، وأشار الشيخ مريد إلينا بأن نجلس قبالة الموقد، ثم أحد بسأل الأسئلة التقليدية حينما كما نرنشع الضهوة وبحنسي الشاي، وهي أسئلة عامة عن الصحة والأحوال وعن الرحلة. أما رجاله فكانوا جالسين حلقة معتدلة وهم سكوت لا يهيسون بينت شعة لأن الشيخ هو المنكلم الوحيد

نحن الآن في حضرة عرب الصحراء، وهم دوماً يتمسكون بالشكليات حهاراً ويشعرون بمزلتهم ومقامهم الرفع. تناولنا عشاءنا الذي جاءوا به بعد ساعة من الرسم، فأدخلوا الصواني الكبيرة وهي ملبئة بالأرز وهو فيها

كمية كبيرة من لحم الصأن. لم يكن الطعام لهذا غير أن طعام العرب كمي لا نوعي.

أكلنا نحن الأربعة مع الرجال المسنين. ثم نادى الشيخ مزبد على الآخرين بالأسماء بأن يتقدموا لساوول العشاء. أما هو ولأنه المضيف، فقد انتظر إلى أن ينتهي الجميع كانوا يجلسون إلى المائدة بوحبات. وعندما انتهت الوجبة الأخيرة من طعامها، نادى الشيخ مزبد الأطفال الذين ينتظرون في الطلام خارج الحبة

كان أصغرهم سناً عارباً ناماً، لا يزيد عمره على ثلاث سنوات، ملأوا بطونهم بالأرز السامي، وكانوا يهشون العظام التي حُرِّدت من اللحم وفرغت الصبينة من الأرز الذي ملأوا به الأواني التي جلبوها معهم. وأخيراً ألغوا بالعظام إلى الكلاب.

وقبل الانتهاء، لاحظت الفهواتي حنريء نفسه شبناً من الطعام ويضعه في طبقه بالقرب منه، أمر الشيخ مزبد به إنزوي جانباً وبدأ بساوول طعامه القليل، بينما قدمت نظرائه الفهواتي والشاي



رجل من آل عيسى

رافته في اليوم التالي وفب الطعام وهو واقف امام الحبة حتى يتأكد نفسه أنه لم يمر أي فرد من أمام حبيته دون أن يدخل فيها. وكان يدح العم مرتين في اليوم إلى صيوه المذبح قد بلغ عددهم المائة شخص

لا تزال هذه العشاءات الرعوية نتمسك بهذه العادات وهي التي نعطي فكرة عن عادات

العرب في صحارى الجزيرة العربية. وفي السنوات التالية، عدت مرات عديدة، إلى خيمة ضيوف الشيخ مريد ومرت محببات كثيرة أخرى نعود لعشيرته. كنت أهرب خلال أشهر الصيف السبعة من الأهوار، مستعبراً الخيول، وأتوجه نحو الفائل التي تربي الأغنام وقد نعتت على معظمها سي لام، البزون، آل عيسى، اليوصالح وفائل أخرى غيرها

نحار بعض العشائر الحدود في فصل الربيع وتنقل إلى التلال الواقعة في أسفل الجبال في الأراضي الإيرانية حيث نكثر فيها الحشائش الطرية، كما ينقل الآخرون إلى المملكة العربية السعودية وإلى ضواحي الكويت خلال فصل الشتاء

يقوم الرجال والصبيان برعي الأغنام والماعز، بينما تقوم النسوة المرندبات بالملابس السوداء بقل الإحجام على ظهور الحمير ومعهن الحجام وأعمدتها والسحاجيد والعرش وسنابك خنثية صغيرة والمواقف والصحون والكتالي

مركزية شيوخ بني سبيح

وكثيراً ما كنت أراهم مر خلال السراة وهم يتنقلون عبر الأرض المبسطة الخالية التي ندو كالبحر وبعد دحة الطعام، أحدا الشيخ مزبد إلى داخل صربفة محاورة ومشيدة من القصب والحصران، فُرشت فيها العرش والبسط الملونة حتى سام فيها وهذه حلوة عبر منوعة لذلك كنت وزميلي دوكاند له من الشاكزين

كان الهواء البارد الذي يهت علينا ونحن في هذه الصربفة، طوال الليل يعشنا وكنت أسمع صوت نلاطم الأمواج على الساحل وأنا على وشك النوم

وعندما خرجت من الصربفة وقت الفجر، شاهدت بحراً من المياه الشاسعة، نلاطم أمواجه، ووراء قطعة من الأرض، ندو سوداء، فالة شروق الشمس. فلاح المطر لعبي كأنه شبح الحفيص، تلك الجزيرة

الأسطورية التي لا يستطيع أي مرد أن ينظر إليها ويبقى سليم العقل. ولكن، سرعان ما أدركت أنني أنظر إلى أرض واسعة مبروشة بالفصيص. كما رأيت زورفاً أنيقاً مطلباً بالسواد، له مندمة عالية، برسو أمامي - هذا هو زورق الشيخ الحربي جاءوا به لتذهب سوية لمشاهدة الأهوار.

وفيل أن تُبنى القصور الأولى في أور، كان الرجال يخرجون من مثل هذا البيت عند المحر بحرون يمثل هذه الرواق من أحل الصيد. اكتشف المستر فوللي Voolley مساكنهم ومداخل من زوارقهم المدونة تحت أعماق حرايب السومريين. وهذه المكتشفات هي أكثر قدماً من عهد الطوفان. فهنا يكمن تاريخ حصة آلاف سنة، والزوارق لا تزال نافذة على شكلها القديم.

بقيت ذكريات ربارني الأولى إلى الأهوار عاتفة في محبلى نأى أن نعادري وما تلك الذكريات إلا عارة عن ألسنة النار المسلطة على أنصاف الوحوش، وصباح الأور ورمرة أحسن البصر وهي نهم بالطيران لتبحث عن الطعام، وصوت صبي يائي بأنى مكان بعيد في الظلمات، وحفيف الرواق وهي نمخر المباءة في لجنات مهيب وموكت تدبع، معبب الشمس التي تظهر للعبان بلون فرمري من خلال الدخان المتصاعد من إشعال الفصيص، والطرق الهريفة الصبغة التي تتلوى نحو أعماق الأهوار، مطر رحل عارٍ في الزورق ورمحه (فالنه) بيده. الطرائف المشيدة فوق المباءة، والجواميس السوداء المستحمة بالمباءة، والتي تبدو كأنها عحول البحر خرجت من المستنقعات إلى أول أرض بايسة، والآلة السحوم من السماء تراها منعكسة على المباءة الداكنة وأصوات نقيق الصفادع كأنها أنغام موسيقية والزوارق والمشاحيف وهي عائدة في المساء، والسلام المتواصل والهدوء والسكينة في عالم الأهوار الذي لا يعرف المكناس والآلات وضحيها.

ومرة أخرى شدني الشوق لأسهم في هذا النمط من الحياة، وأن أكون هذه المرة أكثر من مجرد شخص مفرح.

٢ - الرجوع إلى حافة الأهوار

بعد سنة أشهر كنت أنفل على ظهر زورق مطس بغير، ننسرب إليه
الماء وكنا سلك أحد فروع نهر دجلة ونحن منجهون نحو الأهوار ويجدقه
شحصان من العرب، كان أحدهم رجلاً عجوزاً، قد وحط الشيب رأسه،
مجل الجسم هزلاً حذاً، برندي ثوباً برقعاً، ضاع لونه، يصل إلى تحت
الركبة قليلاً أما الآخر فكان مختلي الجسم، صبيّاً، عمره خمس عشرة



محبب الشمس على حافة الأهوار

سنة، أحول العين، برندي سنرة قديمة فوق دشدشة بضاء، نمنطق بالحزام
حتى لا نسحل على الأرض

بضع كل واحد منهما على رأسه كوفية (بشماغاً) من السوع الذي
برندبه بشكل عام رجال العشائر من الشيعة في حبوب العراق، وهي عبارة
عن قماش مساحته ثلاثة أقدام مربعة واسمه الشائع البشماغ.

وبما أنهم لا يعتمرون العقال الأسود، فإلهم لفوا هذا البشماغ على
شكل مثلث ووضعوه فوق الرأس.

كان المحور يجلس في مؤخرة الزورق العالبة، وجلست أنا في بطن
الزورق متربعاً على قطعة من الحصير ووضعنت أمتعني أمامي، والتي هي
عبارة عن صندوقين من الشبك الأسود اللين، إحداهما ملئ بالادوية
والآخر بالكتب والأقلام وحراطين العتاد وغيرها من الأشياء. ووضعنت
فوق الصندوقين كيس سرح كروي مصنوعاً من ألوان زاهية فيه بطانيات
وملابس رائدة. ثم وضعت إزاحاً صغيراً من الصند عبارة ٢٧٥. وهي داخل
عطاء من الحتماص

مركز تحقيق التراث

النهر الذي سلكه ممرص (٣٠) يارداً، مريح الحريان وعميق، كانت
أصابع يدي تلامس سطح الماء حينما كنت أمسك بحواشي الزورق وبهت
نسيم بارد من أعلى المجرى بحيث يرفع موجات من الماء الذي يتطاير إلى
وجهي وأمتعني.

جلست ساكناً بدون حراك، لاسي إفتنعت من أن أبة حركة نبدر مني
ننسب في انقلاب الزورق. وكنت أرى هذين العربيين بدبران دفة الزورق
بدون اكترات وقد حافطاً على موازنة الزورق

نوقف القصي عن التحديق ثم حنا إلى بطن الزورق ليستظل ثم أشعل
سيكارة. ونهض المحور وأحد بحول نظره كأنما يبحث عن صديق يعمل
في الحفول. ولم أستطع، وأنا في بطن الزورق، أن أرى أي شيء سوى

الحافات المحدرة لضفتي النهر والذي ينع ارتفاعها (٤) أقدام

كانت السواقي المحصنة لحرّ المياه من النهر تعرضهم بكثرة وبشكل متعاقب وهي تختلف من حيث الحجم وأرى في رأس كل ساقية كومة من العروور، الواحدة منها بطول قدمين أو ثلاثة أقدام، وأصبح لونها كالتراب مائلاً إلى الزرقة والاحمرار.

رأيت السلاحف تنزلق من أماكنها على الصفتين وترمي نفسها إلى الماء الذي أراه بطون رمادي. كان بعض السلاحف مسطح الشكل، له نرس طري، طول الواحد قدمان على الأكثر ثم ينموح هذا السطح عند الحافات أثناء الساحة. وبعضها الآخر صغير يشبه السلاحف العادية كثيراً.






تعمل الأهوار

ونصرف الطيور المرقطة الصائدة للدهاب من فوق رؤوسنا، أو نراها معلقة في السماء، نرفق أجنحتها بأجنحتها مشددة قبل الانفصال والحدأة تدور فوق رؤوسنا، وسرب من الغربان يطير من الأرض الزراعية الكائنة خلف الصفتين محدثاً ضجيجاً وصحاً عالياً.

والضباب المنخفض مسلط فوق رؤوسنا يحيل كل شيء إلى لون أسمر كالتراب. مررباً بقرية صغيرة ذات أكواخ من القصب،

وهي رمادية اللون تبدو كأكوام غُرتها الأحوال الحوية، ورأينا النساء
المرندبات الثياب السوداء وهنّ يعسلن الأواني والصحون على حافة النهر
بين أسطول من المشايخ السوداء الراسية على الضفة الموحلة.

خرج أحد الرجال من الكوخ وصاح به صاحبا العجوز قائلاً «السلام
عليكم». فأحياه الرجل قائلاً «وعليكم السلام» ثم أردف قائلاً «مَلَحُوا»
[أي انزلوا وتناولوا الطعام]. فأحياه فانلبس «كموا الله بحمطك». وتسابق
في هذه الأثناء ستة كلاب على طول الساحل بجاساء، وهي تسبح وتكشر
عن أنيابها إلى أن توقفت بسب وحود حمرة عريضة لا تستطيع إحبارها.

وفي ذلك اليوم، كنت قد عادت مدينة العمارة في الصباح، وكان
ذلك في الأسبوع الأول من شهر شباط سنة ١٩٥١، وكنت إستأجرت
مشحوماً في المجرى الكبير لبأحد  إلى مسافة خمسة أميال على طول
مجرى النهر قاصداً دار الشيخ فالح بن مجيد الخليفة الواقع على حافة
الاهوار. كان والده أحد الشيوخ  من عشيرة البرمحمد الكبيرة، إذ
بلغ تعدادها مقدار (٤٥,٠٠٠)  أن أفصي عدة أشهر في
الاهوار. وكان دوكالد سنبوارت قد أحسنني بأن الشيخ فالح هو أفصل
شخص يستطيع مساعدتي

جلست الفرفصاء في بطن المشحوف وأنا غير مرتاح، وكنت أحول
بنظري فيما حولي مستعلاً استداراتنا مع نعرحات النهر لعلني أرى الاهوار
ولكن دون جدوى، وما كنت أرى غير النهر الرمادي اللون الذي يجري في
أرض منبسطة.

وبعد استدارة أخرى، انقسم النهر إلى قسمين، فرأيت أمام القسم
الرئيس من النهر صفّاً طويلاً من المساكن المسبة من القصب بشكل جيد،
ومن خلف هذا الصف من الدور، وفي أرض مكشوفة رأيت داراً بدور
واحد، مبنياً بالطابوق، سطحه مسنّو، يشبه الفلعة.

ورأيت شبثاً أدهشني. بناءً مشيداً من المراسيل وسقفه من الحصير،
عسلي اللون، وفي كل طرف أربعة أعمدة مستدفة الشكل على خط سقف
البناء. كان البناء مشيداً على أرض بين حدولين، فقال لي العجوز «هذا هو
مصيف الشيخ فالح». ورأيت صبياً ينفذ أمام الدار، سرعان ما دخل حين
رآنا، ثم خرج بعد فترة وحبرة عدد من الرجال لاستقبالنا.

أشار صاحبي العجوز إلى رجل سمين، برندي عباءة سوداء، جيدة
الصنع فوق معطف من فماش غامق اللون ثقيل وهو يقول. «هذا هو الشيخ
فالح».

وحالما لامست مقدمة المشحوف الساحل ففز الصبي منه بمهارة
ومسك المشحوف الذي بدأ بهتز ويتأرجح على الشاطئ. ثم خرج المحور
من المشحوف ونقدم نحو الشيخ فالح وقبل يده وقال له «إنكليزي من
العمارة يا محبوظ».



ألقى الشيخ فالح نظرة على «مرحياً بك» وأبته شخصاً ذا نفوذ،
ذا وجه رجولي، محلوق ما عدا الشارب، له حاحيان كثيفان سوداوان
ملانمان أنعه الكبير البارز. وجهه مؤطر بصبات الكوفية التقليدية البيضاء
المرفطة بالمواود، ويضع على رأسه العفل الأسود

ولما بهست، نمايل الروروز. وانسكب الماء من فوق القسم العلوي
منه، فقال فالح: «انتظر لحظة» ثم وجه كلامه إلى العربيين فائلاً لهما
«أسرعوا - ساعدوه» ثم مد يده القوية حذسي إلى الساحل وهو يكرر فائلاً
«مرحياً بك». ثم التفت صوب رجل ينفذ بجانبه وأمره فائلاً: «دير بالك.
شوف جانا حاحيات الإنكليزي إلى المصيف» ثم قادني نحو باب الدار
وقال لي «أهلاً وسهلاً بك. نصرف كأنك في بيتك». وبعد أن نطعت
حذائي مررت من بين الأعمدة وهي بطول ثمانية أقدام، كل واحد مؤلف
من حزمة من القصب السميك، سيفانها المطفة من الأوراق محكمة الربط

بحيث يبدو سطحه ذا ملمس ناعم ومصقول.

وجدت الفاعة الكبيرة ملثثة رائحة الدخان خافتة الصوة بحيث لا يمكن مفارقتها بالشمس اللماعة في الخارج. وشاهدت الرجال واقفين بمحادثات حدران الفاعة فقلت لهم «السلام عليكم» فأجابوا جميعاً «وعليكم السلام» ثم جلسنا على سجاد مررکش الألوان فرش فوق الحصير ثم جلس الآخرون في أماكنهم منكبين على طول الحدران وورصع المسلحون سادفهم أمامهم لاحظت وجود حاذئين قديمين لطيفي الشكل. باللون الأزرق والذهبي وصعدنا في آخر الفاعة أعدهما الشيخ إلى ذلك المكان استبدلنا بأخرين حديثين من أهل حلوسا.

ورأيت في الطرف البعيد أيضاً، فماله الحدار، صدوقاً حشيباً. وبالمرب من المعدل كوراً كبيراً من الفجار مخلوطة بالماء بسند إلى إطار حشي، ولم أشاهد أثاثاً آخر. بلغ الموقد على بعد ثلث الطريق إلى الفاعة وفي وسطه. وها في الموقد تركب صفاً دلالة الفهوة. ببلغ عددها إثني عشرة دلة، أكرها نارنماع فنسحقين شكور بروج سرك

ووفقاً للطريقة العربية، بحري بربع نرسات الحمائر السابقة في هذه الدلة الكبيرة. أما الفهوة التي تكون على شكل سائل فنُصت في الدلال الأخرى الأصغر منها نوصع الفهوة الحديثة المحمرة في أصغر دلة وتكون جاهزة على الدوام عند وصول أي صيف بارز.

كان يجلس بحاسي رجل عحور وهو الوحيد الذي لم يلبس العباءة. كان يُشعل نفسه بأعداد الفهوة فحانما تنحصر حبات الفهوة بدأ بسحنها من داخل هاون بحاسي صغير وبدأ بصريه حسب إقناع إعناد عليه. وهذا الصوت اللطيف يدل على أن الفهوة في مصيف الشح جاهزة. ويحق لكل من يسمع هذا الصوت المحي إلى المصيف.

راقبت هذا الشخص فراءته بهض وبده البسرى دلة الفهوة وهجان أو

صحانان صغيران من صبح الصبب في يده اليمنى . وهذا الفصحان أكبر مغبل
من كأس نحويف الببصة افتر من الشبب فالح فصت عدة فطرات في
الفصحان الأول وفدمه له، لكنه أمره بأن يقدم الفهوه لي أولاً . وأنا بدوري
رفضت ذلك، ولما أصّر الشبب فالح، شرست الفهوه، ببما صب الفهوه في
الفصحان الثاني وقدمه للشبب .

كانت الفهوه مرغزة وطعمها مر وبما أسي أعرف عادات العرب
جيداً، تناولت ثلاث مرات قبل أن أمر الفصحان هرة حفيفة لأبين له بأنني
اكتفيت .

ثم بدأ الفهواني بنقل بطة في الفاعة مقدماً الفهوه إلى الآخرين
حسب ترتيب مركزهم من الأهمية . ثم قدم الشاي لي ولصاحبي اللذين
أوصلاني بالوروق وإلى الشبب فالح في إستكادات مدهة

وفي هذه الأثناء دخل أكبر أولاد الشبب فالح إلى الفاعة وبلغ من
العمر ست عشرة سنة شاهدت أيقه كالم والد، غير أن وجهه أقل
استدارة وأضعف من وجه أبقه فقهو الشبب فالح لي قائلاً «حادمكم»
وأمره بأن يشرف على إعداد العداء، ثم وجه كلامه إلي قائلاً «إسي
حجلان لعدم تقديم الطعام المناسب لك لأنك أثبت بدون أن تجربني،
أعذري . أرى أن نأكل كل ما يقدم لك من الطعام الحاهر أفضل مما ننتظر
حتى نذبح لك شاء لأنك حائع حتماً الآن من بعد هذه الرحلة الطويلة»

والمسكوت لفترات طويلة في محالس العرب عادة عبر مستحبة أبدأ
بين الضيف ومضيفه . سألتني الشبب فالح مرتين أو ثلاث مرات قائلاً
«كيف حالك؟» فأجبته «الحمد لله» ثم بسألتني أيضاً أكثر من مرة «هل كانت
سفرتك مريحة؟» فأجبت «كانت مريحة جداً والحمد لله» .

لم يتواء أي فرد من الجالسين بأي كلام ما عدا الشبب . رأيت بهتمك
بتصرف شؤون العشيرة لأن المصايف هي عرف للمقالات حيث يجلس
الشبب صاحباً ومساء يدبر فيها أمور الحفارات ويحسم الخلافات

والمنازعات بين أفراد عشيرته .

بملك عدد قليل من الشيوخ، مثل الشيخ مجيد الخليفة، والد الشيخ فالح، أملاكاً واسعة جداً بحيث يحسب من ورائها مئات الألوف من الحبيبات سنوياً . وكانت الأراضي، فيما مضى، تعود إلى العشائر . وبحكم الشيخ ما دامت عشائره نشعه غير أنه في السنوات الأخيرة كان الشيوخ يملكون الأراضي فعلاً . فأصبح الآن بين العشائر المستوطنة أصحاب أراضي بينما قلَّ شأن رجال العشائر فأصبحوا عمالاً، يزعمون الحصول مقابل حصة من المحصول بدون أي ضمان في امتلاكها . تعود ملكية كل الأراضي في لواء العمارة نظرياً إلى الدولة، وهي التي تؤجرها بعقد إلى الشيوخ . ويدفع هؤلاء الصرافات المترتبة عليهم فيعتبرونها عند ذلك أراضي تعود لهم ولن يسأله أحد عن شرعية ذلك ما دام متقدماً .

والمفروض أنه لا ينبغي أن تكون العشائر سلطات قضائية إلا أن قضايا قليلة بين رجال العشائر (مثل القاضي الفيل، ولكن ليس هذا دائماً) تأخذ طريقها إلى المحاكم الشرعية في بعض الحالات .

ويفضل رجال العشائر تحكيم الدين بعرفهم في مفاصل الموظفين الذين ليس لهم أي شيء مشترك معهم، وأنه نوحه عام، نوصي الحكومة بأن تنفي عبدة عن مشاكلهم وقضاياهم فلا تدخل . عالج الشيخ فالح عدة قضايا . فأصدر أوامره بوجوب نفوية السداد الثنائية قبل ارتفاع منسوب المياه . ثم بحث مسألة تخصيص قطعة أرض زراعية للأرز للمحصول القادم . ثم أندر أحد الأشخاص بأن يدفع حصة غلاله التي لا تزال غير مدفوعة .

وعلى أية حال، نعد أن وجدت من الصعب نزع اللهجة العامية، بدأت أنفرس في وجوه المغانلين وأدرسها . فلغت نظري إختلاف أشكالهم ونراكبيهم العربية والضخمة عن أشكال البدو ونراكبيهم من سكان الحيرة

العربية اللطيفة - اختلاف بين حصان حر العربات وبين الحصان الأصل - .

ولكن من الصعب أن يكون المرء فكرة عنهم تحت ظروف كهذه
كان كل شخص يجلس بهدوء وقد لفت العناية على جسمه، ووضع الكوفية
والعقال فوق رأسه، ذلك العقال الأبيض في هذا الجزء من البلاد. ولفت
نظري أيضاً أنهم أناس دموا الخلق وظرفاء، وهم مستعدون لفول الضبط،
غير أنني شككت في أنهم سيكونون عنيدين وسريع المعصب إذا ما أثبروا.

كان المضرب، الذي فسنته فيما بعد، بطول مشين فدماً وبعرض
عشرين قدماً وارتفاع ثمانية عشرة قدماً. لكنه كان يعطي انطباعاً بأنه أكبر
بكثير من هذه القياسات وخاصة عندما دخلت فيه لأول مرة.

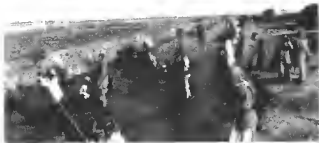
وبسند السقف على أحد عشر فوساً وهي على عرار الأعمدة
الموجودة في المدخل مصوغة من حديد الفصيص الضخم، تربط سوية ربطاً
محكمًا بحيث تصبح محبطة بالمكان الذي يبرز فيه من الأرض (٩) أقدام
ومحبطة من القسم العلوي ٢/٥ فلم



ولاحظت بأن الفصيص بأكمله يمتد حتى يصل إلى ارتفاع خمسة
وعشرين قدماً وبحري ربط حرمان أخرى من الفصيص بعضها فوق بعض
على طول البناية بأسرها خارج الأقواس حتى يكمل الهيكل الخارجي
بحال قطرها عقدتان.

إن هذا التباين بين هذا النصلع الأفقي وشكل الأقواس العمودية
يعطي مظهراً بامت النظر.

أما السطوف نفسها فهي مغطاة بحصائر من الفصيص، نشبه تلك
المفروشة على أرضية الفاعة ومحافة حتى الأصلاص بطريقة بحيث نضمن
أنها تبدو على شكل أربع طبقات. كانت حواش الفاعة بلون ذهبي باهت،
عبر أن لون السقف كان غامقاً بسبب الدخان فأصبح بلون الكستناء الغامق
ويظهر بشكل كأمه مصوع.



فربة الرقبة - تقع على الحافة الشمالية من الأموار

وبإشراف ابن الشيخ فالح ظهر عظم من الحدم ووضعوا أمامنا حصيرة مستديرة الشكل، فطرحوا حمولة الطعام بغيرياء، محاكاة بالأسل الساعم. ووضعوا فوق الحصيرة صنية مستديرة أيضاً، فيها تل من الأرز. كما وضعوا عدداً من صحنون المرق المثلثة من الحصار، وثلاث دحاحات محمصة، وسمكاً مشوياً ونعراً بالإضافة إلى صحنون فيها المحلبة وأفداح فيها اللس المحفوظ وأوعبة فيها الشرير

وفي هذا الوقت، كان معظم الحاضرين قد عادوا المصيف وكنت أنفع أنهم سيمكثون لأن العرب من العشائر نحتج عادة عندما يكون الطعام جاهزاً. غير أنني عرفت فيما بعد بأنه في هذه الأجزاء من الطد يفي الشيوخ من العشائر البدوية فقط دورهم ممنوحة في حيم الضيوف. أما الآخرون، ما عدا في مناسبات خاصة، فإنهم سوففون من أن أتباعهم يتناولون طعامهم في بيوتهم ويظعمون المسافرين القادمين من أماكن بعيدة فقط

والآن رأيت فقط ثلاثة رجال كبار السن صبوحاً بالإضافة إلى ثلاثتنا - أنا ورفيقي أصحاب الزورق.

تناول الشيخ فالح وولده الطعام معنا . وجلب أحد الخدم إناء وإبريقاً فيه ماء ففعلنا أهدبنا بالنعافب الواحد بعد الآخر . ثم قال الشيخ فالح : «هيا . حلوا راحتكم . كألكم في داركم» وبدأ يورعها علينا . فوصح قطعة كبيرة في صحن الذي جيء به شكل خاص وبه ملعقة وشوكة .

ولما شاهدت الجميع يأكلون بأيديهم من الصببة الكبيرة ، بدأت أنا أيضاً أتناول طعامي مثلهم . فقال لي الشيخ فالح : «إسنعمل الملعقة والشوكة لأن ذلك سيكون أسهل لك» . لكسي فقلت له بأسي كنت أتناول طعامي لسوات طويلة بيدي فتعودت على الطريقة التي يستعملها العرب فأجاب على ذلك قائلاً : «إذا أنت واحد منا» .

وبعد الانتهاء من تناول الطعام بدأنا نحسل أهدبنا مرة أخرى ثم قدموا لنا القهوة والشاي . وبعدما لاحظت بأن الشيخ فالح ينظر إلى يدي فنيء ، باولنه إياها قائلاً له أن يعطيني رأيه فيها . لأن كل رجال العشائر لهم ولع شديد بالسلاح .



جسّ ثقلها وأمعن النظر فيها ثم صوب بها ثم قال «هذه بندقية جيدة» وفي الحقيبة كانت بندقية جيدة ثم سأل عن قيمتها وهي عادة منعة عند العرب .

وأخبراً ، مثلما كنت أنوقع ، سألني عن خططي . فقلت له بأنني أريد الذهاب إلى الأهوار حتى أرى المعدان

«هذا سهل . سأبعثك إلى قرية فسات ، وهي قرية كبيرة في قلب الأهوار . ومنها جلبوا لنا الفصب لساء هذا المصعب ، وللشيخ محبذ ، والذي ، ممثل هناك . فإذا أردت أن نمضي لبلنك هناك فإنه يملك داراً مناسبة . وفي هذه القرية يمكنك أن ترى كيف يعيش المعدان ، لا نجد فيها سوى الجاموس والفصب والمياه . يمكنك أن تتجول هناك بالمشحوف فقط . لا توجد أرض بأسف فيها ، وهالك المط إذا أردت أن تصبذ» . شكرته على ذلك وقلت له بأنني أريد أن أمضي عدة أشهر بين المعدان .



من قلب الأهوار بالقرب من بحيرة زكري

«فباب هي المكان الحيد.
وصدام له مصيف فيها،
والمعدان يعيشون كما
نعيش جواميسهم» ثم
استمر قائلاً «بيونهم نصفها
نحت المباء، سليشة
بالعومس والرغووث، فإذا
حررت وسمت في أحد
بيونها رسا بدوس وحهك
الحواميس حلال الليل.
والمعدان هم أناس فقراء،
لا يملكون الطعام
الماسب، وكل أكلهم من
الأرز واللبن. الأقصل لك
أن نمكث هنا حيث
يمكك رباة الأهوار

حبشما شنت ومنى ما نرعب. عدي فوارب ورجال بأخذونك إلى أي مكان
نريده. أمكث هنا في الليل وافصي بهارك في الأهوار هذا هو الشيء
المعقول الذي يجب أن نفعله»

قلت له بأنني قد أمضيت من قبل عدة أيام في الأهوار مع الفصل في
العمارة في السنة الماضية. عدت الآن لأنني مولع بالمعدان وأريد أن
أعرف الشيء الكثير عنهم، ولا يمكسي ذلك إلا بالعيش بينهم «كنت أنتقل
على الدوام في حباتي في أماكن موحشة، ونعودت على العيش بدون
راحة. أمضيت السنوات الخمسة الأخيرة في الريح الخالي العيش صعب
هناك. وكنت دوماً أشعر بالجوع والعطش. أما هنا، على أية حال،

سأحصل على كل ما أريده من الماء».

ضحك الشيخ قالح وقال: «عم، والله، لن نكون في عور للماء. ستام فيها، أنتم الإنكليز قوم عجبون! ليلة واحدة في الأهوار هي كافية لي حينما ينوح من الدهاب إلى هناك لتفضاء الأشعال التي تتعلق بالمسبحة لا أمام هناك من أجل المسبحة. وعلى كل حال، أمكث معي يوم عد ثم أرتب مستلزمات الصيد لنخرج إلى صيد الحماير. سأبعثك إلى قرية فياب بعد غد وأطلب من صدام بأن يهتم بأمورك وبعثني بك ولا بد وأن نتحول هذه الليلة معي في المزارع لأرى عما إذا كنت قادراً على صيد بعض طيور المحل. سأؤكل الآن لكي نستريح».

ثم سألتني قائلاً: «هل اصطدت يوماً حزيناً؟». كنت حذراً، إنها حيوانات خطيرة، وفي الأسبوع الماضي هاجمت إحداها شخصاً وفكته بالقرب من هذا المكان بينما كان ينظر إلى رعيه. إسي أشك أن نحد حزيناً هذا اليوم. ولكن لا بد أن يحد بعض طيور المحل».

كنا نسير برتل معرد على طول حاجر نراي بحادث فاة ري واسعة ويؤدي إلى سنان نخيل بلوح لأعيننا مطلقاً إزاء السماء وهذا الحاجر الذي صبغ الإنسان جعلنا نرتفع عن مستوى الأرض المنسطة والمسيحة جداً والذي يشتهر به القسم الجنوبي من العراق.

فالأرض الميسطة تمتد باتجاه الشرق نحو مائة ميل حتى سفوح التلول الإبرانية، وإلى الجنوب مقدار (١٥٠) ميلاً حتى البحر، وإلى الشمال مقدار (٢٠٠) ميل حتى بغداد، وإلى الغرب إلى ما وراء نهر الفرات بحيث ندمج مع صحراء الجزيرة العربية. وكنا نفر من حين لآخر، سافرة يجري فيها الماء لسفي الحفول نحنا. واندفعنا مرة مسافة قليلة ونحن نسير نحت أشجار المحل فمشينا بسرعة من خلال غابة نخوي على أشجار ذات أشواك ارتفاعها (٣ - ٤) أقدام حتى وصلنا إلى أرض مكشوفة. وهنا

وجدنا الأرض لزجة ومغطاة بطفة من الملح . وعملنا هذا هبنا طيور
الحجل البرية السوداء، فلم تسبح لنا أية فرصة حتى نطلق النار عليها .

وعند عودتنا إلى القرية، رأينا ثلاثة طيور من الط هو نظير هوفنا،
فادعة من الأهوار على ارتفاع عالٍ، فأطلق الشيخ فالح طفلة أصابت واحدة
منها فسقطت على الأرض . هأنه على رمية هذا وعجبت عما إذا كانت
رمية من عبر رام أم أنه رام جيد . واكتشفت فيما بعد أنه رام ماهر وهذاف .

وصلنا القرية عند العسق، وحدثنا فانوساً بصي المصيف، معلناً من
السف بواحدة حبل، وحدثنا سنة أطفال وهم حالسون في الداخل . ثم
قال الشيخ بأن موعد صلاة المغرب قد حان وعلي أن أؤدي الصلاة .

كان المصيف ينحه نحو القلة الجهة التي ينحه المسلمون في صلاتهم
نحوها على الدوام، والمعروض أن المسلمين يصلون خمسة أوقات - وقت
العصر، عند الظهر، وقت العصر، عند غروب الشمس ثم صلاة العشاء من
بعد مصي ساعتين . ولاحظت أن  المصلي قليل في هذا المكان وأن
المصلين هم من كبار السن .

وبعد أن انتهى الشيخ فالح من أداء الصلاة، طلب إحصار الطعام،
ولما جاءوا به، رأيته على عرار الطعام الذي قدموه لي من قبل ما عدا
وجود لحم صأن مقلي بدلاً من لحم الدجاج ووجود بعض الفطع من اللحم
في أطباق المرق . وبعد الإنهاء، جاء الحدم ورفعوا الصحون ثم نظفوا
المائدة ثم جاءوا بعده من الحصران والعرش والوسائد وأغطت النوم المظنة
بفماش أحمر اللون أو أحمر أو أصفر . وفي معاً رجلا من كبار السن
فأمضوا الليل معنا ثم أمر الشيخ أحد الشبان بأن يجلب سدفينه ويبقى
ليحرمنا حتى العجر .

بعض الشيخ فالح ليتركنا حتى ننام ونمنى لنا ليلة سعيدة ثم عبر إلى
البنية المنية بالآخر حيث بعش فيها هو وأسرته .

أطفا الشاب الفألوس، وشرب ما تبقى من القهوة، وجلس يحرك
جمرات النار.

وحدث هذا الشاب ذا لحم صحم، ووجهه مملو يشوّه الجمال.
وعندما بدأ أحد هذين المعجورين بالشحير صاح في وجهه بأن يكف
عن الشحير، فأنقلب هذا المعجوز إلى جهة أخرى محدثاً صوت أجش
يخرج من فمه وبدأ يشخر مرة أخرى بعد فترة وجيزة جداً واشتم الشاب
بوجهي وقال لي «المسون بشخرون دوماً»



مركز أبحاث ونشر في الدراسات الإسلامية



مرکز تحقیقات اسلامی و مطالعات اسلامی

٢ - صيد الخنزير البري

نهض عبد الرضا الفهواني عبد المحر وأشعل النار، وسرعان ما امتلأت العرصة بالدخان. أما الشاب الذي كان يحرسنا فقد حرج. ونهض العجوران الآخرون من نومهما وهما ينشعنان لإحراج اللعن من صدرهما ثم يصفان على الأرض

وبعد أن أكملنا وصورهما أدباً صلاته للمحر ثم جلسا وانحنيا على النار.

مركز تحقيق التراث في مكتبة المتحف العراقي



صيد الخنزير في الأهوار

يبدو أن الحو بارد، ولهذا السبب نقيت في مامي حتى جاء خادمان
ليرفعوا المنام فجلست عند ذلك مع الجماعة وناولني الفهواني فنحنأ من
الفهوة.

وبعد فترة، جلب الخادم الفطور المنكون من فطيرة محلأة مصنوعة
من دقيق الأرز وموصوعة في إناء واسع خشبي اللون وحلب معه الحليب
وفيه سكر موضوع في الكنثي.

وصع حصنا فوق الرولية أمامنا وكانت الشمس قد بدأت لتوها
بالشروق ناعثة أشعتها الذهبية فأصابت أعمدة مدخل المصيف.

وبعد مضي ساعة أو ساعتين جاء الشيخ فالح ومعه حشد من أتباعه
المسلحين حتى نرحر لصيد الحنازير



تسبباً لوعده. وبعد أن تناول الجميع
الفهوة، فخرحنا من المصيف
الطراوة التي ركبها الشيخ وابنه.



رأيت الطراوة ذات شكل تقليدي



الطراوة

نسع لأثني عشر شخصاً، طولها ستة
وثلاثون قدماً، وعرضها في أعرض
مكان من الفعر ٣/٥ قدم، فيها عرش
محمورة فعرها مبسط ومطلبي من
الخارج بطقية ملبساء من القبر فوق
ألواح خشبية. مقدمتها محمورة بنقوش
تنحح إلى الأمام وإلى الأعلى نماداً
بحيث تصح مقدمة مستندفة، طريفة
ورفيعه. أما المؤخرة فهي الأخرى
مرينة بنقوش محمورة أيضاً وعلى بعد

فدمين من المؤخرة ومن النحويث نفوش مرخوفة بشكل لطيف . أما المفعد الذي يجلس عليه الجذاف فإنه يقع في الثلث الأمامي . ورأيت أيضاً عوارض خشبية للثقبية تقع في الثلثين الأماميين من الزورق . كما رأيت أيضاً ألواحاً خشبية غير ثائرة مرفوثة على أرضية الطرادة .

أما الجزء الأعلى من الأصلع فهو مرصوف بألواح خشبية على طول القسم الداخلي ومثبتة بخمسة صفوف من المسامير نزيب الطرادة وهي علامة مميزة لطرادة الشبح . وبعد سوات عديدة، شاهدت في أوصلو، معس الفايكك وهم يحتفلون بها . وسرعان ما ذكرني بالطرادات التي رأيتها في الأهوار، لأن كل النوعين بسيط ولطيفة الشكل . كان عدد الجدافين أربعة أشخاص . اثنان منهم في المؤخرة واثنان في النحويث . وكانوا يجدفون بإيقاع منظم وعلى نفس الجهة ثم يتم استدال شخص واحد إذا دعت الحاجة . أما الركاب الآخرون فإنهم يضعون أسلحتهم بحاسهم ويزعوا عباءاتهم، وكل واحد منهم يحمل صفاً خاص به عناد كامل وحجبر منرس ذو شعرة رقيقة في القصة الأمامية من حزامه

تقع الأهوار على مسافة ثلاثة أميال عن مصيف الشبح فالح . ولما دنونا من الأهوار كنا قد عرنا قرية كبيرة نمتد مسافة منتي باردة على امتداد الساحل الأيسر من محرى النهر . بيوتها مبنية على شكل صفوف، مصنوعة من الحصران، مثبتة على أفواس من القصب بشكل متوازٍ مع الساحل، والبيوت متفارة بعضها من بعض وأمامها عحول الحاموس وهي مرفوثة وعدد من الأنفار وهي سائبة تتحول هنا وهناك . شاهدت حصانين أو ثلاثة أحصنة، أحسادها معطاة بقطعة من القماش وأرحلها الأمامية مغطاة بسلسلة حديدية . ورأيت حبول الشبح فالح مغطاة بهذا الشكل أيضاً . وعندما سأله عن سبب ذلك، أحاسي قائلاً : « هذه الفيود تبيع الناس من سرفة الخبول . إذا ربطت الخبول بالحبل فيبإمكان السارق أن يقطع الحبل ثم يفكر على ظهره ويحتفي عن الأنظار . حبولنا أصيلة ، وعالية الثمن ، لذلك يعتني بها

ونحافظ عليها».

ثم سأله قائلاً، «لماذا نلقون حسم الحيل بالفماش بهذا الشكل؟ مع العلم أن الجو غير بارد». فأجاب «حتى سمع الذباب من سم أحسادها».

كانت الكلاب تتساق على امتداد الساحل ويقف بعد أن تقطع مقدار (١٠ - ١٥) باردة ثم تبدأ بالسباح بشكل حوئي وقد كثرت عن أمابها. وكانت كل مجموعة من الكلاب نسلماً إلى مجموعة جديدة أخرى عند حدودها.

وحدثنا الأطفال برافوسا بسكون، والنساء يطرطن من البيوت وهن غير محجبات. لم نشاهد عبر عدد قليل من الرجال.

نوحياً نحو الساحل نحت بيت كبير فصاح أحد أناس الشيخ فالح قائلاً «زابر محبس» فحرج رجل كبير السن وهو يضع على رأسه الكوفية وقال «مرحباً، مرحباً يا محفوظ، تفصليهم، انفصلوا» إلا أن فالح أبى أن ينزل ولو أن الرجل ألخ علينا كثيراً حتى نهرب القهوة

سأله فالح قائلاً «هل أرسلتم الرجال إلى اليوم بزوارفهم؟»
«نعم يا محفوظ، كلهم هناك، ينتظرون فدومكم من مدخل النهر»
«هل نوجد حازير داخل الفصب؟»

«نعم، كلها متعرفة تماماً، المياه ضحلة لا تساعد على تجمعهم في الأرض التي فيها الفصب»

«نعال. اركب معنا» فنسلق زايد محبس الزورق وحلس على أرضيته.

يحلس المسافرون دوماً في بطن الزورق، وأما مكان الشرف يبدو أنه أقرب ما يكون إلى مؤخرته، منازل الحذاف في المؤخرة.

وعندما يهدف هؤلاء الرجال، يحلس اثنان منهم في مؤخرة الزورق على ظهره المرتفع - الواحد مقابل الآخر - ويحلس الثالث على المحذاف

الأمامي فوق خشبة رابعة عبر مريحة، بينما بحلّس الرابع راکعاً على ركبتيه
في بطن الزورق.

سألت الشيخ فالح قائلاً: «هل هؤلاء الناس هم معدان؟».

نظر نحو زاير وشادلا الانسامة ثم قال: «كلا. هم فلاحون. المعدان
يعشون داخل الهور سنراهم فيما بعد عندما نصل إلى قرية فاب».

تركنا حفول الضح والشعر وراما قبل أن نصل إلى القرية. وحدنا
النهر الذي نسير فيه صحلاً وكان الجذامون يحدون صموية أثناء الجذف.
وكانت صفاف النهر واطنة وإذا ما اعتدلت في حلستني بمكنتني أن أرى
الأشياء عبر هذه الضفاف.

رأيت مساحة من الأرض تمتد بمقدار (٢٠٠) ياردة، معطاة بالطبن،
ملبئة بالطحلب. نلمع تحت أشعة الشمس، ورأيت فطبعاً صعبراً من طائر
بشه اللفلن، أبص اللون وطائرين من طيور مالك الحريس، لوبهما أصفر
برنقالي، وافيدير وفد احدودبي ظهرهما حنجر نحصبا البص على حافة
صغيرة. ورأيت عدداً من العرسان المقعدة الألوان فتعاكز فيما بينها محدثة
صحيحاً وصحاً حول قطعة من القاية

أشار الشيخ فالح إلى أرض وقال: «هذه الأرض هي التي يرعون
فيها الشلب، سوف يباشرون بتطيف الحفول بأسرع وقت ممكن».

وفي الأمام، بإمكانني أن أرى عدداً كبيراً من الرجال والزوارق. ولما
افترينا منهم، رلنا من الزورق ووفما فوق آخر قطعة صغيرة من السدة
النرايبة الآحدة بالتناكل وففة عبر مستفرة. فعاص سرعة عدد قليل من
الرجال المسنين في الماء والطبن وهم يرندون ملابس أفضل من سواهم
وذلك حتى بسلّموا على الشيخ وبخلوا بده. أما الآخرون، ومعظمهم من
الصبيان، فكانوا جالسين أو واقفين في روارفهم على بعد في الماء العميق
وبرندي بعضهم عباءة حشة سوداء وهي مملوكة حول حصرهم. أما بقية

أحسامهم فهي عارية

أما البقية من الرجال فكانوا يرتدون الدشدشات وهو لباس العرب الثقليدي وقد رفعوها وعقدوها حول أفخاذهم . ورأيت شخصين وهما اللذان بسحان الزورق من خلال الماء الصحل فد رفا ثوبيهما إلى الأعلى لحد إبطهما وهما عاريان بهذا الشكل تماماً ولا يكثران إلى أحد . وكان معظمهم يضع على رأسه الكوفة (العزة) ويحمل الكثيرون معهم الخناجر .

وكان عدد من الصبية يحمل بده الهراوة وعلى رأسها قطعة من القير ويسمونهم المكوار . ولما رأى هؤلاء الصبية أنني أنظر إلى هذه المكاور ، ناولني أحدهم مكواره وهو ينسم

ويشكل عام ، كان هؤلاء الناس ذوي أحسام فوية ويطول معتدل مع مشرة سمراء لمحتنها الشمس وذوت وحوه برشة وصريحة وعيون واسعة وأبواب عريضة



كانت عالية زوارفهم المبطنة بالحرير صعيبة وتعرف فيما بينهم باسم المشحوف ، وكان لكل نوع وخصائصه الخاصة .

كما رأيت عدداً قليلاً من الماطورات في الماء ، يمكن أن نحمل شخصاً واحداً فقط وهي تستعمل لمطاردة الطرائد . كما نوجد ماطورات أكبر من هذه قليلاً نسع لشخصين وهي بحجم الزورق الذي انتقلت به من المحر الكبير .

ملأ عدد كبير من الرجال روارفهم بالسهام التي يصيدون بها السمك وكانت نهاياتها الحشبية في الماء . وشكل هذه السهام محيف ولها بده من الجيزران بطول (١٢) قدماً مع خمسة رؤوس تشبه أسنان الشوكة الكبيرة ، وكل واحدة منها مرودة بشوكة ذات صارة ويسمون بها (العالة) .

وافترح الشيخ فالح بأن أسلح بندقية الصيد لأنه من الخطر استعمال البندقية مع عدد كبير من الناس حول هذا المكان .

فرحت لكلامه هذا، ورأيت الحداشين فقط يحملون السنادق ولو أن
الفرويين جميعاً يملكون أسلحة نارية كثيرة

لقد حصل رجال العشائر على الأسلحة وخاصة البنادق الإنكليزية
والتركية من ساحات المعركة في الحرب العالمية الأولى واحتفظوا بها ولم
يحردهم أحد منها. وهم لا يرالون يحصلون على العتاد طالما يستخدم
الجيش والشرطة البنادق الإنكليزية. وأما عتاد البنادق التركية فإنهم يحدون
صعوبة في الحصول عليه وتنم في بعض القرى إعادة إملاء ظروف الأعداء
التركية الفارغة بالارود المصنوع محلياً مع رصاصنها إلا أنها عملية خطيرة
بوعاً ما.

أما في الحرب العالمية الثانية فكان الحال في العراق قليلاً، لذلك
كانت فرص السلب قليلة أبصاً ولكن في إيران جرى حل الجيش وقوة
الشرطة بشكل واسع قبل التقدم البريطاني فأخذ كل جندي بدفته معه إلى
بيته. وأتيحت الفرصة للعشائر للحصول على الأسلحة النابعة
للحمايات. ولكن، لما أحسوا أن تركتهم في بيوتهم مع الأسلحة
أنفسهم من العقاب الصارم الذي لا رحمة فيه إذا ما وحدوا الأسلحة
بحوزنهم لذلك بدأوا ينهرب معظمها إلى العراق. وكانت نباع شمن بحس
لا يتجاوز الخمسة دنانير. أما الآن فيقال بأن السندفة الواحدة تساوي مائة
دينار

تسمى البنادق المصنوعة في جيكوسلوفاكيا - (برنو) وهي مأخوذة من
العلامة Brno المفوشة على السلطانة. ولأحطت هذه العلامة مثبتة على
البنادق التي يحملها أناس الشيخ فالح في الرورق.

رأيت الشيخ فالح بنصت إلى شكوى أحد أتباعه حول توزيع بعض
الأراضي الزراعية لزراعة الشلب فقال له:

«كافي - نعال ناچر إلى المصيف بعد شروق الشمس بساعتين وأخير

حسن بأن يحضر أيضاً». ثم سأل: «هل أدمم موجود؟». ماذ عليه». فرأيت شخصاً قصير القامة، يعرج قليلاً، يحرص من الزورق الأبعد ثم يدفع ببحه نحونا. حاول بخصوع وتذلل أن يقتل بد الشيخ فالح إلا أنه يادره قاتلاً:

«هل أعطيت عشرة دنانير إلى جاسم وكنت أمرتك بذلك؟».

«أردت أن أعطيه يوم عد يا محفوظ».

«أمرتك قبل عشرة أيام بأن نعطيه».

«كنت مريضاً. وأنا بومير».

«الراحه جنت في المجر حسما سمعت».

«رحت أراجع الطبيب وأشتري الدواء».

«ما راجعت الطبيب أبدأ قضيت الهار في عرس بضيف».

«والعاس! راجع الطبيب...».

«كلب ابن الكلب. أحمرتك إذا ما راجعت المصلع إلى حاسم راح

أعافبك، أنت عشاش وكذابوه. يا حزين، خذني إلى حزنك وفل له حلي بيقه عنده إلى أن أعود. فل له حلي بربطة. خذني! روح يا كلب. راح أشوفك شلون نطيع الأوامر».

وعندما تقدم شخص آخر ليعرض عليه شكواه، قال له فالح «كامي - تعال وياتا وشوفنا الحنازير. أريد أشوف أشلون بصيد هذا الإنكليزي» ثم التفت نحوي وقال: «إركب داك المشحوف. كر حلواً لما تنفل به هذا الشخص راح يحذف مشحوفك».

تسلفت على ظهر المشحوف الذي جاءوا به بالقرب مني وأما الشيخ فالح وإيمه فركب كل واحد منهما في مشحوف ثم بدأنا نجذب باتجاه القصب والآخرين من ورائنا. ولما وصلنا إلى المياه العميقة وضع كل شخص الردي أو الفالغ التي يحملها ويدفع بها المشحوف ثم جلس في بطنه وبدأ يحذف بصرات قصيرة وسريعة. وعندما يكون في المشحوف

أكثر من شخص واحد، يأخذ الجميع أماكنهم في الحانب نفسه وفي الوقت نفسه .

انفثع الصباب الذي كان سائداً في يوم أمس، فظهرت السماء زرقاء صافية، باهتة الضياء، وتنتشر هنا وهناك قطع صغيرة من العيوم .

المجاذيب كانت نعوص في الماء وتشكل ما يشبه الدوارة ويتطاير الرذاذ حينما يرفعونها ونسافط على الماء وهي باردة جداً . سرنا وتركنا الحدود الطيبي الذي بدأ من بداية المجري وراءنا ثم سرنا بين نباتات الردي التي تنمو في المياء الصحلة . والآن نحن بين الفص الذي يغطي معظم أحراء الهور .


وهذا النبات الضخم يبدو أشبه بالخبراك وينمو بشكل كثيف في مئات الفص ويبلغ ارتفاعه أكثر من عشرين قدماً . وبنتهي الساق برأس، فيه خصلة صفراء، باهتة اللون، كثيف إلى درجة يستعمله سكان الأهوار كمخفاف .

دراسة علمية في علم البيئة

وهي هذا الفصل، كانت مئات الفص المحاذية لمحري المهر الضيق عبر كثيفة وتبدو لطيفة المطر لأنها هي من بقايا العام الماضي، لولها دهي باهت، وبعضها قصي رمادي ما عدا عبد القاعدة فتكون بلون أخضر لأنها تنمو من جديد ويبلغ ارتفاعها في ذلك الوقت بضعة أقدام

رأينا أمامنا مجموعات صغيرة من الطيور الماصبة وهي منتشرة فوق سطح الماء، تطوف في ظلال مئات الفص، كما رأينا الطيور المائية المسماة الزُفَّة والغاق، وهي قابعة نشر أحبحنها الداكة على سيقان البردي حتى تجف لأن فطرات الماء كانت نسافط من أحبحنها . ولما شعرت بوجودنا، غطس بعضها في الماء وطار بعضها الآخر بارتفاع واطىء ثم ظهرت من خلفها الطيور المسماة بمالك الحرين من بين البردي الباس محدثة ضجيجاً عالياً حينما بدأت ترفرف بأحبحنها حتى تطير .

بلغ عدد المشاحيف أربعين مشحراً. اردحت في المجرى المائي الضيق، فاحتكت بعضها، وارنطمت، لأن الوثبة تسابقوا فيما بينهم وهم يصيحون ويضحكون حتى بحثوا هذا الممر الضيق ثم بتشروا في الماء الواسعة والفسحة

ولست أدري، هل كنا نتغل نحو الأهوار أو أننا كنا نتغل بموازاة الساحل لأن مابث الضب أصحت منشاكه وأحاطتنا من كل جانب وأصح المجرى المائي أكثر صيفاً وأكثر النواة خرحا فجاء من هذه المسطحة المليئة بالنباتات ودخلنا في بحيرة صحلة معطاة بالنباتات فرأينا جزراً صغيرة، كثيرة العدد، بعضها تعد مسافة قصيرة جداً عما وبعضها الآخر تبلغ مقدار فدان أو أكثر نصد الطرف المبد من البحيرة الضحلة ويسمى سكان الأهوار مثل هذه الحزر باسم «طحل» بعضها عاتصة وبعضها الآخر ذات نربة رحوه  وكلها معطاة بالفص، وهنا رأيت القصب بارتفاع (٨ - ١٠) أقدام، وبأنواع مختلفة من نبات المردى، أوراقها حادة بحيث نسه أن نطعن الحلاقة، وبالعلقات وبعد قليل من أشجار الصمصاف وأنواع مختلفة من النباتات المتسلفة ونجد تحت كل هذه النباتات نباتاً من فصيلة المعاع ونباتات داك أشواك منشرة وأخرى أرحوبة اللون ونباتات مائية ونباتات من أنواع أخرى

كانت الأرض نبدو وكأنها صلبة لكنها كانت رطبة. وهي بالفعل تتألف من طينة من جذور النباتات ومن نباتات متفسخة تطفو على السطح.

وبعد عدة سنوات، أطلقت رصاصة على حنبر ذكر، كبير الحجم، كان يأكل طعامه من حيرة نشه هذه الحيرة وكانت قد احترقت قبل فترة وحيرة. وحدث هذا الحنبر بفوق أرض صلبة حينما أطلقت عليه النار ولكنني حينما عبرت إليه لم أعثر على العجة «ربما لم تكن إصابته فأنلة هوئي هارياً واحتي»

«كلا. كلا» أجاب رهبني «أنه قُتل وغرق في الماء».

وفي إحدى هذه الجمر، كان زورق الشيخ فالح بمحرم بحوار زورقي.
وقال لي وللآخرين: «هذا هو المكان نعالوا وأدخلوا في هذه الجزيرة لآرم
نشوفون شيء». فحطوا عدد من الرجال على الساحل وبأبدبهم الريح وهم
منأهبون لكل حدث طاري، لكنهم لم يجدوا أي شيء. ثم دخلوا جزيرة
أخرى ثم جزيرة ثالثة. وأما أنا فكت أرافط طائرين وهما بعردان ويفقزان
بين الفصص ثم سمعت أصوات عبارات بارية فحصلت ثم أعفب ذلك
صباح.

«هذا حنبر هالك، نعالوا سرعه، رافبوا المكان، با الهى، هذه
أربعة حاربر».

وأعفب ذلك فترة اندهاش وسكوني.



«وبن راحت الحنازير»؟ سألت أحدهم

«راحت بالمائي، شفت وجدو منهم مررت من بين قدمي. قسماً نافله
حجمها حجم حمار! قسماً بالمائي»
ثم صاح شخص آخر «رميت رمحي وما أصبت. هي أنثى ومعها
ثلاث فروخ»

وصاح الآخرون «احتفت هنا طوفوا المكان واقطعوا عليهم الطريق
حتى لا يهربوا». دخلنا في ممر صيق يضع بين حريرتين، لكن، رأيت
الحذاف يحدف بسرعة إلى المباء المكشوفة وحات من وراءنا ووارق
أخرى.

انظف الصبد إلى جزيرة أخرى. ولما افترنا منها، كان هناك مرج
ومرج وصباح بصوت عال. ثم سمعنا صراحاً حاداً فصبراً، وضحكة
وشخص يصيح «شفنهن»، شمت أصغر وحدة رمبها بالرمج. راحت في
المائي وأنا أحاول إغراقها»

وهي هذه الأثناء عبر الشيخ فالح مزورفه وكان قد نزع عباءته وبدأ بحذف بنفسه.

«وين راح الخنزير الكبير يا مناني؟» سأل رجلاً عجوزاً، فوي البنية، كان يفود القصد إلى مسافة بعيدة.

«هانت بداخل الحزيرة الكبيرة. هناك. حسبما أعرف.. يا محفوظ. نعم. هذه آثاره. نعالوا. حلي نطلعه من هل المكان!»

إندفع مناني بسرعة وغاب عن الأنظار داخل أجمة القصب ثم نبعه شخصان آحرا. وموسعي أن أسمع صوت نفلهم وصاح أحدهم وهو يقول. «ما حاء الخنزير بهذا المكان» ثم صاح مناني بعد قليل «هاي هي آثاره».

لم يحدث أي شيء لحد الآن، على أية حال، واعتقدت أنهم قد دوا آثاره ثم سمعت أصواتاً من بعيد وزعيفاً يقول «راح بنفلي» راح بنفلي» وصاح آخر «حرج موني نعالوا يا ولد بالعجل. وبس هم المغانلبن».

إندفع عدد من الأشخاص من حلال القصب ثم بدأ الشيخ فالح بحذف بشكل حوئي كما بدأت أجدف ونسعي آحرون ونوحهنا صوب الحانب البعيد من الحزيرة حيث وجدنا مناني قد أخذ إلى زورفي كبير آخر، فمبصه ملطخ بالدماء وممرف، ووجدنه ممدداً وقد أعصر عينيه ثم رأبت حرجاً عميقاً على عجرة الأيمن وموسعي أن أدخل فيه جمع يدي.

مال الشيخ فالح عليه وسأله بفلز «شلونك يا مناني؟» ففتح العجور عينه ونعتم قائلاً «أنا بحير يا محفوظ». نه أمر الشيخ بأن يأخذوه بسرعة إلى الخلف إلى مدخل العر والذي لم يكن بعيداً من حسن الحظ

ولما بدأنا نحذف وبحر عائدون قال أحد الصبة «هاي أنتي هي اللي

عقله . لو چان دكر كان بشفه بآنباهه ويغله»

وقال آخر «لوما بنصرف زين ويدب نفسه على بطه لكان بفنفل . شفت رحل قبل سنين من أرض عشيرة الريح بعدما قتله حنزيه . شعت نصف أمعاه خارج بطه» .

وقال آخر «الحنزير اللي فتل شاب من الساذة بحفل الحنطة من العام الماضي مرفه وصله وصله . كان الشاب بوحده وعبر مسلح ويحور داسه الزرع كان بارنفاع عالي وما محصود . رحف الشاب بانعاه الفربة لكن فقد الحياء فل حروحه من الورع» قال شاب آخر «هل تذكر لما ركب هاشم على ظهر الخبير؟» .

«إي والله» أحاب صاحبي المحدث «كان هو وأخوه بفنشوي حفل الشعير العائد لهم شافوا حنزير ذكراً الس، رمادي اللون . أراد أخو هاشم برميحه لكن معه هاشم من الرمي . امسح وما طاع أمره فرماه وأصاب الحنزير في بطه» .
مركز توثيق ودراسات
«نعم» فاطمه آخر «هو رامي غير جيد»

واسمر الحذاف فائلاً «هجم الحنزير عليه وطرحه على الأرض شن الحنزير ذراعه افترب هاشم حلهه وطعنه بحجر على كتفه ولما استدار الحنزير نحوه ، ألقى الحنجر وفقر على ظهره وولّى هارباً وهاشم لا يزال على ظهره وهو بمسك من أدبيه . توجه الحنزير نحو بستان السيد علي وسقط على الأرض لما أراد أن يعبر ساقية عريضة . وقال هاشم أنا ما أريد أركب على ظهر الحنزيه مرة أخرى أندأ» وصحك المسمعون لأقواله .

وقال رجل عجوز «الحنازير هي أعداء نأكل محاصيلنا ونفعل رحالتا . الله يفنلهم! إنبو ماني أصبح عاطل ما بقدر يشغل بعد . هذبح الحنزيه فصت عليه»

وصلنا إلى مدخل المجرى فوجدنا طرادة الشيخ فالح مع عدد قليل من الناس بانتظارنا لأن ضمني الهر عالبنان وعربضنان.

نزلنا ويدأنا نحسب الزورق ومائي في داخله. كان معدداً على جنبه، بسد أحد الرجال رأسه. ويدو أن الثوف كان قليلاً لأن الماء الذي في فعر الزورق كان ملون وردي عبر أن الحرح كان قطيعاً وخطيراً جداً. فالحهابات الممزقة للعضلة نبرز في اللحم الذي يمز منه الدم. تحرك منائي قليلاً حتى يرى حرحه ولكنه لم ينطق بأية كلمة، كان في صاديفي التي نركنها في قرية الشيخ فالح كمية كبيرة من العفافير الطبية وإني عبر مؤهل كطبيب، ولكن، بعد أن أمضيت عشرين سنة في السراي والفعار، وكل فرد منهم يتصور بأسى بحب أن أداوي المرسى والحرحى، لذلك فقد اكتسبت خبرة طبية.

وبالإضافة إلى ذلك، كنت أنظر في ورعه نسح لي، أنوجه فيها إلى المستشفى وأنحول في الصالات وأراقب العمليات الجراحية. ويعملني هذا استطلعت أن أكتسب معلومات جراحية من أخصائيين جراحين ولا بد أنني قد حصلت على معلومات أكثر خلال السنوات التي أمضيتها في الأهوار.

والآن قلت للشيخ فالح: «من الأفضل أن نرسله بسرعة إلى المستشفى حتى أنمكن من معالجته هناك، وألف على حرحه الضماد، وليس توسعي أن أفعل أي شيء أكثر من هذا. يجب أن نرسله بسرعة إلى العمارة».

«لا نرسلو إلى المستشفى» رد منائي قائلاً «لا إلى المستشفى. حلني أبقي بفربي» أريد من الإيكلييري أن يعالجنه.

وقلت: «على أية حال، لازم نرحع بسرعة إلى القرية» غير أن الشيخ فالح أصر قائلاً بأن الطعام حاهر «ويجب أن نتناول الطعام أولاً ويعدين نرجع».

كنت في حالة غضب حينما اسمع مناني قائلاً «على كل حال، أنا حانع، أريد شوية أكل فل ما نأخذوني من هذا المكان» استسلمت للأمر ثم مشيت متوجهاً نحو المكان الذي أعدوا فيه الطعام فوق حصيرة من القصب، فرأيت طبقاً كبيراً مخلوطاً بالأرز وعلبه قطع من لحم الصان بالإضافة إلى وعود الدجاج المحمر وصحون من العرق، وكنت أرجو أن تكفي بهذا الحد ونطلق بسرعة عائدين، ولكن رأيت أناساً آخرين يجلسون على المائدة من بعدنا ثم تأتي جماعة أخرى من بعدهم حتى تناول كل فرد طعامه، ثم حيء بالقهوة والشاي

ما استطعت أن أكنم نائري وهياحي أكثر، فمشيت نحو مناني ورأيت قد أمسك بقطعة من لحم الصان وتحدث إن كان حفاً فد تناول الطعام، كان يبدو شاحب الوجه كهينة الميت. وأحيراً عدنا إلى قرية الشيخ فالح، وبدأ مناني يتوسل مرة أخرى بأن لا نرثب إلى المستشفى، غير أن الشيخ فالح أقفعه بصرورة دماغه.



يبدو أن الحبر قد جف من قلمي فطعمت كمية من عجزه. حفسته بإبرة من المورفين ثم نظفت حرجه وشرت عليه كمية من مسحوق الصلغوباميد ثم أحلستاه في الزورق على أكثر ما يكون من الراحة وأرسلناه إلى المحر الكبير ومنه إلى العمارة

صادفته مرة أخرى بعد مصي سنة من الزمن حينما تناولت وجبة الغداء في قرية وقرعت حينما رأته يرحب بشكل دائم، لا يفتر على الحركة مالم يستند على العصا الذي معه. سألته عن المدة التي أمضاها في المستشفى. أحابني قائلاً: «لما وصلت المستشفى ما دخلوني، رجعت إلى القرية، الحمد لله. دواك هو الذي أشعاني ما أحدث أي شيء آخر»

وعلى أية حال، نساوري الشكوك من أنه لم يقترب من المستشفى أبداً، بل إما عاد إلى قرية في مضيف الشيخ فالح.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

٤ - الوصول إلى قرية قباب

أرسلني الشيخ فالح في اليوم الثاني إلى قرية قباب في زورق بحذفه
ثلاثة أشخاص وقال لي: سيأخذك هؤلاء إلى صدام عد إليها جميعاً
نشعر بالصجر في عيشك بين المعدان، نذكر بأن هذا البت هو بينك
إذهب مع السلامة»

شرعنا بالرحيل سالكين المعبري الرخسي من النهر ثم صادوا مصيماً



محققاً شكوكهم بمرورهم بسدي



قرية قباب - إحدى قرى المعدان في الأهوار الوسطية

كبيراً آخر وقال لي انحداف بأنه يعود إلى السيد (سروط). وعرفت أنه هو أكثر السادة المحليين هبة واحتراماً بحيث إمندت سمعته في طول القسم الجنوبي من العراق وعرضه. ولهذا السبب لمضيفه حرمة وفدسية كبيرة كحرمة الجامع وفدسيته.

واليوم يسمى كل شخص من سكان العراق نفسه سينداً بطريقتة أنه يتعلم، كما كان الحال عليه في العهد التركي حيث كان يدعو نفسه أفندياً وفي هذا المعنى، كلمة سيند تعني «مستر» وليس لها أية علاقة أو دلالة دينية. أما بالنسبة إلى العشائر فإن كلمة سيند لا تزال لقباً محترماً يشير إلى أن حامله من سلالة النبي محمد ﷺ.

وبعد مصيف السيد (سروط)، نمند قرية صغيرة أخرى على طول النهر، يتصاعد منها الدخان الرمادي اللون فوق خط السوت. وأرى حواميس وحيوانات سوداء، مطيرها قبيح، وأحسامها ضخمة، وحلودها فدره، بعضها واقف على طول الساحل، وبعضها الآخر عائض في النهر، لا يظهر منها إلا الأنف وفتحة للزئير والفرون المقوسة والسبيكة. وعلى الساحل أنواع مختلفة من المشايخ المختلفة الأحجام، وعلى الباسة بقايا منفسخة للمشايخ وأنواع خشبية منسافطة منها. كما رأيت مجموعة من فروخ الكلاب وهي نحري بجابتنا وتنبج ورأيت رجلاً ينظر من خلال باب بيته وهو ساكت، فقال لي انحداف «هنا صاحب. سلم عليه»

صحتُ بأعلى صوتي «السلام عليكم» فأجاب «عليكم السلام» ثم أضاف قائلاً: «نصلوا لتناول الطعام».

فأجبت «أكلنا. الله يحفظك».

«كلش زين» قال الرجل الذي نحاسي «لازم نتعلم عاداتنا، شوف، من عاداتنا أن يسلم اللي في القارب على من في الساحل، والقارب النازل يسلم على القارب الصاعد».

كما رأيت صغراً من أشجار الصفصاف الحرداء، فيها براعم صغيرة خضراء، تمتد على طول ضفتي النهر تحت الغربة. تتدلى أعصانها السفلى إلى النهر وتلامس المياه الموحلة وهي عائصة في التيار الجاري. وخلفها أحراش من الحجل غير المعنى به. ورأيت في إحدى الأماكن بيوتاً في العراء مشيدة من القصب

وهنا يتفرع النهر مرة أخرى فسلكت الفرع الأيمن الأصغر، ومررت من جانب حقول الفمح والشعير ومن جانب غربة، سطوح بينها من الطين ثم مررت بحافة الهور وبيانات البردي. فهذا المظر الذي أراه اليوم شبيه بالذي رأيته بالأمس.

سرتا في فاة ضيقة وملتوية بين القصب، وفي الميل الأول من مسيرنا صادفنا مشايخ كثيرة وهي عائدة، محملة بكثرة بكرم من فروع القصب الحديدة، بحيث لا يرى من المشايخ إلا رؤسهم فقط.

كانت هذه المشايخ تحذف من حال وصبيان نصف عراة وأحياناً أرى بعض المشايخ يمشون بملابسهم ولكن أكثرها تحذف من قبل شخص واحد. وقال لي أحدهم وهو يريد أن أعلم «هذا حشيش إلى حواميسهم». وكان اسم هذا الشخص «حشيش» وفعلاً كان هذا اسمه الصحيح وليس لفتاً للمزاح. وهناك كثير من رجال العشائر لهم أسماء عربية عبر مستساغة. وحشيش، على الأقل، اسم غريب.

وكانت أصادف مرات عديدة رجالاً وصبياناً لهم أسماء مثل حليب، بفر، خنبر، وهي أسماء يكرهها المسلمون ويستنكفون منها لأن الكلاب والخنازير هي حيوانات فجرة ومكروهة في نظرهم

وهناك أشخاص آخرون لهم أسماء عربية مثل جريدي، وواي، ضبع، كوسج، عفرين ويعرور

بطلقون مثل هذه الأسماء حتى يطردوا عبود الحساد. وهم يسمون

الأطفال الذين يولدون حديثاً بهذه الأسماء وخاصة إذا سبق وأن مات أخُ لهم

عبرنا مكاناً كانوا يجمعون منه الحشيش. وننطق كلمة الحشيش على نباتات الفصص السامة حديثاً ونستعمل علماً للجوانات.

رأيت في مقدمة أحد المشاحيف صبيّاً عاري الجسم يقطع الأغصان الخضراء بسجل له أسنان كأسان المشار ثم يجمعها على شكل كومة ثم يلفها وهي تدب في بطن المشحوف بحاجه وكلما استمر في قطع النباتات ونقدم من مكانه بسحب معه المشحوف.

وبوسعي أن أسمع من وراء هذا السار المتكون من الفصص أصوات ضحككات الأولاد بشكل واضح نرح من صميم قلوبهم بصدق. وسمعت أحدهم يمي أغبة بحيث نوفف المشحوف حتى يسمعو هذا العناية بهذا الصوت الرحم. وقال أحدهم «هذا صوت حسن». ولما انتهى من العبء صاح عليه أحدهم قائلاً: «سفعنا لعب آخر»

كان هذا من المشاهد التي سنصبح مألوفة لي خلال السنوات السع
الثالثة

كما نسلك في بعض الأحيان الطريق المائي في فصل الشتاء وتكون المياه باردة جداً، وعندها تكون الرياح باردة أبصاً لأنها تمر عبر الأهوار وهي آتية من المناطق الجبلية الكردية المعطاة بالثلوج.

وكنا نسلك أحياناً أخرى الطريق المائي وقت الصيف ويكون الهواء مشبعاً بالرطوبة فنحدث حماوة لا نطاف في هذه الممرات الصيفة من بين الفصص العالي، ونرى العوص بطير فوقنا على شكل أسراب لا عذ لها ولا حصر

ومن النادر أن تجد فصل الربيع أو الحريف لأبهما فصلان فصيران

جداً في هذا الجزء من العام. فلا نحد غير فصل الشتاء أو الصيف.



وخلال مكوئي في هذه المظفة، كنت أعناد على سماع صحكات الصبيان وغنائهم بين حفول الفصص حيث يكدحون في جمع العلف لجواميسهم النهمة.

«ذلك الصبي له صوت رخيم» قال حاسم وهو يحدف

«نعم، صوت جميل جداً، أحسن بكثير من صوت چليب في قرية

فاب»

«نعم، حفيظة، صوت أحسن بكثير ولكنه لا يستطيع الرفص، هل لاحظت ذلك الذي نرى برئ فناء في عرس عبد النبي؟ يا الهي، كانت مبعة وبحر يرافقه عندما يرفص».

وسألت ما معنى «ذكر بنت» في ححبش فائلاً بأنها نعبي رافصاً محترفاً من الصبيان وهو ذكر  الحلاق، وهناك إما شحصان أو ثلاثة منهم في المحر الكبير  في الاحتمالات الأخرى

وحبسا سألت عما إذا كانوا يعشرون سن العشائر قال لي «كلا كلا أبداً ما يعشرون وياهم. وبالقطع. عندنا صبيان كثيرين يحيدون الرفص ولكن ما هم (ذكر ست)»

لم نصادف مشاحيف أخرى في طريقنا على الرغم من أننا كما نسبر ببطء، تغريباً بحرفنا التيار وبحر نسلك الطرفات المانية الصبقة والمياه ساكنة بين نباتات البردي الذهبية الألوان. وعندما يتكلم أحدنا لا نسمع أي صوت غيره ما عدا صوت ضربات المحذاف ونظاير الرذاذ وحفيف الماء نحت مقدمة المشحوف.

أحد هذا الطريق المائي برداد انساعاً إلى أن وصلنا إلى حافة بحيرة

صغيرة، عرصها ثلاثة أرباع المبل. رأينا ماءها الأزرق زاهياً تحت أشعة الشمس

وقال حجبش «راح يجذف على شكل خط مستقيم لأن الريح ساكنة». وفي هذه الأثناء رأينا مجموعة كبيرة من الماعز وهي راقدة في الصحرة ووراءها عدد كبير من البط، على مسافة بعيدة بحيث لا يمكن نميرها إلا بصعوبة. فأخذت بدفني بيدي حتى أطلق النار عليها ولكنها طارت وارتفعت في الجو بعد أن رأنا ونحن نخرج من بين القصب.

وقال حجبش «هذه طيور متوحشة في هذا الوقت، لازم نحي بعصل الحريف ونشوف مثل هل طيور نحي هي أبصاً نهل وقت. نكدر نصيد مثل ما نريد. فالح صاد عدد كبير منها في الشتاء»

رأيت القصب الكائن عبر الصحرة كأنه حرف صخري واطيء يمتد على طول الساحل الممتد بينما أجد القصب الذي أراه من بعدد والكائن خلفه كأنه بدكرمي يحقول الذرة الصغيرة ولما وصلنا الطرف المعبد، إندفعنا بسرعة مرة أخرى داخل القصب وصاحوا قاربين كبيرين محملين بالقصب الباس بحيث تركت لزورقنا مساحة بالكاد تكفي لمرورها

كان الفاربان واسعين جداً، لهما حواشٍ عالية طوال الواحدة ثلاثون قدماً تقريباً، لها مؤخرة متفوشة ومجذاف

بجذوف ثلاثة أشخاص كل فارب بسطء وهم يتقدمون إلى الأمام. كانوا يصعون مرادهم العليطة في الماء ثم يتقدمون خطوة بعد خطوة على طول الحافة العليا من الفارب، من مقدم الفارب إلى مؤخرته. وبعدما يصلون إلى المؤخرة يعودون إلى أماكنهم مرة أخرى ويبدأون بمثل هذا العمل ثانية.

وصاح بهم حجبش «هل صدام موحود في فاب؟»

«نعم. عاد إلى القرية قبل المارحة من عند خلف».

وخلف هذا هو الأح الأصغر للشيخ فالح. «وين رابحين؟».

«عند صدام. وبانا شحص إنكليري جساء من عند الشيخ فالح».

«وين فالح؟».

«في البيت».

«وين مجبد؟».

«نعد في بغداد».

ثم قال لي حبش «نسمي هذه الفوارب (بلم) وهي جاية من
فباب، محملة بالفص إلى مصيف الشيخ مجبد الحديد»

وبعد فترة قصيرة احترنا مشاحفة محملة بالحشيش وهي عائدة إلى
فباب.



كانت الفناء صحنه مشكلاً واضحاً، لأن الأعشاب المائية تنمو بين
الفص ثم أصبحت الفناء عريضة فسرنا حول أرض مزروعة بالأسل في
فسحة تتسلط عليها أشعة الشمس وتتموح من حراء هبوب السيم وتظهر من
بينها القرية.

شاهدنا بيوت هذه القرية معكسة على سطح المياه. وشاهدنا من
الدخان الأبيض نبيد في السماء الزرقاء الناهة فوقها، وسياجاً من أشجار
الأسل الأصغر يقع إلى الورا. ووجدنا فيها (٦٧) بيتاً تنتشر حول البحيرة
وبعضها يتباعد بصع باردات عنها كنا نراها من بعد ومحالها داخل المياه،
ولكن في الحضيضة، وجدنا كل بيت مشبداً فوق أكوام تدي من أشجار
الأسل، كأنه عش وز كبير الحجم، بشكل حيزاً يكفي لبناء بيت مع فسحة
قليلة في الأمام. وشاهدنا حاموسين أمام أقرب بيت والمياه تنزل عن
حلودها السوداء.

أما الجواميس الأخرى فكانت غاطسة في المياه، تضاوت في مقدار العطس، متفاربة بعضها مع بعض. وهذه البيوت كغيرها من البيوت المبينة في البر الرئيسي هي من الحصران، مشقة على هياكل مفوضة من القصب، ورأبنا إحدى نهاياتها مفتوحة جباً عراها

كانت بعض هذه البيوت محكم مناسب، أما البيوت الأخرى فكانتها ملاجيء، من الصعب أن تصعها بيوتاً، كانت ألوان البيوت الحديدية تبنية طرية ولكن معظمها كان فذراً وهي بلون رمادي

وهي كل مكان بصعد الناس إلى المشحوف ويسرلون منه في رحلاتهم في إحدى الحزير الاصطناعية الصغيرة إلى أخرى. ورأبت الرجال والصبيان يحملون بأحصانهم الحشيش على الساحل ويكذسونه أمام بيوتهم ألفينا عليهم النجبة مردوا فالتين «مرحاً، مرحياً، أمفوا للأكل»

رافت صباً صعباً عمره من أربع إلى خمس سنوات، يحطو داخل المشحوف ويأخذ المردى بيده ويصلح نحو سادات القصب فنادته امرأة شابة تحمل بين ذراعيها طفلاً فتعجبني من حسن سلوكها بها. ولهذه المرأة وجه جميل، يستدق وينتهي بحك لطيف، ترتدي ملابس سوداء، وقد وضعت على رأسها عباءة سوداء أبصاراً. ورأبنا أمام بيت آخر فتانين ترتدي كل واحدة منهما فستاناً طويلاً، إحداهما بلون أحمر والأخر بلون أحمر وهما تدفان الفمخ في هاون حشي له ذراع طويل وثقل. رأيتهما تدفان بالتناوب ونحيان حسمبهما إلى الأمام من الحصر وكانت الدفات بإيقاع رتيب.

كان مصيف صدام يقع في الطرف البعيد من القرية، على حافات القصب، بعد مسافة عن البيوت الأخرى ووجدته أصحم وأوسع بناءة في قرية قناب. وهو البناء الوحيد المهي على الباسة لأنه يشغل أرضاً في اللسان الخارج من المياه. ويرتفع مقداره (٥ - ٦) أقدام عن المياه المحيطة به.

ومن الواضح، أن هناك الجزيرة، كانت موجودة منذ عهد بعيد، لأن الطايوف ظهر بالقرب من مستوى الماء. وهناك مساحة واسعة تكفي لبناء آخر أصغر منه.

شيد داره على هذه القطعة ليسكن فيه مع أسرته ولما افترسا حرج صدام من الدار وبدأ بنادي أحد الصبية وبوشر له بيده بأن يسرع ويحلب الزوالي ثم نوحه محووا وقال: «مرحاً، مرحاً». ثم ساعدني على النزول من المشحوف.

رأيناه رحلاً طويل القامة، نحيف الجسم، في وجهه آثار خفيفة للجذري، بخلق ذقه وله شارب رفيع كان يرندي الدشداشة البيضاء وعلى رأسه الكوفية والعقال، ومعه امه (عوده) وهو صبي هاديء عمره ما يقارب الست سنوات.



نظمت حدائثي في المدخل ثم دخلت المصيف. وكان هذا المصيف الوحيد في القرية إذ لا يوجد غيره. وجدت ماء وحشياً، له سعة أفواس، بانه مفتوح نحو القلعة، يشرف على القرية. تسب موقعه المرتفع أوصيته معطاة بعض القطع المصرفة من الحصران، فيه قابوس قد استود راحته معلق على عود من الفصص على الحذار

«وين راح هذا الصبي الله بلعه» قال صدام وهو ضحكر ثم ظهر الصبي وتبدو عليه علائم السلافة، يحمل سحادين كبيرين وعدداً من المحاديد.

«نعال يا ولد بالعجل. ما تشوف عندما صيوف؟». ناولني هيدج اللي بيدك. بعدين روح وحيت وباك السحادة الأخرى. هيدج السحادة الزينة».

عاد الصبي وهو يحمل سحادة من النوع الذي يستعمل للصلاة ولكنها من النوع الجيد.

فرش صدام هذه السجادة مفاتيح الحذار العبد ثم وضع مخدة معطاء
 بقطعة من الفعاش المصنوع من السلك، أحمر اللون بجانبها ثم طلب مني
 أن أجلس عليها سمعته وهو يهمس في أذن الحادم ويقول له، «خبرهم
 خلي بسون الغداء، روج بعدين إشتري سمكة. أدركك لارم نكون زينة.
 حبيب بعدين وبالك ست علب سيكاير واشتريني لنا السكر والشاي حد
 المشحوف الصغير»

دخل المصيف رحل صحم الجسم، سمين، له وجه عفودي الشكل
 بشر الفصول. ربما كان وجهه من قبل جميلاً عندما كان صبياً، أما الآن
 فإنه يبدو منهزماً وإشوي الشكل وكان يصحب معه ابنه البالغ من العمر
 (١٥) سنة

حُبَابًا حينما دخل ثم جلس، «نعضل، عحرم مذ إيدك» قال صدام
 للصبي وهو ذو مظهر نهيج. «إعني الفهوه للفهوه هاهي الفهوه في الإبريق
 الكبير. أشعل النار الفصص موعلاود هناك في الراوية، حد عدد من عود
 الكبريت وبالك».

ملاحظة: في نسخة أخرى من النص،
 «إعني الفهوه للفهوه هاهي الفهوه في الإبريق»

وعندما عاد حادته كان صدام يصع عليه سكايره أمامي، وعلنة أمام
 كل فرد من أصحابي. ثم فتح عليه أخرى وبدأ يورق منها سبكاره واحدة
 لكل فرد من الحاضرين في المصيف

دخل المصيف في هذه الأثناء، عدد من الرجال بينما كان الفهواني
 يذم لنا الفهوه ثم ارداد عدد الغادمين إلى المصيف حتى أصبح (٢٠ - ٣٠)
 شخصاً وهبأنهم نشه هيئة أصحاب القرى الذين جاؤوا معنا لصيد
 الحبارير

والشيء الذي جذب انتباهي هو عرض وجوههم، تبدو هيئة عدد
 منهم، وبالأخص هيئة شاب طويل القامة كهنة المصوليين.

كل الرجال المسنين لهم شوارب ولععض الرجال المسنين لعى بعلم

فيها يياض الشعر على سواده. شعوره قصيرة، يصعون على رؤوسهم الكوفة والعقال الأسود والدشدشة ويلبس معطهم العباءة الخشنة.

خرج صدام ثم عاد وينعه عرده وعحرم وحادمه وهم يحملون معهم إناءين واسعين فيهما العرق ودجاجتان مسلوختان وصينية واسعة مستديرة مملوءة بالأرز. وضعت الصحون على حصيرة مستديرة أمامي ثم جاء عحرم وحادمه وهما يحملان سمكة مشوية، طولها قدمان، وسنة أرغفة من الحبر الأسمر

وحسب العادة المنعة، دعا ححيش صدام بأن يشاركهم في الأكل إلا أنه رفض وقال: «كلوا، كلوا» ثم صب العرق فوق الأرز وبدأ سنخرقة الدجاجة واصعاً اللحم أماما. حينما كنت مع الدو، كنت ألاحظهم يكورون الأرز بيدهم على شكل كرة ثم يدعونها إلى أفواههم، لكن، ما كانوا يستخدمون أصابع اليد فقط لاحتفظ بهم. وهم يأكلون الأرز مع الدجاج والحز مع السمك وبعد الانتهاء من كل فرد بصورة مستقلة ويعسل يديه ثم يتمضمض بالماء. وبعد ذلك، بدأ صدام يناديهم ليشاءوا الطعام ولكن كان كل فرد منهم يذعي أنه قد تناول طعامه ونظاها بعد الأكل وهو يقول «أشكر» نعدبنا فل ما يحيي رد عليهم صدام قائلاً بالحاح. «ما معقول، نعاثوا، نعاثوا» اكلوا»

«لا. أبدأ لا. لا» كان جوابهم مع شيء من علائم السخط الظاهرة

وأخيراً أمسك صدام يدراخ أحدهم كما لو أنه يحره بالقوة مما حدا به إلى أن ينجس وينوحه للأكل. وبعد ممانعات كثيرة، قام عدد منهم واشترك في الأكل وقال عدد قليل منهم «لا. حنيفة، يا صدام فسمأ بالله أكلت فل ما يحيي حليب أمك أكلت»

نسم عريب ولكنه فسم حاصي بالسنة إلى عشيرة الوسمحمد.

شارك في الأكل بعد إلحاح كل الذين امتنعوا في البداية وقالوا بأنهم قد أكلوا قبل مجيئهم كما لاحظت أبصاً بأنهم يطردون الكلاب إذا ما دخلت الغرفة لكنهم يسمحون للقطط بأن تجلس بحانهم. وقد رأيتهم يهزؤون شعراً

وبعد تناول الشاي والقهوة، هضم أصحابي الثلاثة الذين جاءوا معي في الزورق وقال حبيب «إنوا يحفظ الله ورعايته يا صدام».

«شوا؟ أنتو رابحين؟» مو معقول. إصصوا الليل معا» قال صدام.

«لا. عندنا شعل لارم سويه، لارم نرجع»

«أرجوكم أنفوا وبانا»

«لا صديق عندما شعل» ثم كرروا قولهم «إنوا يحفظ الله ورعايته»

ثم قال صدام «رين روحوا الله زواجهم» وأنا أصمت قائلاً «سلموا لي على مالح». «الله يسلمك» أحابوا، ثم أخذوا المجاديف ومراد بهم التي كانوا قد وضعوها في الراوية من المضيف ثم خرجوا وركبوا زورقهم.

ولما عاود البقية العرفة، هضم رجل عمود وقال إلى صدام «حب الإنكليزي وياك ونعالوا إلى داري لنشرب الشاي عصر هذا اليوم» ولاحظت، عندما فل صدام الدعوة مخاطبه بكلمة (راثر) وهي تسمية دبية يستعملها الشيعة

٥ - الصورة الأولى المطبوعة في ذهن المعدان

وخذ السي محمد ﷺ الفاتل العربية في الحرية العربية التي كانت في حرب مستمرة فيما بينها وذلك لأول مرة في تاريخهم. وفي خلال عشر سنوات من وفاته في سنة ٦٣٢ للميلاد، اندفع رجال الفاتل الففيرة ودور الأراء المرديّة المشددة من الصحراء فدمروا الجيوش التي تتحلى بالصسط والتي قاومتهم



انشرعوا سوريا ومصر من الففيرة الجبريطية والعراق من الإمبراطورية الفارسية، وامتدت مكرمتهم إلى كل من مائة سنة من حال الربر إلى حدود الصين وشملت مناطق شامعة جداً نفوذ في مساحتها المناطق التي كانت تحكمها روما في يوم ما

كانت إنجازاتهم بارزة جداً حينما أسسوا دولتهم، لكن المعاصات والعداوات أخذت ترق دولتهم منذ السنوات الأولى

بدأت المشاكل عند مقتل عمر في سنة ٦٤٤ للميلاد. والذي خلف أباً بكر الخليفة الأول، ثم خلفه عثمان بن عفان وكان شخصاً ضعيفاً، لكنه كان من أسرة ذات قوة في مكة المكرمة فقتل سنة ٦٥٦ للميلاد. وجاء من بعده علي. فاندلعت الحرب الأهلية، والتحق معاوية وهو ابن أخت عثمان ووالي سوريا مع المنمردين فحدثت حروب متقطعة ثم أعفنها مفاوصات عبر حاسمة إلى أن قُتل علي أيضاً في سنة ٦٦١ للميلاد، في عاصمته الجديدة الكوفة والواقعة في القسم الجنوبي من العراق ودفن في الصحراء

وكان ابنه الأكبر الحسن ضعيفاً وكان حاجة إلى حث قليل حتى
ينحلي عن مطالبه فأصبح معاوية، والي سوريا الفوي، خليفة وأسس
الحلقة الأموية المشهورة في دمشق وسرعان ما أصبح النظام الحديدي عبر
محبوب في العراق لأن معظم السكان لبسوا عرباً فاستاءوا من عجزه
حكاهم العرب ومن اصطهادهم لهم على الرغم من أنهم قد اهدوا
للإسلام. وعندما توفي معاوية ثار أهالي الكوفة فأرسلوا رسلاً إلى
الحسين الأس الثاني للإمام علي بنشدونه بالمحيء إلى العراق لينتأس
الثورة ووعده بالدعم الشامل

وافق الحسين وأطلق عر الصحراء، من مكة مع جماعة صغيرة
نصمهم النساء والأطفال وفي الطريق، علم بأن المؤامرة قد اكشفت وأن
زعماء الثورة العشرة قد أوفوا وتعد بهم حكم الإعدام.

لم يشه هذا عن مرامه، فواصل مسيرته حتى وصل كربلاء، الواقعة
على نهر الفرات، وها واحه فليفلت من أربعة آلاف مقاتل وقد انخدوا
مواقعهم على طول النهر وهو في طريقه إلى كربلاء الخليفة الحديدي يريد
ليعرضوا سبله.

وبالتأكيد، لم يأمر يزيد بقله ولم يرغب فعلاً في ذلك. وكان بإمكان
الحسين الاستحاب بأمان وإلا فإنه سيطوق

اختار الحسين القتال وعمله هذا تغير تاريخ الإسلام ولم يهرك أي
فرد من الدين أدحل مساعدتهم في حماه ونقول الأحاديث بأنه في
وحيداً مع زمرة الصغيرة معتمداً على شجاعتهم ورسالتهم.

وفي اليوم العاشر من الشهر العربي، شهر محرم الموافق سنة ٦٨٠
للميلاد، نفذ الحسين مع جماعته نحو أعدائهم. لم تدم المعركة وفناً
طويلاً قال أحد شهود العيان ليبريد «عبارة عن وقت يكفي لدبح بعير،
ووقت يأخذ فيه المرء سنة من النوم» ثم أخذوا رأس الحسين المدبوح إلى

الكوفة حتى براه والي الكوفة النافع ليزيد والذي ضرب الرأس بعصاه على
وجهه .

وفي ذلك السكون المروّع الذي أعقب هذا الحادث، رفع أحد
الرحال المسير صوته وقال: «وأسفاه! ما كنت أتمنى أن بعثت بي عمري
حتى أرى مثل هذا اليوم - أبا الذي رأيت سي الله بقتل تلك الشعاء»

فبدأت منذ ذلك الوقت الشيعة كحركة سياسية بين العرب نروج
مطالب الإمام علي وأحفاده في الخلافة، ولكن بعد استشهاد الحسين
أعلنت نفسها كحركة دينية جديدة وسرعان ما أصبحت قوة في العراق
وإيران بشكل خاص.

وبسبب بغير السنة علماً بأنه رابع حلقة أو الحلف الرابع لمحمد ﷺ،
يعتبر الشيعة الحلفاء الراشدين الأول معتصمين

إنهم يعتقدون بتعاقب الأئمة في الرضاية، طاب أسبهم يسبرون بذلك
على نهج النبي. ويعتقد معظم الشيعة أن علي حذر إماماً ومهم علي والحسن
والحسين الثلاثة الأوائل والأخير كخليفة علي بن أبي طالب والحسين.

وحسبما يقول الشيعة فإن الإمام الأخير هو المهدي الذي احتسى
بشكل غامض في سامراء. وهم ينتظرون ظهوره في تمام الوقت باسم
المهدي أو المهدي المنتظر

توسعت المدينة المقدمة الحنف الأشرف في الصحراء حول فر علي
الذي بنى قوفه المؤمنون جامعاً كبيراً فيه قباب ذهبية، لا بدخله أي كافر
حتى هذا اليوم

ويحلب الناس في أماكن بعيدة جداً كعبد الهدهد، مونا هم لدوها في
هذه الأرض المقدمة. وبالسفة إلى الكثيرين، يعتبر الإمام علي شخصية
شبه سماوية.

دع الحسبي في كربلاء. في المكان الذي سقط فيه صريعاً. وبدأ

الناس فيما بعد بأنون لزيارة هذا المكان للتصريح وسرعان ما ظهرت المدينة
ثم ظهر جامع محم بضم رفاة شهيد الشبعة الأعظم

وأصبحت كربلاء والتجف قبلة الحجاج من أنحاء العالم.

وعندما زرت سكان الأهوار لأول مرة وحدثهم منظرين في شكوكهم
للعالم الحارح. وفي قرية فيات يدهون إلى السوق في المحر، ويذهب
العدد القليل منهم إلى العمارة والتي تبعد مقدار (٢٠) ميلاً عنهم. وأن
شخصاً واحداً أو شخصين مهم قد زار الصرة أو بغداد

والكل، على أية حال، يتمنى زيارة كربلاء والسحب الأشرف كما
يتمى كل فرد مهم أن يذهب في مدينة السحب الأشرف

وفي طريقنا إلى الراتر، افترح صدام بأن مرور الدكان ركسا في
مشحوف صدام وحذف عجرم فتوجه نحو أقرب مجموعة من البيوت،
وحدث بيئهم منها قد بنا على إحدى الجدران، وشاهدت قطعه من القماش
الأبيض، أشبه بالعلم، يرفرف على سقف أكبر البيوت فقال لي صدام
«يؤشرون دائماً على الدكان بهذا الشكل حتى يراه الشخص العرب» كما
شاهدت عجلين صعبين، أسمرين اللون، وثلاث نواح فأكل الفصص
الأخضر المكس على شكل كومة وحاء صاحب الدكان إلى حافة الجزيرة
لبسألم علبنا وأمسك المشحوف. ولأحطت أن الأسفل المظنوع الذي يقف
عليه قد عاص نحت أقدامه بمقدار نضع أبحاث في الماء

وحدث الماء قدراً بسب ما بطمو فوفه من قطع من البعور وعبره
من الأشياء. ووجدت بالقرب من الدكان مرحاضاً بني على الماء وهو
معطى بقطع من الحصى الممرق حتى يحجب النظر. وكان هذا هو الشكل
المحسن من المدينة. أما سكان الأهوار العاديون فإنهم يجدهون فواربهم
إلى أقرب منابت الفصص ثم يجلس الواحد منهم الفرصاء على جانب
القارب ويفضي حاجته وهذه عملية لا تتم بسهولة

ولما نزلنا إلى البر، بذل اس صاحب الدكان جهداً في إسكات الكلب حتى يكف عن البجاء ويحلد إلى السمكوت وذلك بتحريك المحذاف فوق رأسه. ورأيت دحاحتين نظيران على السقف كان باب الدكان مصوعاً من خشب الصاديق والففل معلقاً على سلسلة. وأما في الداخل، فقد سحب صاحب الدكان إحدى صاديق الشاي الفارغة إلى الأمام لأجلس عليها وأمر ابنه بأن يهيئ لنا الشاي.

لم أجد في الدكان أشياء كثيرة. وحدث كبساً من السكر وآخر من الذهب، وحصافة من النمر وصندوقاً من الشاي الهندي الرخيص الشمس، وشنكة مقط أسبصر، وعلب سبكابر عرافية وشحاطاً وعدداً من فوالب الصابون وغفلاً عليه غبار كثير.

تذكرت بأني قد شاهدت صاحب الدكان في مصيف صدام وكانت إحدى عبيد ملته ويدا الآن بمسجد بغداد كوفته.



ومن خلال الباب، لاحظت حشداً من الناس، أنه لفناء نملؤ الكلب بالماء من جانب مشعوصاً بعد أن ارتفعت الشمس الصلوة من الروث ومع ذلك كان طعم الشاي كبيره من الأنواع الأخرى. وبينما كنا سنظر نقدم الشاي، سألت صدام قائلاً له بأن له بيت في المؤهلات التي نتطلب في أن يسمى المرء نفسه باسم رائر. فشرح لي بأن الرائر بحسب أن بزور صريح علي الرضا الإمام الثاني ومرفده في مدينة مشهد الرضا في حراسان الواقعة في القسم الشمالي الشرقي من إيران.

وكثيراً ما كنت أروى مشهد في الثناء الماضي وحالتي الحظ لأرى الحامع وأدور حول الصريح

كان هذا الساء أحد الأسبئة الأكثر حملاً حسماً براء روبرت نابرون Robert Byron في إيران حينما دخل إليه وهو مشكور في سنة ١٩٣٣.

وحتى في سنة ١٩٥٠ من الصعب جداً أن يدخله شخص عبر مسلم،

ونجد في الجامع نفسه قبر الحليّة المشهور هارون الرشيد.

وفي القسم الجنوبي من العراق برور عدد كبير من الناس مدينة مشهد
كما يزورون مكة المكرمة

ولو أن الشيعة يعنثون كربلاء والمجف أكثر فدية من مشهد إلا أنهم
لا يمحون لف زائر لم لا برور هاتين المدينتين من الناس في جنوب
العراق. وبعد بضع سنوات، حينما كنت في القسم الأوسط من أفاستان
بين الهزارام، وهم أيضاً من الشيعة، وحدث أنهم بطفون كلمة كربلائي
على كل شخص زار كربلاء سيما لا بطفون أي نعت على من برور مدينة
المشهد. ويظهر أن المسألة هي مسألة مساهة.

كان بيت الراثر واحداً من عدة بيوت مفصلة بسواقي فيها مياه فذرة،
عرضها بضعة أقدام، وأمام الطرف القنوج هي كل بيت ساحة نذبة واسعة
أكثر سعة من البيت نفسه. أما أوصية البيت فإنها عبارة عن مزيج من نباتات
منسقة وسجاد، يرتفع بعض أركان من مستوى الماء ثم يُحصر بحجر من
الفصص ارتفاعه أقل من قدم من ارتفاعه.

ورأيت على الحدائق الخارجية للبيت صفوفاً من أفراص العرور
وهي معرضة للشمس حتى نحف. وشاهدت امرأة عجوراً مرتدية الثياب
السوداء وفنانين صعيبيين مرتدين ملابس ذات ألوان، جلسوا تحت أشعة
الشمس في المدخل. برلنا من المشحوف، وعبرنا الصباح ثم دخلنا البيت
ونحن نبعد عن طريقنا الحواميس التي كانت نهز رؤوسها، وما وجدت شيئاً
آخر يجذب الانتباه.

وحدث إحدى المحول وافئة في الداخل ومجموعة من فراخ الدجاج
نعنو تحت أقدامنا. قالت إحدى النساء، وهي ترتدي الملابس السوداء
كغيرها من النساء العجائز في القرية «مرحاً يا صدام» ورفعت أحد الأطنال
الصغار في الأرض وهو غار نعاماً حتى نسيح لنا محالاً للدحول.

والبيت من الداخل بطول ست باردات وعرض باردنب وبارنفاع تسعة أقدام. وفيها سبعة أفواس، وعرفت فيها بعد أن جميع البيوت والمصانق تحتوي حسب المتألبد على عدد هردى من الأفواس.

كانت العرفة مفسمة إلى قسمين بواسطة سرير مدام واطيه أشبه سبقان الفصص، وُضع إزاء الحائط الأيسر وكُذست فوقه أكباس مصوغة من شعر الماعز نحوي على الحبوب ومجموعة مشكّلة من اللحف وغيرها من الملابس وأشياء أخرى من السجاد ووجدت عدداً من المحاذيف معلقة على الفضة.

خصص نصف العرفة للنساء. اللواتي بعدد الطح مشينا فرأينا هاوماً حشياً وفرة معلقة على ركائز خشبية ذات ثلاثة أذرع ومحرشة حربية دائرية الشكل وفيها دراع حسي

رأيت عدداً من الصحوون والصواني والأمايق معثرة بحاب موفد صغير وفي الطرف البعيد يؤدي الممر إلى مكانه فيها يسر عاءته أمامه كسجادة للصلاة وبصلي صلاوة الصلوة الثاني من العرفة فهو محصص للرجال يستفلون فيها الصبوف ويضعون فيها الولاتم

كانت العرفة مفروشة بقطعتين من السجاد الممرق فوق الحصير المصنوع من الفصص كما وحذب عدة وسائد من الصوف ذات أوجه لماعة، فيها نقوش هندسية الشكل وكانت محشوة تماماً حتى يرنح عليها الحالس.

وقال صدام وهو يقوم نواح المصيف «جلس خذ راحتك. كأمك في بيتك». وأحبراً، انتهى الراتر من صلاته ثم جلس ونمتم بأدعية ونسبجات ومسح أحبراً لحيته يده ثم نظر إلى اليمين وبعدها إلى اليسار ثم نهض ورفع عباءته وقال. «مرحاً بكم». وحذنه رحلاً عحوراً لكنه شخص له مكانته، طويل الفامة، محدودب الحسم، نوحه نحف بنم عن الزهد،

وأنف مقوس ولحبة ببصاء لا برندي أي شيء سوى الكوفة والدشداشة
اليبضاء الرقيقة والشفافة.

أخذ وسادة أخرى ووضعها فوق الوسادة التي هي بجانبني وقال «هه
إسند عليها ونرتاح أكثر» ثم أشعل النار في فحوة كائنة في الحصيرة
المفروشة على الأرضية المنكونة من أشجار الأسل. ولما اشتعلت النار
أصاف إليها أفراص العرور بحيث وضع الواحدة فوق الأخرى وسرعان ما
امتلات العرفة بدخان أبصر مؤذ حذاً بحيث بدأت عبوني ندمع وقال
صدام «هدير الوصلة بعدها ندية» فأخرجها من النار عبر أن الدخان بقي
على حاله

حلب الزائر مستلزمات الشاي وحلّس صاحب النار وبدأ بعسل
الأفداح والأطاف والملاعق في وعاء لماع.

كان الشاي موضوعاً في ورقة الكعوف والسكر في علبة من الشنك
وسمّا كان الزائر وصدام يتناقشان حول الصريمة المروضة على القصب
الذي طلبه الشيخ فالح إلى مصيف والده الجديد، وصل أس الزائر.

بدأ يفرغ الحشيش من المشحون ثم ألقى شيئاً منه أمام الحاموس ثم
كوّم البافي في داخل العرفة كان يبدو في العشرين من عمره، حاسر
الرأس، حليقه، عارباً إلا من عانة لف بها حصره، ثم وضع رمح الصيد
في الزاوية وليس الدشداشة قبل أن يجلس معاً. وقال صدام

«ياجر راح أروح إلى أبو مبعبات والتقي مع صحين لازم بحضر
فاردين ملبانه بالقصب من فريته»

«نعم! والله يا صدام هذا كل ما حمعناه» قال الزائر.

وأضاف انه فائلاً «قوم صحين بيبون دائماً مشاكل».

«مع كل عشيرة المرححات مثل هيج حالة كل همهم هو إحدات
المشاكل».

وفي مساء ذلك اليوم عدنا إلى مصيف صدام. فبيت وافقاً في
الخارج أرافب معيب الشمس وراء شلالات القصب الممتدة إلى مسافات
شاسعة وهي عالية نصل إلى فوق الرؤوس. وأرافب أيضاً الركاب من العبوم
المستديرة، معوجة على شكل قطع متناثرة تنسلل ألوانها من لون خشب
الأبنوس إلى الذهب اللامع ثم إلى العاج القديم، مقابل خلفية من اللون
الفرمزي أو البرتقالي والمصحبي والحنازي والأحمر الباهت.

وأنت في مثل هذه انوفة نسمع من جميع الجهات نفق الصفادع
الهائل العدد وأصوات أخرى كثيرة لا ينسجها المرء ولا يستطيع أن يدون
ملاحظاته عنها. كل ذلك كما لو أن الأهوار تنفس.

إلك نسمع هذه الأصوات أكثر من أي صوت آخر، حتى من أصوات
صباح الورد وهي نسح في الماء.

فالأصوات التي نسمعها في الأهوار هي عبارة عن صوت نباح كلب
وصوت حماموس يردد أن يفتح في رحلها ويحدث صوتاً كصوت الحمل
وصوت رحل يعني أعالي الشجر ينزف حتى يرد عليه شخص آخر.

ونرى في الأهوار جواميس كثيرة، نسح عبر العباء المفتوحة، متجهة
إلى القرية لا نرى منها عبر رؤوسها ثم يترك كل واحد منها أثراً حين
الخروج من الماء.

كما نرى أعمدة الدخان تنصاعد من بين البيوت وهي كثيفة. يشعلونها
حتى يطردها العوص عن مواشهم.

ونرى صباً يحلّ مشحوفه في الطرين المائي، في طرين عودته إلى
بيته، يعني بصوت رحيم.

الصوت نافي لا يروى في طفات الهواء.

وهي هذه الأثناء ناداني صدام فدخلت إلى المصيف.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

٦ - في دار ضيافة صدام

فرأت خلال السنة الماضية ما يوسعى فراءته عن المعدان. وكل ما فرأته لا بُعد إلا شيئاً قليلاً. أما الكتاب الوحيد الذي عنوانه الحاح راكان - عرب الأهوار - بفلم فولانيس Fulanin (إس إي Hedge Cocha) فهو عبارة عن كتاب يصف سكان الأهوار وصفاً بلانم مراح المرء. كنه في نهاية الحرب العالمية الأولى



وما عدا هذا الكتاب لم أحتوا على شيء سوى بعض الإشارات العريضة التي تشير إلى عرب الأهوار كمن كان يقيم على ضفاف الأنهار، كلها بدون تملق وبروايات مختلفة

إسم المعدان، بالتأكيد، إسم سبيء لدى العرب ولدى الإنكليز على حد سواء

فالكلمة تعني باللغة العربية الساكن في عدك أو السهل. أما بدو الصحراء فإنهم يستعملون هذا الاسم ليعتوا به كل عشيرة عرافية تسكن الأنهار. بينما يستعمل المرارعون الذين يسكنون في قرى على امتداد النهر هذا الاسم بشكل متفاوت، ليعتوا به سكان الأهوار.

العرب كلهم أناس متعادلون على من يعنروهم أدنى منهم فكلما كانت ادعاءات العشيرة من أنها تنحدر من سلالات العرب الأقحاح كلما أزداد احتقارها لسكان الأهوار وذلك بسبب سلالتهم المشكوك فيها

والعشائر الآفة الذكر كثيراً ما نلصق التهم بهم كالتي تتعلق بالخيانة والأعمال الشريرة

بخشي أبناء المعدن الذين يسافرون على طول نهر دجلة والفرات صعوداً ونزولاً بأس المعدن فيحنونهم وبصدفون كل ما يسمعونه عنهم من الأعمال كما أن سمعتهم بين الإنكليز في العراق سيئة - تلك السمعة التي ورثوها على ما أظن في زمن الحرب العالمية الأولى، عندما كانوا في مساكنهم في الأهوار يقتلون ويسلون كلا الطرفين المتحاربين بدون تمييز.

وفي خلال السوات الغلبلة التي كان البريطانيون يديرون فيها شؤون العراق، كان الصراط السياسيون يشعلون أنفسهم كثيراً في مسائل عاجلة جداً، يورطون فيها أنفسهم كثيراً مع المعدن.

فقد نفق عدد منهم في طول الأهوار وعرضها عبر أن زبائرهم ما كانت نديم أكثر من بضعة أيام على عجل من الأحوال. أما في السوات الأخيرة فقد كان يؤمها عدد من الأوربيين من البصرة وبغداد حتى يصطادوا البط وما كانوا يصطادون إلا مع الشيوخ الأثرياء الساكنين في أطراف الأهوار.

أما بالنسبة للموظفين العراقيين فإني أشعر بكل تأكيد بأنه لم يتغلغل أي فرد منهم في الأهوار ما لم تكن المهمة المكلف بها ضرورة تماماً. وربما أكون أنا على أكثر احتمال الشخص الأحصي الأول الذي عاش بين المعدن فرداً منهم حسب رغبتي وحسب الظروف المواتية لي

بي شعور عاطفي عربي لمعرفه الحياة التقليدية لدى الآخرين مثلما لكثير من الإنكليز ممن هم في حيلي ونشيتي.

أمضيت طفولتي في الحشنة حيث لم تكن توجد فيها أية عجلة في ذلك الوقت أو أية طرق معبدة ثم عشت عدتني بعد معادرتي جامعة أوكسفورد مدة ثمانية عشر عاماً في أجزاء معبدة وبائية في أفريقيا والشرق

الأوسط، فجعلني أنسجم بطريقة الحياة مع سكان العشائر بسهولة، وأكثف نفسي وفق أساليب عيشهم وأحد منعة في طريقة حياتهم. ولكن بصعب علي أن أحد في الوطن أولئك الناس الذين يبدون عاداتهم الخاصة ويحاولون أن يكفوا أنفسهم مع الحياة على طريقة المدينة العربية

وفي العراق، كأني مكان آخر، هذا النذل هو أمر محنوم. وإنني أعرف من أن الأحريين الذين هم أوسع أفقاً وتعكيراً مني وجدوا هذا النذل شيئاً ممتعاً وآمنوا بأهمية نتائجه. أما أنا فبيان لدي، فضلت أن أرى أقل ما يمكن من النتائج. فمثلاً، كنت أشعر بالصحراء بشكل عام وبهمة منشطة حينما بنظرت مني أن أمضي ليلة مع الموظفين العراقيين - وأنا اليوم ألوم نفسي لتصرفي هذا طالما أحد مصيبي أنا ماضياً أصدقاء وكرماء للعامة - وما سبب صحري إلا انهماك مثل هؤلاء الموظفين في الأمور السياسية العراقية وأنا لا أملك عن الأمور السياسية إلا القليل ولا أهتم بها إلا اهتماماً قليلاً بينما يصب اهتمامي على أحوال العشائر والتي ترونها أموراً لا بسر عورها أحد أو أنها أمور مشؤومة. فمما كاساً أن نتحدث ساعات عن الأمم المتحدة وعن كل ما بغض المرء في نمطية المعيشة في باريس وعن أنواع صناعة السيارات أو عن تطوير بلدهم واضطر في سبيل محاربتهم أن أوافق وأكون مراناً بيوتهم مريحة إذا ما فارقتها بالأماكن العديدة التي نمت فيها، فهي بيوت ذات طابق واحد، ساوذا رخيص، نعوها المتانة والذوق، لكنهم يفسون المدينة بأسرها بتقدم المادة لأن نعلبهم كان قد علمهم ذلك. ولهذا السبب نراهم يحولون من ماضيهم ويريدون سبانه، كما أنهم يحلمون بأن يعيشوا في بيوت حديثة كذلك البيوت المشيدة في صواحي المدن ويعتبرونها الحياة المعصلة.

أما ذوفي أنا، فربما يذهب إلى أحد من ذلك، إلى الطرف الآخر إنني أكره السيارات والطائرات والراديو والتلفزيون وهي في الحقيقة مظهر مدبنتنا في السوات الحمين الحاصية وأكون دائماً سعيداً إن فاسمت في

العراق أو في أي مكان آخر راعي الغنم وهو يعيش في كوخ مليء بالدخان مع أسرته وحبهواته. لأنني أجد كل شيء في مثل هكذا بيت غريباً ومختلفاً. وإن اعتمدتهم على أنفسهم شيء يريحني والشعور بالاستمرارية مع العاصي يسحري. فإني أجدهم لأنهم قوعون، والفاعة نادرة في العالم في هذا الوقت، والرعاة والمهارة في المهنة بسيطة، على أية حال، بحيث لا أمل أنا شخصاً من بلوغها مطلقاً.

أمضيت سنوات كثيرة في الاستكشافات والريادة فلم يبق أي مكان لحد الآن لم أستكشفه من البلدان التي تسحري ونفسي. لذلك، أشعر بأنني أميل إلى العيش بين الناس الذين احتار العيش معهم. ففي الجزيرة العربية كنت على صلة وثيقة مع رفاقي، عبر أن رحلتي المستمرة حالت دون أن أتعارف إلى أي مجتمع حاصر، على الرغم من أنني كنت أرغب في ذلك، والشيء القليل الذي وجدته الآن فيما يخص سكان الأهوار رافق لي. فهم أناس مرحون وأصدقاؤهم لي مصهرهم.

إن طريقة حياتهم، التي لم تتأثر بالعالم الخارجي إلا قليلاً كانت فريدة لحد الآن، وأن الأهوار متفردة بحملتها فيها والحمد لله، لا توجد أية علامة من تلك المنيعة الرتيبة والتي تنتشر على شكل ملابس أوروبية في بقية أنحاء العراق كاستشار الآفة أو الوباء. وصلنا دار صدام فوجدته لوحده في البيت، بحضر الفهوة. ولما حلست، ناولني قهقحاً منها ثم دفع الطرف الملتصق من النار في الحرمة الطويلة من القصب تحت إبريق الفهوة.

«ما هي خططك صاحب؟» كلمة صاحب تعني في اللغة العربية صديقاً «بعث لي الشبح صالح رسالة يقول فيها بأمرك نرعب أن نزور الأهوار فهل نعمل من أجل الحكومة؟»

«كلا. إنني أنقل لأنني أجد لذة في رؤية أماكن وأشكال مختلفة من الناس».

«من يدفع لك تكاليف سفرك؟ ما هو مقدار راتبك؟»

«ليس لي راتب. وأنا أدفع تكاليف سفري».

«شيء غريب!» ثم سكت صدام دقيقة أو دقيقتين.

وبإمكانني أن أقول أنه لم يصدقني لذلك استعطدت قائلاً «انتقلت في بلدان كثيرة، في أراضي الحبشة وفي السودان وفي الحرية العربية. وحنت الآن من كردستان. إني أحدث عن المعلومات»

ربما أثر كلامي هذا فيه، ولكني بالتأكيد لم يصدقني حتى إن قلت أنني أنقل من أهل اللهو أو النسلية.

«هل نتحدث عن معلومات عن المعداد؟» سألي ونظر إلي نظرة شك

«يمكن العثور على المعلومات في كل الأماكن» أحته باختصار

وبعد وقعة أخرى قال «هل تعرف كرسلي Grunley كان صديقي في العمارة».

«نعم، كنا سوياً في الحرب»

«إيه صديقي، كان يستمتع بالحفلات، أليس هو الآن؟»

«لا أدري»

«هل تعرف ديجورن في معداد؟ DiGiburn».

«التقيت به مرة في سوريا».

«هل تعرف إدموندز؟»

«نعم، هي إنكلترا»

«إدموندز رجل طيب إيه صديقاً فهو رجل عاقل جداً. هل هو في

صحته جيدة؟»

«نعم، الحمد لله، إنه في صحة جيدة، وهو يبعث نحيبانه».

لا نزال للبريطانيين سمعة حسنة واسعة في العراف في ذلك الوقت. وهي نتيجة للتعاون الوثيق مع البلد بين الحريين العالميين حينما عمل الضباط البريطانيون إداريين ومستشارين. ولا يزال كثير من السكان المسلمين يشعرون بالاحترام والود والمحبة للأفراد الإنكليز.

والعشائر بوجه عام، دمة الأخلاق، لا يعترضون سبيل الصيف على العكس من سكان المدينة أو موظفي الحكومة إذ كانوا يهاجمونني ممرارة سبب السياسة البريطانية إزاء فلسطين أو قناة السويس مثلاً.

ففي مثل تلك الحالة قد يغلب ذكر الإنكليزي الذي يعرفونه إلى مرارة وينقلب على ذكرى الصداقة.

«شكو عندك بهاي الصاديق؟» قال صدام



«أدوية»

«أنت طيب إدأ».

مركز تحقيق وتطوير برامج

«أعرف عن استعمالات الأدوية»

«هل عندك دواء لرأسي، عدي وحم رأس».

ففتح الصدوق وأعطيه فرصين من الأسبرين

«أعطني أكثر. صاحب، هذا قليل».

أعطيه ستة أقراص ولكن حذرته بأن تناول فرصين منها في كل مرة.

«ولمعدني؟» أشعر يوحج هنا أبصاً».

أعطيه بعض الأقراص من الصودا.

«ما هذه؟» أشار إلى القنبنة

«هذا بود».

«وهذه؟».

«هذا دواء للحروق» ثم قفلت الصندوق بقوة.

ساد صمت آخر، ثاولتي خلالها فحاجاً من الفهوة ثم سألت

«وين نريد نروح؟».

«أريد أن أعر الأهوار حتى أصل إلى نهر الفرات ثم أعود من خلال أراضي عشيرة العرطوس ننتفلت من أراضبهم في السنة العاصبة مع الفصل».

«هل إلغيت مع حاسم الفارس؟».

«لا لم يكن موجوداً لما زرنا فيه ابه الصغير فالج ضيقاً»

«ما أعرفه إمن هنا. نرناح أكثر نهل المكان. راح نروح للصبد سوية. مصطاد البط والحزير وكل شيء ربي».

«أشكرك يا صدام سأعود إليك بالتأكيد ولكن، قبل كل شيء أريد أن أرى الأهوار»

«الأهوار واسعة صاحب نعد حلف نهر دجلة إلى مساحات شامعة إلى إيران. ما نكدر نشوفها في سنة واحدة».

«ما بحالف، لكن أريد أشوف أكثر ما يمكن»

«كلش زين! باجر راح نروح إلى قرية نومعبات عدي شعل لارم أحلفه هالك. راح نعدى عند صحين. راح نروح في اليوم التالي إلى نهر الفرات عن طريق ركزي، وهاي بحيرة واسعة، ومكان عبر مريح عند هبوب الرياح، غرف كثير من المعدان هالك»

وعند تناول طعام العشاء، حيث أكلنا وحدها، فذم لي صدام فدحاً

من حليب الحاموس ولم أكن قد تذوقته من قبل ولكتني فصلته على حليب
البقر، ثم نفاطر الناس إلى المصيف. أخذت مكاني. مسداً ظهري على
الحدار، مصعباً إلى أحاديثهم التي لم أكر أقيمها. كانوا يتناقشون حول
زراعة الشلب وكانوا يستعملون عبارات لا أفهمها.

سألت: «هل تزرعون الشلب في قبا؟»

«كما نزرع في الماصي. لكن الفيضانات كانت تحرق الطهي معها،
فبات انتهى أمرها في زراعة الشلب، ما تذكر نزرع الشلب إلا في طمي
حديثه، وهذه السنة، راح مطلق من الشبح محيد أن يحصل لنا أرضاً
حتى نزرعها بالغرب من فنحة الشهر»

«بعض راح نزرعون هذه المسطحة؟»

«طبعاً لا! هذه المسطحة هي بيوتنا، نحن معدان. هدولاك اللي
يرغون في زراعة الشلب على حافة الأجرار راح يروحون ثم يرجعون هنا
مرة أخرى».



بدأ رحلان من الحالسين يتحفظون في بيوتهم بشكل حاد حول دفع
مهر العروس لأنه لا يزال غير مشنوت به. واشترك الجميع في هذا
النفاش. وأرادوا محرم أن يضع أساساً لهذا الشيء عبر أن صدام النعت
إليه وقال له «حسبنا يا جرجر راح نجبي أنا والإنكليزي منعدى عندك وأنرفع
راح يكون العداء زير».

مضت فترة مكوون ثم نظر الجميع إلى حسير الذي كان يتململ وهو
ساخط ثم قال «أهلاً وسهلاً بكم» بلمحة غير مضعة ثم أسرع في الخروج
وهو يقول: «حسبنا أمك. صدم. ساحر عندي شعل لارم أروح إلى
المحر».

ابنسة عدد من الرجال وشعرت أن حسيب قد نصابني. وعلمت فيما
بعد بأنه مشهور بحبه وبراءته.

«روح للمحر بعد ماجر. ماجر الإنكليزي يشرف بينك»

«نشرفت» رد حسين وهو كتب

وقال صدام. «إذا الظهر لحم وليس وأرو»

لجأ حسين إلى الآخرين وقال: «كلكم نعرفون عدي شعل ولازم أروح ماجر إلى المحر. لي موعد مع ابن عم روجني».

«هناك اللي مات في العام الماضي» قال صدام

«لا. ضحك صدام. وحياتك، بالعاس با صدام».

«والله حسين. اليوم اللي نصب فيه الصبف يكون يوم عيد، عليك

العار»



شعرت مأسى بالنسة إلى عحرم
ولما عادر الصبوف أحبراً أوعى صدام إلى عحرم وشخص آخر مائماء

في المصبف لمنصبه الليل

«صع أمنعة الامكليزي بيكما. وصع العانوس فوفها. ينفى أحدكم
بنظاً. أفنلكم إذا سرقوا أي شيء، مه واج أحد السدفة إلى داري للأمان»
ثم قال لي «راح نرناح هنا والمصان هم حرامية، في الأسوع الماصي
سرق بعضهم رورفي. الله بحرفهم! ولا نرال مفضودة. وفيل شهر، دخلوا
الدكان بالليل وسرفوا كل ما فيه. عدما نكون في الأهوار سم على سلاحك
والأ راح يسرفوه. ما يسرفك أهل الدار بل يسرفك الآخرون. ربما من
قربة أخرى. وفيل نضع سواب، جاء الوصي بعسه إلى المحر. حصر
جميع الشيوخ هناك مع رحائلهم وكوزوا حشداً كبيراً. وكان أحد رجال
الشبح محيد بملك بندقية (برنو) جديدة، دفع الشبح ثمنها ومقدارها مائة
دينار وأخذ ينأهى ويتأخر بها ويربها إلى الجميع. طلب أحد المعتان مه
أن يراها. ناولة السدفة وسرعان ما غاص المعتدي بن الجمهور المحتشد

ولم يره أحد أمدأ مرة أخرى والسدفية لم تعد إليه أمدأ وعندها غضب
الشيخ محيد لهذا العمل»

جلب خادم صدام فرائشاً ولحافاً فقال له صدام «صعها هناك، لا،
صعها هناك أبها الغني، صع المحدة». فلت له بأن لدي طائيات.

«لا نتاحها هنا. هذا بيتك». وثب المخذة ثم نسي لي ليلة صعيدة
وحدّر عجرم فائلاً: «إذا نمت أسلح حلدك». بطهر أن هذا تهدبد ومن
الممكن نفبه.

أما أنا فحرحت حارج البيت فل أن أوي إلى فراشي كانت ليلة
طلما، لا أثر للقمر فصاح عجرم فائلاً «دير مالك من الكلب».

كانت النجوم نلمع ونرسل أشعة الماسيه وقد انعكست على سطح
الماء بين قدمي. وكان الهواء بارداً جداً فيه شيء من لمسات الشتاء.
وهناك، في بيوت عديدة، نتأجج نيران المواقد، ويمكن مشاهدتها من
مدخل الباب

حفظ المط على الماء بالفرس مي، ونظاير رداد الماء، وسمعت مرة
أخرى نبق الصقاع الموزون.

٧ - بومفيقات

إحدى قرى الأهوار

أيقظني عحرم والشمس لم تشرق بعد ثم بدأ بإشعال النار مستعملاً
روث الحاموس، وسرعان ما امتلأت العرفة بالدخان فقال لي عحرم



«صاح الحير صاحب. نعم ربي؟»
«صاح الحير. عحرم. نعم. يوم سرج معلق وأنت؟»
«ما نمت. حرمت أمتعتك»



قرية بومفيقات

طوى الفراش ثم أخذ الكئلي وانحبا في إحدى زوايا المصيف وبدأ
بصب الماء الفاتر على يدي وأنا أمشيها بالماء ثم أغسل وجهي وأمصمض
فمي. ولما انتهيت نادى صدام حتى يحلب الحواميس خرجت حتى أرى
كيف يحلب عحرم الحواميس. فرأيت وعاء الحليب مصنوعاً من كتلة
خشبية، له قاعدة مستدقة حتى لا يمكن وضعه على شكل قائم، أخذه
عحرم من يد الخادم ثم جلس الفرصاء في جانب من جوانب الحاموس
واصعاً الوعاء بين ركبتيه وكانوا قد جلوا أربعة حواميس وعملوا واحداً.

وتعجبت لماذا استدعى صدام عحرم بدلاً من الإيعاز إلى خادمه
ليحلب الحاموس. ثم عرفت بعدئذ بأن هناك عدداً قليلاً من الفتيان فقط
يعرفون كيف يحلبون الحاموس. فيها يكمن موطن ضعف عريب بين الناس
الذين يتركو حيواناتهم حول حواميسهم. فعص الأسر في قرية قاتب تملك
مقدار خمسة عشر حاموساً، غير أن العدد الاعتيادي كما يبدو هو ما بين
(٦ - ٨) حواميس. نفى واحدة منها على الأقل أمام كل بيت

كانت المباءة في البحيحة كالرحلحة، لونها حافت، والهواء
بارد ورطب أيضاً

لم أتعجب حينما رأيهم لا يسمحون للنساء بحلب الحواميس لأنني
رأيت أيضاً في القسم الحوي من الحرية العربية أنهم لا يسمحون للنساء
بحلب الإبل مطلقاً. ووجدت، من جهة أخرى، الرجال في الفباطل التي
تربي الأغنام خارج الأهوار لا يحلبون العجم والماعز كما لا يحلب الرجال
الأكراد أغنامهم أيضاً بل إنما تحلبها سائهم لكنهم يساعدونهم في مسكها
فقط

والرجال في الأهوار لا يدفعون الحبوب ولا بحرثونها ولا يصنعون
أفراساً من الروث لاستعمالها كوقود بل إنما يقومون بطبخ الطعام وجلب
الماء إن لم يتواجد النساء للقيام بهذا العمل لهم فالمحرمات شائعة بين

الناس البدائيين جميعاً في إحدى المرات فقدت العثة الكائوليكبة أتباعها في أراضي شيلوك Shiluk الواقعة في جنوب السودان لأن الفسارسة لم يعيروا اهتمامهم إلى احتجافات الصيادين الذين كانوا يقاتلون بأن النساء وحدهن تلصقن الطين على جدران الدور

وبعدما انتهى عزم من هذا العمل، تناولوا فطوراً المتكون من أرعفة الحبر المصنوعة من الأرز وحليب الحاموس بعد غلبه ونخلينه بالسكر. ثم أرسل صدام ثلاثة رجال ليعلموا المشحوف ويوصلوني إلى قرية يومغبفات

وهنا في قبات يُعتبر صدام الأساس، وهو المسمند فيها، بعدم الفرويين أو بخلدهم حسماً يشاء ويتوهم الصراخ في النجاة التي تعبر من هنا، فهو ممثل الشيخ محبّد، والحكومة لا تمنع بأن نترك السلطة بيد الشيوخ في الأهوار



والشيخ محبّد هو أحد الشيوخ الذين في عشيرة التومحمد، وهي عشيرة مسنوطية، يبلغ تعدادها (١١٠٠) نسمة وتسكن على امتداد المحرى الرئيسي لنهر دجلة والفرات في المنطقة التي نصّب في الأهوار ابتداء من العماره وحتى حوب الحرير.

والشيخ الآخر هو محمد العربي، وهو رجل عجوز، مقاطعته في الجانب الشرقي من نهر دجلة وفي العهد التركي، كانت العشائر تعتمد في رراعتها على زراعة القلّب. وتندر الأرض التي نعرها مياه الفيضانات في فصل الربيع

وفي الوقت الحاضر، ومع دخول المصححات الميكانيكية، يزرع الكثيرون مهم المحاصيل الشتوية كالقمح والشعير ومع أن كل أسرة تقريباً تربي عدداً من الحماميس، فإن العشيرة محسوبة على الفلاحين ولبس على المعدان ما عدا بعض الأفعاد التي تسكن داخل الأهوار

تسكن أسرة واحدة أو اثنتان فقط من عشيرة التومحمد في قرية قباب

نفسها. وأما السكان الآخرون في القرية منهم من ينتمي إلى عشيرة
القرىحات والشغابا أو عشيرة العرطوس.

نعيش هذه العشائر الثلاثة كما نعيش عشيرة الومحمد في كل مكان
من الأهوار وهي محسوبة على المعدان، على الرغم من أنَّ الكثيرين منهم
يرجعون الشلب.

ففي لواء العمارة، للشيوخ الذين نحدد أراضيهم الأهوار، الحق على
القرى الكائنة في الداخل حتى وإن كانت تسكنها عشائر أخرى، وبأخذ
الشيخ حصته من محاصيل الشلب.

وعندما يمنع أحدهم عن دفع الحصة المستحقة عليه لا يسمح له بيع
محاصيله. كما أنهم يلحون على الفروير على بيع السمك للأشخاص
المحولين بالشراء فقط، ولهذا السبب يندمر الفرويون من هذا الأسلوب
ولكنهم يصرحون للأمر



وبالمقابل، يحافظ الشيخ بأدب على الأمر في هذه الترويع وبحكم
العشيرة بالعدل حسماً بفهمه. والعشائر تحشى النورط في المحاكم لأنه
ينطلب من الأشخاص عند ذلك دفع أحور المحاماة الباهظة ودفع الرشاوى
فضلاً عن أنهم سوف يتعدون عن يمينهم لفترة طويلة من الزمن، فإذا أدبوا
فسوف يتم وضعهم في سجن المدينة وبذلك يصبحون بعيدين جداً عن
أهاليهم وأقاربهم الذين يسكنون في الأهوار. أما الشيخ فإنه قد يفرص
عليهم العرامات عند المفاصة أو يخلدهم أو يحكم عليهم بالسجن في
قرية.

يظهر الشيخ في دعاوى أناعه في المصعب، بحبته رجال بارزون
وبحضور أتباعه، ولقد أدبى عدد قليل من الناس وهم في الحقيبة لا
يستحقون مثل هذه الإذاعة. وصدام هو اس عم الشيخ محبب الخليفة.
ويعطي الشيخ مثل هذا المركز إلى أحد عبيده الذي يعتمد عليه ويثق به.

والعبيد في العراف كلهم أحرار من الناحية القانونية، غير أن العشائر لا تزال تعتبر الشخص عبداً إن كان يسحدر من سلالة من آباء وأجداد عبيد.

وهذا لا يعني أنهم يعاملونهم معاملة سيئة أو يحثفرونهم علماً بأن كثيراً من العبيد قد أصبحوا من أتباع الشيخ وإن لعدد قليل منهم السلطة والمقام العالي، وأسمعهم في كثير من الأحيان يتحدثون عنهم ويسندونهم على مراكزهم الرفيعة. كما أن فسماً منهم قد أصبح آخاً للشيخ بالرصاعة أو أحوه لأسائهم بالرصاعة ولا يمكن تمييز الكثيرين من العبد عن رجال العشائر الآخرين من حيث اللون والمظهر لأن الدماء العربية تجري في عروقهم.

ومن الأمور الشائعة أن ينزوح العرب فتيات من العيد إلا أنه لا يحزن للعبد أن ينزوح امرأة حرة وإلا فالموت هو المصير الذي ينظره إن من المرأة الحرة بسوء.



وإذا ما حصل شيء من هذا القيل والقال أحد أقارب المرأة الحرة وبقتل هذا العبد الذي نحاسر ~~بقتل~~ ^{بقتل} المرأة أو نروحها حتى يمحو آثار هذا العار.

وسرعان ما أدركت من أن صدام شخص عبر محبوب للعبادة، لأنه مستد وطائم وعندما بثور عاصماً لا يكبح له حماح.

وبنهمه الفرويون من أنه استعاد كثيراً من مركزه حتى أصبح ثرياً، ولكن لا بد لكل واحد منهم أن يهيج الهيج نفسه إذا واثته الفرصة. عبر أنهم جميعاً اعترفوا بأنه شخص سحي وكريم، يعجبون من قوة أخلاقه ويسرهم كثيراً حسن نفاذهم ومهمه للأمور إلى حد الإفراط. وفي إحدى المناسبات، رقع الحبران بقبام رجال زوروه بالعناء الشاقي العاطفي أثناء مرورهم من قرية كان صدام يكره أح أحد الأشخاص وقد نومي حديثاً ولا يرال أهله يفهمون له مراسم التعرية - الأعبة هي «الله ينعل أحوك اللّي مات البارحة، أنت ابن الكلب».

وأخبرنا نحاوِر حدود صلاحبانه، فمى إحدى الممرات. كان أحد الفوارب محملاً بحصافات من النمر يحتر في قرية قارب في طرفه من القرية إلى العمارة، حرج صدام من بينه وأمر صاحب الفارب بشكل جارم أن يتوقف عن السير ويتناوله ثلاث حصافات من النمر فل مواصلة سفره. فود عليه قافلاً بأنه كان يسره أن يقدم لصدام شيئاً من النمر كهديّة، لكنه، لعن نفسه إن فذم له منها شيئاً بعد هذا الطلب. فما كان من صدام إلا وأن دخل بينه ثم حرج حاملاً معه سندقيه فأطلق النار من فوق رأس صاحب الفارب.

اشتكى هذا الرجل لدى الشيخ محمد الحليفة فمخى صدام عن مصه هذا لعمله المشين. التفتت به مرات عديدة من بعد هذا الحادث فوجدته في فخر مدفع، لكنه بقي على عادته في الكرم والسحاء. يرحب بالضيوف مثلاً كان يرحب بهم حينما كان يحكم



تعد قرية يومضات مدار قارب. انطلقنا إليها من مصب صدام ونحن نسير في مسيرنا معاً مانباً بحري كالمهر الرئيسى بين القرى. وسألت صدام عما إذا كانت هذه الممرات بين مابث الفصص هي طبيعبة أم من صنع الإنسان فأجاب، بأن المعدان بسوفون الحواميس حينما ينقص مسوب المياه من خلال الفصص حتى يحدثوا أثراً لطريق يسلكونه، ثم يبقى هذا الأثر فيما بعد مفتوحاً بسبب دهاب وإياب العشاحيف منه

شاهدنا أثناء سيرنا عدداً من الحواميس وهي عاطفة في وسط محرى النهر، وكان الشخص الحائس في معدة المشحوف يرت على رؤوسها بعضاء حتى يبعدها عن الطريق، لكنه ما كانت نبالي أو نتحرك من أماكنها حتى ولو سار المشحوف على احداها لمنع ظهورها

سألت «هل بإمكان الحواميس أن تلامس مقر الماء في كل مكان

من هنا؟»

«لبس في كل مكان، ولكن لازم تقف على فعر الماء حتى تكدر تأكل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فيي نحب أن نفى داخل الماء مثل هبذج الحواميس اللي شفتها لما عرناها. وأحياناً يكون الماي عالي جداً سبب الفيضان في مثل هذه الحالة على «الحافات أمام البيوت. لكن، الذباب بزعجها وما تكدر تأكل. وإذا أكلت بصعب على صاحبها تأمير الطعام لها. والمعدان بمضون النهار كله في قطع السانات حتى يؤمروا العنت إلى الحواميس في الليل. هاي هي حالة المعدان، بقطعون الفصب إلى جواميسهم حتى تأكلها»

عرفت بأنه عندما نرعى الحواميس لمب ففئات على السانات الماثية وعلى الفصب والمرددي وعلى لسان الثور والسجال وعبرها من أنواع السانات المانية وأنواع من الحشائش التي تنمو في الأراضي الواطئة الممتدة على حافة محرقى الماء.



وحدثت نمابة عشر داراً في قريتنا فمقيقات في مكان مخنم ومناث الفصب نردحم عليها. برلنا من الحشائش على السانات كاحل كبير جداً ومنحدر، أسود اللون، دخلنا الدار عن طريق حفرة صلبة ووجدنا فيها عدداً من الأشخاص، واهمك الجميع في إعداد العرفة نوصع الفرش على الأرض وحلب المحدثات. ثم قال صحن مصبنا «مرحاً يا صدام، مرحاً يا صاحب» ثم تقدم الجميع للسلام علينا ومصافحنا. فرأينهم لا يخلعون عن المعدان الآخرين يبرندون الدشداشات البيضاء أو العامضة. أما الأطفال فكانوا يبرندون الملابس الزامية. وأما داخل العرفة فهو لا يختلف في شيء عن العرفة التي كنت فيها يوم أمس مع هارفي واحد منهم أوضح لي صدام مغزاه.

كان المدخل على الجدار الشمالي يدل على أن البيت (ربعه). وهو مكان قسم مه للسكن وقسمه الآخر للضيافة.



بوسع الشخص الغرب
حبسما يكون بين المعدان أن
يتوقف في أي مكان يشاء حتى
يتناول الطعام محبباً كما هو
الحال حبسما يكون بين العشائر
الأخرى ويفضي لبلته ولا يرد
أحد طلبه.

أما إذا كان هناك مصيب
فإنه يذهب إليه، ما لم يكن له
صديق في القرية، وفي القرية
ليس فيها مصيب فمن المنوع
أن يذهب الغرب إلى (الريعة)

وبإمكان كل شخص أن

شخص - مختار من عشيرة الغفريجات

يحول بينه إلى (ريعة) أو يبين
مضيعة حفيقة. ولكن، لكي

يعمل ذلك عليه أن يلدأ إلى السيد لكي يبارك له عمله هذا وإلا سبلاقي ما
لا يسهه ويرضيه. فقبل لي فيما بعد بأن أحد الشباب كان قد ادخر شيئاً من
المال في البصرة ثم عاد إلى قريته الواقعة على النهر الرئيسي فبنى له مضيعة،
ولما مات والده خلال سنة من بنائه المصيف ثم ماتت زوجته ثم يستغرب
الغروبون ذلك فقالوا «ما كان أبوه في يوم من الأيام يملك مضيعة ولا حتى
ريعة، لو يريد يبي مصيب أو ريعة، لارم يروح للسيد حتى يبارك له وإلا
فإن هذا العمل يتقلب عليه ويصير شوم»

علقت على كرم العرب، فقال لنا صديق بأنه قبل عدة سنوات، زار
ثلاثة أشخاص من المعدان من قرية الفور مدينة المصرية وهي لا نعد عنها
كثيراً. كانوا شباباً باعجين. أصحاء، لم يشس لأي فرد منهم الخروج من

الأهوار والإبعاد عنها. ولما وصلوا البصرة شعروا بالجوع والتعب فأخذوا يبحثون عن مصيف حتى تناولوا الطعام لأنهم لا يعرفون أحداً في المدينة. احتاروا في أمرهم وأعباهم التعب فأوجسوا خيفةً وبينما هم في هذه الحالة إذ بشخص مرح، له كرش كبير، بحرّح من بيت يقع على الطريق وقال لهم «مرحاً ألف مرحباً، تفصلوا».

ثم مشى أمامهم وفادهم إلى عرفة واسعة وحدوا فيها عدداً كبيراً من الناس وهم يجلسون على الكراسي ويتناولون الطعام على منضدة صعبة. ولما جلسوا قال لهم «تفصلوا. اعنروا أنفسكم في بيتكم شربدون أكل حتى أحببلكم؟. نريدون شوربه، حصراوات، سمك، لحم عنم، حلويات؟ نشربون شربت؟ سن انطفوا وأنا أحب كل شيء الذي نريدوه أهلاً وسهلاً - أهلاً وسهلاً»

ظن الصبية الثلاثة بأن هذه الطريقة تصرف عريب من نوعه فمن سمع بأن مصيفاً يسأل ضيوفه عما يريدونه. وعلى كل حال، إنه صادق جداً ولا يتصرف مثله إلا الناس المتفهمون فقط.

فقالوا له «ريد كل ما ذكرته لنا»

«زين. راح أجيب لكم شوربه وسمك وحصراوات ودجاج. ما نريدون شيء آخر؟. وبعدين أحب حلويات وشربت حتى نشربون - اسمحوا لي لحظة من فصلكم».

والثنت أخذ الصبية نحو الآخر وأخذ يحاوره فقال له «والله. هذوله ولد المدينة ناس طيبين. وين يشوف مثل هل الكرم في الأهوار؟ أشحان أبنهاتنا بقصدون لما يحذروا من ولد المدن ويقولون بأنهم ناس زينين».

عاد مصيفهم وهو يحمل صحنواً كثيرة من الطعام بحيث غطبت المنضدة ثم حلب لهم الماء ليفسّلوا أيديهم، لكنهم رفضوا بأن يصب الماء على أيديهم ثم قال لهم:

«كلوا. حدوا راحنكم. كأنكم في بيوتكم» بدأوا يأكلون بهم لأنهم لا يتذوقوا مثل هذا الطعام من قبل. ثم جاء مرة أخرى وقال لهم «أجيب لكم مرق ودجاج».

«نشكرك. نشكرك». ثم تحدثوا فيما بينهم وقالوا بعد أن حلب لهم الطعام:

«شلون رجال هذا؟ ولما أكلوا وشعوا قالوا له بأننا اكتتبنا الآن ثم بدأوا يمسكون أبديهم، ولما انهموا جلب لهم الشاي والقهوة ولما انتهوا من هذا بهصوا وهموا بالخروج وهم يقولون لصاحب الدار.

«حزاك الله خير» إلا أن صاحب الدار صاح بهم قائلاً

«هاي وين أوكموا انتظروا شويه الله يحاربكم بالفعل؟. وين فلوسي؟. أعطوني دينارين. حاسي بكم دينارين».

«شكرك! تطلب منا فلوس؟ هذا نصيبك نحن كما عارفين وأنت اللي صحت علينا ولخب حط بالمدحول»

«كلاب! أعطوني فلوسي. معبدي، كلاب، حرامية! أموا راح أخبر الشرطة»


وفي النهاية أخرجوا على دفع دينار ونصف، ولم يبق لديهم أية نفود ثماً لأجرة الحافلة لذلك يحب أن يعودوا إلى القرية مشياً على الأقدام «حسن المعدان» قال أحد المستمعين إلى حديث صاحب «إش لازم نعرف عن المدبة؟».

قال صاحب «زرت البصرة، الناس في كل مكان، السيارات، ألوف الناس، كل واحد ملصق وراء الآخر»

«صحيح لا يوجد مضيق؟. كيف يعيش العرب؟».

«أنت تدفع عن كل شيء». مثل ما تفعل لما نجلس في المفهى في البحر».

وفي هذا الوقت قدموا لنا الشاي، ودخل عدد آخر من الفرويين في العرفة وأصبح الطرف البعيد مكتظاً بالحالسيين أما الطرف الآخر من العرفة فهو للنساء، يظنن فيه ويفس بالأعمال السيئة. وخه صدام كلامه إلى صحين وقال له: «يجب أن تساهم فريه يوميات بحمل فارين من القصب لثناء مضيق الشيخ محبد الحديدي».

وسب هذا الكلام في حدث صبح فارنعت أصوات الحاضرين وهم يحنون حول المساهمين في جلب القصب كما كان العنبا أيضاً يتحدثون الصخب كالكار، فتدخل صدام بلطف وهو بعث محبات مسيخته الكهرمان فقال «وأريدها بعد عدة»  «أنتي هذا الطلب إلى حدث مشادة كلامية بين الحاضرين ثم خعت الأصوات بوصول طعام العداء المتكون من ماعوين كبيرين من الأرز ودحاحين

بومففات فريه من فري عشيرة الفربحات، وصحين هو رئيس فحد الناس من هذه العشيرة التي تسكن ها. وهذا مركز بتوارثونه، عمره أربعون سنة تقريباً، ينمير بمظهر خارجي دي نفوذ هادي، وهو أصغر سناً من معظم الأشخاص الآخرين لكنه ذو سبة قوية، وكان الشخص الوحيد الذي لم يتنحج خلال الحدال والفاش الذي جرى قبل وصول الطعام له لحبة صعيه على ذفته وشارب فصير اعتيادي، وأخوه حافظ الذي يبلغ من العمر (١٨) سنة هو الذي جلب الطعام مع صيين آخرين.

وفي السنة الماضية، بينما كان حافظ يحرس محصول الشلب، سمع صوتاً ظن أنه صوت غريب، فأطلق النار ثم توجه لبسحلي الأمر فرأى أنه قد أصاب امرأة في رأسها. وهذه المرأة من إحدى الفري القرية ومن عشيرة الفربحات.

وافق أهل هذه المرأة في الهابة على قول الدّمة. وعرفت الآن أنهم يحسمون مثل هذه القضية بالنساء. فالشّمس بين عشيرة الفريجات هو ست فتيات على أن تكون الأولى منهن حسماً هو معروف غحرية وعلراء وفي سن الزواج يعني بين عمر (١٤ - ١٦) سنة والأخريات يعرفن باسم (طلّاوي).

والعحرية يجب أن تكون من أسرة القائل أو من أقرب أقربائه إن لم يكن للقائل أخت أو بنت ملائمة لسن الزواج فتزوج أخت القائل أو ابن عمه.

ولمّا كان العائلة الممخوعة تنفّدها أن تختار العدد الذي تريده من (الطلّاوي) أو تختار المال بدلاً من ذلك. والمال هذا مفتر بحمين ديناراً عن كل من العناء الأولى والثانية و(٢٠) ديناراً عن كل عناء من الفتيات الثلاثة. ويؤمّس أحد العشيرة الذي يتجهى إليها القائل المال أو النساء. وعندما أديت راباً قلت فيه بأل ست نساء. مقابل حياة شخص واحد هو ثمن غير مناسب. قال صدام



«النعوبص بين عشيرة التومحمد لشخص واحد من أسرة الشبح هو (٥٠) امرأة مع نهي القائل لمدة سبع سنوات».

ويسمى العرب الدم المأخوذ عن الدم بالفصل، غير أن النعوبص أفضل تسمية.

لا تؤثر درجة الذنب أو الحرم على مبلغ الفصل، فقد سمعت أنهم طلبوا مالاً عن مقتل شخص مصى على قتله عشرون عاماً من بعد حادثة جرح فيها ودفع له المال. ويرفض أفارب القتل بالتأكيد تقريباً قول المال، ويعطون في هذه الحالة الدم مقابل الدم. والفصل على درجات مختلفة بالنسبة للضرورة الماجم. فالعين تعادل نصف الحياة والسن يعادل امرأة واحدة وهلم جرا. ويتم الدفع عن كل الأصابع إلّا، لبعض الأسباب عن الإصبع الوسطى. ويتم الدفع على شكل صفة على الوجه علناً وحتى أن

صدام قال لي بأنه إذا ما قتل شخص ما كذب آحر عمداً فإنه يجب أن يدفع ثمن الدم ويمكن نوبتها ثلاث مساء فقط.

انسابي شعور حب الاستطلاع عن أصل عشيرة التومحمد فأوضح لي صدام كيف أن شخصاً من عشيرة ربيد عرة المسمى (محمد) قتل اس عمه فل أربعة عشر جيلاً وأخذ إسنه المسماء (باشا) معه وبدأ يبحث له عن ملجأ حتى ينجيه إليه.

لجأ إلى عشيرة العريجات وعاش معهم مدة (١٥) سنة ثم وقع في غرام فتاة اسمها (مهينة) ابنة شبح العريجات الحميلة

وأخبراً وافق الشيخ بأن يزوج إسنه له على شرط أن يسمح له محمد بأن يتزوج (باشا). فوافق محمد على هذا الشرط. عبر أنه في ليلة الرفاق استبدل الشيخ اسنه الفبيحة المطر والمنطقة (كوشه) بابنته الحميلة (مهينة). وبدأت حماعه الرقة بعني وتوقف كما هي العادة الحارية حتى أوصلوا الفتاة إلى بيت محمد الذي تنطقها كيمور وعذمل رفع الحجاب عن وجهها اكتشف الحدة. وبدأ من أن يطلقها رضى بها كروحة له وقال «الحمد لله. هاي هي البنت اللي هي من نصيبي». ولدت له كوشه ولدين سعد وعود. ومهما انحدر العجدان من عشيرة التومحمد الكبيرة، وهما العفله والوعود وأصاف صدام فائلاً نحن عشيرة التومحمد نقول في صيحة المعركة [أنا أخو الباشا].

وهذه العادة كغيرها من العادات الأخرى العديدة ولدت بشكل واضح مع الدو في الحرية العربية حينما يصبح الرجل صيحة المعركة فذكر إسم أخنه أو إسم جملة المفضل. وفل أن تعادر المكان، دخل الغرفة سبند. وهو رجل متوسط العمر، على ذفه فش إد كان يقطع الحشيش علفاً لحيواناته، يرندي دشدشة عنيفة ومعرفة بعض الجميع حينما دخل تقدمت حماعة صدام النبي معه في المشحوف لتفل بديه. هنالك عدد لا يحصى



عائلة من الفريجات من قرية بومسبات

من السادة في القسم الجنوبي من العراق كما هو الأمر في معظم أقطار العالم العربي، وهنالك عدد من القرى في الأهوار تفنخر بسب وجود أسر كثير تنحدر من سلالة النبي محمد ﷺ.

مكثت مدة بين عشيرة الفرطوس مع أسرة تسمى بالسادة وقد أخبرني عدد من الناس في القرية فائليبي «هذولاك موسادة أبداً. نحن نعرف منين أجو. قل أيام صبيح العجور كوفية بلون أحضر». وعلى الرغم من ذلك فإنهم ينادونهم بكلمة (مولانا) وهي الصيغة المستعملة عند محاطة السيد. ومن المحتمل أن لا يسأل أي أحد، بعد نصح سوات، عن ادعاء هذه الأسرة بأنها سادة

كان بيت صحن مشيداً فوق حزيرة فد تكون طيبة أو مكاناً لقرى فديمة العهد. ولكن لاحظت حينما عافيت من أنه مؤلف من طبقات متتالية من التراب والقصب المتصح



وجدتها، هي الحفيرة بأوصاف مختلفة الصيغ من أشجار الأسل من النوع نفسه وهي التي كونت أساس بيت الراتر في قرية فاب

ونتلخص طريقة تشييد البيت في القيام بإحاطة المنطقة المائبة بقدر ما يكفي لبناء البيت والساحة مع السباح أولاً بحاجر من القصب ببلغ ارتفاعه مقدار (٢٠) قدماً

والخطوة الثانية هي عارة عن تكديس القصب الموحود داخل السباح ونوصع فوق هذه الأكواء ثم يكوم المعدان أشجار الأسل بكثرة فوقها ثم يدوسونها بأقدامهم أكثر ما يمكن من الشدة.

وعندما يتأكدون من متانة الأساس، يبدأون عندئذٍ ببناء الدار ويسحبون القصب حتى تشكل أقواساً مربعة داخل الأرض قبل أن يحاولوا ربطها سوية على شكل حزمة.

فإذا طفح الماء على أرضه الدار، لكونها قد عاصت، أو لأن
مسنوي الماء قد ارتفع، فما على صاحب الدار إلا أن يضع مقياساً من
الفصص المقطوع حديثاً على الأرضية. ونسبى مثل هذه الأرض (كاشه).

وللحصول على أرض نديم طويلاً يغطي المعدان الأسس بالطين
المستخرج من تحت المياه. ويفومون بهذا العمل عندما يكون الماء في
أوطأ حده، في فصل الحريف، ثم يستخرجون الطين من المكان الذي لا
يكون عميقاً جداً. ويعطون الطين بطفافات كثيرة من الأسفل. وبعد هذه
العملية تصبح (الكاشه) (دياً). وإذا لم نشعل الأسرة (الدين) لأكثر من
سنة واحدة فإنها تصادر وبإمكان كل فرد استخدامها.

ونشكل هذه الطفافات المتعاقبة من الفصص والطين بمرور السنين
حزيرة مثل تلك الحزيرة التي يرى فيها بيت صحيح شامخاً.

وعند عودنا إلى قرية قاسم طاز نجد من الطل الذي من بين صفوف
القصب القرية ما. ومن سوء الحظ ما كنت أنوقع أن أصيد إذ كانت
بندفتي فارعة من العناد. ~~ونحن في طريقنا إلى~~ أصيب بخيبة أمل. ولهذا
السبب ظلمت بأن أقوم بالبحث عن الطل عندما وصلنا إلى مكانا الذي
يفصله في ذلك المساء، فقال صدام «رين» راح أدر عحرم وبالك. هو
يعرف وين بروج... دبر بالك من الإنكليزي حتى لا يفلب الوروق
الصغير! ثم صاح عندما بدأنا بالحذف وأحد يتعد عنه «هو ما منعود على
ركوبها»

هكذا علق، وأرى أنه لا لزوم لمثل هذا التعليق طالما نسين لعجرم
فلة مهارني، وصادفنا أثناء سيرنا عدداً من المشاحيف وهي عائدة إلى القرية
ومحملة بالحشيش. «وين رايحين يا عحرم»

«رايحين بصطاد البط»

«جربوا حافة الحزيرة. نكون الطل فيها بكثرة».

وبعد فترة قال عجرم «هل بدقبتك حاضرة؟ هذا هو المكان الذي
نقصده».

وفي الحفيفة وجدنا عدداً كبيراً من الط في المداحل المحببة وكلها
بط وحشي للعبة. سرنا بمحاذاة حافة القصب ببط كبير، وحالفا الحط،
وعثرنا على مجموعة من الط السري أطلقت النار فسقطت بطنان فوق
الماء ثم أطلقت الطلفة الثابتة فلم أصب شيئاً

بدأ عجرم بحذف بانحاء مكان سقوط البطنين حتى يلتقطهما من
الماء. فقال

«دير بالك هك عدد من الط حابات عليا»

وبعد أن صاح الط من صوت الإطلاقات وطار، أخذ عدد من بحوم
فوق رؤوسنا على شكل دائرة فأطلقت النار على إحداها فسقطت على
مسافة بعيدة في داخل القصب. «وَمَا كَانَ مِنْ مَحْرَمٍ إِلَّا وَنَزَعَ مَلَاسَهُ وَأَلْفَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ انْدَفَعَ مِنْ الْقَصْبِ يَحْتَثِ عَنِ الطِّفْلِ. وَلَمْ أَبْهَشْ حَبِيبًا عَادَ وَهُوَ حَالِي الْوَعَاصِ، وَكَانَ يَحْتَوِي عَلَى الْمَاءِ الَّذِي يَصِلُ عَمْفُهُ إِلَى حِدِّ الصَّدْرِ حَبِيبًا عَادَ إِلَى الْمَشْحُوفِ وَيَدُا يَنْسَلِقُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَلَوْ حَرَّتْ أَنَا مِثْلَ هَذَا النِّسْلِقِ لَانْقَلَبَ الْمَشْحُوفُ بِالنَّكْبِدِ وَلَكِنَّهُ فَدَا عِنَادَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ فَلَمْ يَنْقَلِبْ الْمَشْحُوفُ بَلْ إِنَّمَا بِالْكَادِ أَرَاهُ يَهْتَرُ. ثُمَّ ارْتَدَى ثُبَاهِ وَالتَفِطُ الْمَحْدَافِ وَيَدُا يَحْذِفُ مَتَحَةً صَوْبَ مَحْرَى مَاءٍ آخَرٍ. وَفَإِنِّي أَنْ أَذْكَرُ بَأَنِّي رَأَيْتُ جِلْدَ جِسْمِهِ حَبِيبًا نَزَعَ ثِيَابَهُ أَبْصَرَ لَمْ نَلْعَمِجْهُ الشَّمْسُ كِبَاصُ جِسْمِي تَقْرِيْبًا».

صدنا بطنين آخرين قبل عودنا إلى قرية فاب حيث وجدنا مجموعة
صغيرة من الرجال والنساء بانتظارنا خارج المضيف. شاهدت فتاة ذات
بشرة سوداء نحيل على ذراعها طفلاً غطته بشالها وقال لي صدام

«هذه الطفلة المسكبة احترقت وأصبحت بحروق. يريدون دواء منك

هل تكدر تساعدهم؟».

البغال الذي كنت قد زرنه الدواء لمعالجة عبه التي ندمع . وغبث على هذه الحالة إلى أن ذهب آخر فرد منهم وحل الطلام نرباً.

وحدث لحم البط حبسنا نعشياً لذيذاً جداً وبعد الانتهاء من تناول العشاء بدأنا بلعب لعبة (المحبس) إذ انقسمنا إلى مجموعتين، كل مجموعة مؤلفة من خمسة أشخاص.

جلست المجموعة التي معها المحبس في صف واحد وأيديهم تحت العباءة حتى يحموا هذا المحبس بيد أحدهم، ثم يهض واحد من المجموعة الثانية ويحاول أن يعثر على الشخص الذي يحمل المحس وعليه أن يعرف في أية يد هو . فتراه بروح ويعدو على عجل ويمر من أمام كل فرد منهم وهو يصبح بصوت عالي «أشوف المحس بيد فلان من فلان أشوف المحس بيد فلان من فلان» ويستمر على هذا الموال وهو يصبح «أنت فلان إفتح إيد اليمين . أنت فلان إفتح إيد اليسار . أنت فلان ذب المحس في يد اليسار» . فإن علم عليها فلدا الجماعة الأخرى بإخفاء المحس وإلا نحبس لهم نقطة من فريقهم.

وبما أنني لا أفهم إلا الشيء القليل مما يتولوه لذلك وحدث هذه اللعبة مئة تماماً، غير أن الآخرين يستمتعون بها جداً.

وكنيت ألع لعبة المحبس في مناسبات كثيرة وفي فري كثيرة وننتهي اللعبة نربياً مثلما نتهي عندما حبسنا بلعب بنراشق النهم وفذان الصبر .

وأخيراً صرفهم صدام فائلاً لهم - وهو محق في قوله - هذا الشخص الإنكليزي نعان ويريد أن يام روحوا أني بيونكم.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

٨ - عبور الأهوار الوسطية

في اليوم التالي، بدأنا أنا وصدام نعبر الأهوار، كما وعدني،
فاصدين بهر الفرات الوقت لا يزال مكرراً، فأصبنا ساعة والشمس لم
ترفع كثيراً. رأينا صفاً من المشايخ التي يفودها الرجال الذين يتركون
لجلب الحشيش، ورأيناهم قد وضعوا رماح صيد السمك مطروحة في
مقدمة المشايخ.



كنت أنا وصدام في مشحوف واحد، وصحين في مشحوف آخر
وفي كل مشحوف ثلاثة حدادين. ~~لأنهم لا يتفعلون~~ لأنهم لا يتفعلون



مشايخ من قرية العكار



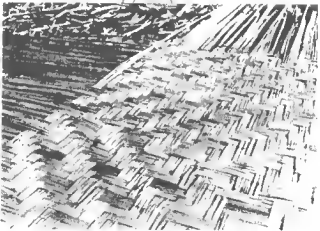
في الأهوار إلا ومعهم السلاح قتيق قتيق وشعك وخاصة حبسما بمرون من
بين أراضى عشيرة أخرى

ولما وصلنا إلى نهر الفرات تركوني وحيداً وعادوا من حيث أنوا
ولم أحد أحداً بعنني سي وبأشبائي كما لم أحد أحداً بقدمني للأخريين
للتعريف وذلك حينما أصل إلى قرية جديدة وكنت قد حاولت إقناع عجم
بأن يأتي معي ويرافقني كرميل، ووعدته بأنما سيعود إلى قرية شاب بعد سنة
أسابيع تقريبا لكنه رفض دعوتي، وقال لي صدام «بخاف بحي وبياك»
محمد يحي وبياك هسه المعداد هه حيلة ويعيشون هنا في الأهوار
مثل ما تعيش جواميسهم يخافون من الحكومة. صادقت شخص إنكليزي
وعرفت أنهم أناس طيبون لكن المعداد هه قوم شكوكين من كل العرياء،
لعل السب بعنف عجم أنك منأحده ونحده في الحبش»

ما كنت أتوقع أن أجده أبة صغرية في العثور على رفين وبدأت أشعر
الآن بحياة الأمل. رأيت نحاسي صبياً يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً،
يحذف المشحوف فقال لي «حدي وياك صاحب. أعطني النفود وحدي
وباك. إذا جيت وياك ما راح أغيب نفسي بحصد الحشيش طول النهار
داخل مثل هل الماي البارد»

وصاح آخر فائلاً «لا. لا نأخذه معك هذا شخص ما به فائدة،
كسلان، حدي أنا وباك».

وفال صبي آخر فذرت عمره ثلاثة عشر سنة، يحذف في الجاب
الأخر، أفضى الأنف، فمه واسع، عبوه صاحكة وحسبه هربل: «إنيكم
ما نفعون شيء وما بيكم حبر حدي أنا معك أفدر أعني وأفدر أرفض.
راح أسليك»



حصيرة من القصب محاكة من شرائح من سيقان الذمم



مقدم القووق

ثم التفت صدام بحوي وقال: «كلهم يعزحون» ثم وجه كلامه إلى الصعير وقال «داوم يا حلو وعي»

«ما أعرف أشلون أعني يا صدام»

«داوم عي يا حلو، أطربنا حتى نصل إلى مانت الفص»

وصاح صبحين أيضاً من مشحونه قائلاً «عي يا حلو».

وقال صدام بأن لهذا الصبي صوتاً عذواً وحلواً. «إسم على مسمى نعاماً».

ابنسم الصبي بوحها أنشامة عربية ورافه هذا المديح ثم بدأ يعني بصوت عالٍ «العرب كالموا لي عنك أنك من الأول ظالم». كان صوته رخيماً جداً وذا إيقاع جيد وبعمق حريته. وشرح لي صدام هذه الأغنية وقال بسرعة أبصاً أظن بأن هذه الأبيات إنما نُظمت حول شيء لم يخطر وراء بهر دخله. نظمتها زوجته لأنه عاملها معاملة فاسدة ثم طلقها. وأحسب أنه كان يظن من أنني أفرص بأن الأغنية تعبى هو - وهي بالفعل موجهة إليه.

ويدوم مثل هذا العناء في الأهوار ويبقى شائعاً طوال سنة أشهر أو طوال سنة بأكملها. ثم يعمون أغلبية أخرى بعدما يملون سماع الأغنية الأولى. ونسمع بسر الوقت أعاسي كثيرة رائحة في ذلك الوقت. وربما هذا هو الشيء المفضل لديهم والسهل

سمعت هذه الأغنية طوال السنين الثلاثين في كل مكان. في حفلات الأعراس، في أمسيات الرفص المرنحلة مثلما أسمعها الآن وهم يعمونها وهم سائرون نحو مابث الفص.

«داوم يا حلو عبي أغنية أخرى» ويعني حلو أغنية أخرى استعانة لطلبهم. لم تكن لوحداً في هذا المكان بل إنما كان هناك عدد من المشاهيد تنتظر حتى يلحن بها. رأيت ما بين (١٢ - ١٥) مشحوقاً بمر الواحد بعد الآخر وهم يدفعونها بحابسا في هذا الطريق المائي

رأيت صبيين يحدوا في مخرج المشحوف أولاً ثم لاحظت بعدئذ من أن المعدان يفعلون هذا الشيء صملاً يكونون بمفردهم في المشحوف وكلما توقف حلو عن العناء كغيتق الأجر يمشي في كل مكان صانحة «داوم يا حلو، عبي بعد».



الخروج إلى جمع العلف صباحاً

ورأيت فناة صغيرة لا بنجار عمرها الأربع عشرة سنة وهي حالسة بمفردها في أحد المشاحيف، واصعة عشاءها السوداء على رأسها وعلى أكتافها. ولما دفع أحد الصبيان مقدمة مشحوفها بعداً عنه ببديه موحهاً المشحوف نحو الفصب، التفت إليه بعصب وصاحت بوجهه وعنفته. ولم أستطع سماع ما كانت نقوله عبر أنني لاحظت الآخرين بصحكون ويحثون الفتاة بأن لا تتوقف بدون لروم

وهي مشحوف آخر، كانت فناة أخرى صغيرة تحذف مع أحبها في مشحوف صغير، نجلس بحانه كما يحب أن نفوم به النساء على الدوام، فسألت عما إذا كانت النساء تساعد في قطع الحبش. فأجابني صدام قائلاً: «نعم، فقط لما تكون الأسرة في عور للأبدى العاملة»



العودة بعد المساء مع حبات العلف إلى الحواميس

وأخيراً، انحبت المشاحيف الواحدة وراء الأخرى إلى داخل الفصب، ونادي حلو وهو يمزح حبهما غادرا قائلاً: «ما نريد أجبي وياك يا صاحب؟».

تمتد أمامنا مياه شاسعة، مقدارها ميلان تقريباً، ورأيت سطح الماء يتحرك بفعل نسبه الصباح، وهو ملون فاتم إلا أنه يلمع ويدو أروق اللون.

قال لي صدام بأن المعدان يسمون هذا (دماً). ويطلقون على كل قطعة مكشوفة من المياه اسماً خاصاً بها حتى وإن لم تكن أكثر من بركة كما يطلقون على كل بحري ماء أو على كل قطعة من منابت القصب اسماً خاصاً أيضاً. ولكن، معلوماً عنهم ومعرفتهم محدودة بالنسبة إلى ما بجوار بيوتهم.

ثم سأل صدام قائلاً «حول البحيرة أو بحر البحيرة؟» فأجاب صديق بعد مرافقة البحيرة والسماء لفترة وحيرة ثم قال «بحر البحيرة». راح يسير مع الريح. وكل شيء على ما يرام. «والآن رأيت ثلاثة أسوار نحوم فوق رؤوسنا في السماء الصافية. ورأيت عدداً كبيراً من الطير وهو يطير حولاً على مسافة بعيدة، في الطرف البعيد من البحيرة. بعضها كان يحوم دائرياً وعلى ارتفاع شاهق، فميزت الطيور التي افتربت ما وعرفت أنها بط بهري صغير وكبير، لونه أروق مائل إلى الخضرة، يعوص حباً في الماء وأحياناً في تشكيل مفارب فوق رؤوس القصب، ورأيت باطن أحتحتها بصياء حمماً استدارت كلها بحركة واحدة صحت من الذي هبها ونقص عليها حبانها

من أرقعة شجرة برسيم



عائلة من المعدان في طريقها إلى السوق



خروج المعدل لاحتلال السمك بالمواج




رأيت مشحوفين على بعد ثلثي ساعة من القصب وسألت عما إذا كانا يطلقان النار على تلك الطيور ثم تكلموا في صياحهم بعد أن نظر نظرة خاطفة نحوهما وقال «لا، هدوله بسمعون السمك، هدوله من قرية القصور، القرية التي راح فيها نأكل فيها طعام الغداء. أحذو بقوة تريد نعر قبل ما يشتد الريح». كنا في منتصف المسافة حينما نادى قائلاً «هبنوا سادفكم صاحب» ثم أشار إلى يسارنا فرأيت مجموعة كبيرة من الطيور المائية وهي متفارة من بعضها البعض.

وبينما أنا أرافت إذا سرر بطير موفها بانخفاض ثم ينفق عليها. ولكن هذه الطيور المائية طردته وذلك بصرت أححنها على سطح الماء فنطائر الرذاذ من الأمواج المتكسرة. ثم بدأت الريح نزداد قوة. ولما استندنا نحو هذه الطيور المائية. بدأ الماء يطمح من على حوائط المشحوف. وأما النسر فإنه انقضّ مرتين أو ثلاثاً قبل أن يصل إلى مدى

رمي هذه الطيور بحيث لم نعر أية أهمية لقدومها حتى بعدما أصبحنا على
بعد (٤٠) يارداً منها

أطلقت النار من كلنا السطاسين مرة واحدة فتفرقت هذه الطيور ثم
طارت بانحاء الريح نازكة وراءها حطاً من الأجساد السوداء طافية فوق
سطح الماء.

وبينما كنا نلتفت الضبور المثلولة كان الآخرون بصطادون الطيور
المثلولة عن الحركة والتي كانت نعطف في الماء حينما كان المشحوف
يقرب منها

كان صاحب الذي يجلس في مقدمة المشحوف يجمع هذه الطيور
المثلولة عن الحركة الواحدة بعد الأخرى بواسطة رمح صيد السمك
فيمسك الطير حالما يظمو على سطح الماء حينما يكون قريباً منه ويرمي
الرمح على مثل تلك الطيور العبدلة 

وعندما يلتقط الطير يقوم لأجد الرجل بحر عفه وهو منحه نحو الفضلة
ويقول «بسم الله والله أكبر» وتذكر هذه الأسم عند الدبح يصح أكله
حلالاً من الناحية الشرعية من قبل المسلمين وبخلاف ذلك يُعتبر، حتى عند
المعتدان أنفسهم، حبة ولا يصح أكله فيرموه ومن الناحية الشرعية،
بحسب أن تكون الطيور كلها حبة حينما يحرون عبقها حتى تنرف منها
الدماء. ولكن رأيهم لا يندققون كفاية في مثل هذه الأمور

سأل أحدهم وهو يصيد الطير ورأته عاطس داخل الماء لمدة عشر
دقائق.

«هذا ميت لولا»

«لا. بالطبع موش ميت. داوم أسرع وأرفع رفته».

فالمبينة والدم ولحم الخنزير كلها محرمة لدى جميع المسلمين، كما

أن هناك محرمات كثيرة نحتل من مكان لآخر ومن عشيرة إلى أخرى
 ومثلاً. لا يأكل بعض المسلمين الطيور التي لها أقدام على شكل شبكة.
 وفي العراق لا يأكل الشيعة الأرناب السرية بينما يأكلها السنة. ويأكل
 المعدان العاق والرقة (نوع من الطيور المائية) ولكن لا يأكلون السمع وأبو
 محل ومالك الحريس والكركي ولكن ليس المفلق. ويأكلون العطاس إلا
 الصغير منه. ولا يأكلون أبصاً سمك السلور. وعندما جمعنا جميع الطيور
 المائية التي اصطدناها، إلتفت صدام إلى الحذافين وقال لهم بأن يسرعوا
 لأن في مشحوننا ماء وشخصين وصاديق.

شكرت الله عندما وصلنا إلى ملحا في مانت القصب

التحق بنا في هذا المكان صبحين وهو على مشحونه ثم بدأنا بعد ما
 صدام. وحدث عندما (١٨) طيراً فقال صدام بعد إن إفتح ورصي عن هذا
 الصيد. «راح يكون عندما دسم هل القصب»



وصلنا قرية القور بعد فترة من الرما. وحدها الصاب الرمادي اللون
 ينتشر في السماء، وسمعنا صبحين إلى رما. ثم انقلب الجو إلى
 بارد مريح

وهذه القرية نشه قرية فاب. وهي سمس الححم نغريها فذهبتا إلى
 أحد السيوت الكبيرة.

كان مدخل البت ضيقاً، في فمة مسحدرة، أسود اللون، ملوثاً
 بالشحم، يعلو مقدار خمسة أقدام أما في الداخل، فوجدنا صبيين يتدقنان
 حول موقد صمبر فقال صدام لهما: «أيوكم موجود في البت؟»

أجاب الأكبر «نعم. سر هسه راح إلى الدكان» ثم إلتفت نحو أخيه
 وقال له «اركض بسرعة وقل لعلوان بأنه عندما صوب».

وفي هذا الوقت، كنت أشعر بالبرد الشديد على الرعم من أنني كنت
 أرندي السترة والقمص والبلوز ويتطنون قابلة ومادية اللون فجلست بجانب

النار وأحسنت بشيء من السرور

وإن علوان هذا صبي، طويل القامة، نحيف الجسم، عمره ست عشرة سنة، برندي دشدشة قطبة مهلمة فقط.

ذهب إلى الطرف الآخر من الميت وجلب معه بعض الفرش والمخدات التي ناولته إياها إحدى العنيمات. وقال صدام لي «خلّبي أجيب أمتعتك»

«لا، راح نروح إلى أبو شعر بعد الأكل».

«هذا غير ممكن، إني هنا هذه الليلة، الحو مو رين ما يصلح للسمر. وعلى كل حال، فات وقت طويل من يوم التي شرفنا»

بعث صدام أحد رجاله فحلب (١٢) طيراً من التي اصطدناها وناولها إلى الصبي حتى بُعد العداء منها.



كان علوان نفسه رجلاً متوسط العمر من الأصدقاء، وصل بعد فترة وجيزة جداً وألّق أيضاً بأن ما حدث فيها هو حصي الليل هما، غير أن صدام أصرّ بمصرورة مواصلة السمر، وسأل «المعدان بعدهم ساكبين في أبو شعر»^{٩٥}

«نعم» أجاب علوان. «المبصان تأخر هذه السنة ولم يرحلوا بعد».

ثم أني بمستلزمات الشاي وهو يقول «اصطدم كثيراً من الطيور»

وعندما أخبره صبحي عن السر قال «أحد النسور سوت عش من الفصص هل السنة كان بها حم كل شخص يروح ويحي في محرى الماي. الفنان يروحون هناك لقطع الحشيش، شعلوا قد يوم النار في الفصص واحترق العش. ولعل السبب أن السر كان يحوم هناك»

وأثناء حديثه كان يعيث بأصابعه بمسحة طويلة فيها (٩٩) حبة، صغيرة، لونها أسود

يسخ بهذه المسحة حينما يؤدي الطفوس الدبية، فيما كانت مسحة
صدام من نوع الكهرمان، فيها (٣٣) حة. يستعملها للنسبة، بعث بأصابعه
بحانها لتمضية الوقت.

بحمل معظم الناس مثل هذه المساح في جوبهم ثم يفرحونها حينما
يجلسون للراحة ويعشون بحانها للنسبة

ولما رأي صدام أطر إلى المساح ألفى مسحته إلى حنى أجرب
مثلهم. ولما أردت أن أعبدها له قال «لا. إحتفظ بها. فهي لك عندى
الكنبر منها في قرية قباب» واعندت على استعمال المسحة مد ذلك
الوقت

ومى هذه الأثناء حى، بالعداء فأكلنا (٩) طبور وأعند أن لحمها
لديذ طعمه كلحم الأور، ولكن، فيها شعوت بذلك لآسى كنت أشعر
بالرد والحوغ.



كان صدام وصحير بياولاني دائما قطعاً من اللحم على الرعم من
اعتراضى وعدم قولى. أما الأرز فقد صحنوا قوفه العرف حنى تشع ثم
أصاعوا شبتاً من الربة عليه أيضاً وبدأنا بأكل.

وحدثهم بأكلون الطعام بأيديهم وقد اعتادوا على ذلك. أما أنا
فوجدت من الصعب ناول طعامى بأصابعى. ولما انتهيا وحى تنظيف
الأرز المنتشر على المائدة، بدأ علوان يجمع الأرز المتلفى مع عظام
الطبور في صحن واحد ثم بصعها أمام أولاده بعد أن حلب أحدهم قطعة
من الزبدة ووضعها فوق الأرز

بدأنا بشرب الشاي، ولما اكتبنا نوحها نحو مشاحبتنا بعد أن ودعا
علوان ولم تشكر، على وحة الطعام التي قدمها لنا، وربما لا يفعلون مثل
هذا الشيء. انطلقنا في سيرا على طول ممر طويل يمكن نمبيره من خلال
نمايل أغصان القصب بسبب هبوب الريح وكاست عافيد رؤوس القصب

الباهنة اللون نموج كالعلم في يوم ذات ربح عاصف وسماء غائمة.

غى أحد أنباغ صدام العاملين في المشحوف نشجيع مه أغنية رابعة.

كان صوته فوباً وأحشاً وكانت أوتار ححرته نبر ووجهه بحثن

كانت الأغنية ذات مقطع طويل بحث نعت على السأم والملل وليس

لها وزن. ولكي أفذر هذه الأعبه مثلما بفنرها الآخرون علي أن أفهم

معى كلمات الأغنية. عبر أسمي وحدثها فوق طاقني وبعد مصي ساعة

ونصف من الوقت وصلنا إلى قرية أبو شحر. وجدت القرية عبارة عن

جريدة ذات نربة سوداء وحرداء، تمتد على مسافة (٣٠٠) بارداً، وارتفاع

أعلى نقطة فيها عن سطح الماء هو بمقدار (١٠) أفدام وساحلها محاط

بمسات القصب. فيها (٣٠ - ٤٠) بيتاً، متفارة من حصا العص بشكل

عبر منتظم وعلى امتداد حافة الماء.



نفخ الحواميس أبها نحد لها قسحة ماسة والبيوت محاطة بسواقي

منعافه حتى تمتع الحواميس من حصادها على حدران البيت،

والأهالي هنا هم شعابا Shaghaba الذين تعيد البيت الذي يبدو

أكثر ثراء حتى تقرب منه. ولما اقتربا منه خرج رجل وصي ورخباً ما ثم

ساعدنا على نقل أمتعتي إلى الساحل لأن رقبتي لم يحلها معهما أي شيء

سوى البندقية. وأدخلنا معاً أبصاً المرادي والمحاديف، لأنه إذا ما تركت،

نفى عرصة للسرفة من قبل المارين من هناك

والمرادي هي عبارة عن سبقان القصب، لكنها من النوع الجيد ولا

يمكن العثور على هذا النوع بسهولة

أما المحاديف فهي معمولة من ألواح خشبية على شكل محرفة، تثبت

بمسامير حتى يبلغ طولها بقدر طول الحبريان، ومن النادر إمكان استبدالها

محبلاً.

وكالعادة، نفاطر الرجال إلى هذا البيت فاردعهم بهم. وبدأ مصيفنا

يروجه بعض الأسئلة والأحروى حالسون لا يسون بثلث شعة، لكنهم كانوا يرافونني سحر وعيونهم مركرة بحوي. فعرفت أنهم قد أوحسوا مي خيفة، لأنهم كانوا يكثرول السؤال فيقولون «مر هل الشخص؟ ومنين حاي؟». لوين حاي عندنا، لويش حايه صدام إلى فريننا؟». وانني على يقين من أن الفوم كانوا يتحدثون عني كثيراً حبسا أحدي صدام ومصيفي في الوقت المناسب لأنجول حول الحرية



عشيرة آل عيسى تحتفل بمناسبة عيد الفطر

وحدث التربة ملبنة بالأملاح لذلك لا يست أي شيء فيها. لم أحد أبة صخرة أو حجارة وفعلاً لم أحد أي شيء من هذا الفيل في الأهوار.

نبذي لي أن قرية «أبو سحر» كانت مرفعاً لمدينة ماضية عما عليها الدهر وتبث بحمبي على رحوذ الطانوف وقطع المحار المتواحدة على الأرض. وقال صدام

«يكرولون، أكو ذهب مدعون بهل الحرية، المعدان بفنسون عنها.

باوع شوف وير حمروا؟» وأشار بيده إلى عدد صغير من العصر الصحلة ثم أضاف قائلاً «بس ماكو أي شيء» فاطعه مصيغاً وقال: «هي السنة الماضية، كانت عائلة من الشعابيا نحمر عدداً من الحفر لبناء بيتها في قرية العكار وعثروا على حرتين مملوئتين بعملية معدبة».

وسألت عن مكان قرية العكار فقال لي

«هناك إلى الغرب. وهي جزيرة مثل حيرتنا هذه. يسكن فيها كثير

من الشعابيا»

«ماذا فعلتم بالعملية المعدبة؟»

«لا أدري. أظن أنهم أحفوها حتى لا يأخذها الشيوخ منهم»

ثم تكلم صدام وقال «فل عدة سنوات، عندما كنت أسي مصيغي في قباب عثرا على نمثال حمري  امرأة. يمكنك نرى ثدييها، وكان النمثال بهذا الطول» وأشار يده مفاعلاً الواحدة عن الأخرى مفدار

(٩) عقدة

من تقييد كبرياءه

«هل النمثال لا يزال عندك؟»

«لا، أحده الشيخ محبد»

وأما أنا فلم أحاول طوال مدة بقائي في الأهوار، إن أبدأ بجمع أشياء نحص الفس المعماري ولكن أعطوس في إحدى المرات خنماً بعود إلى عهد الحبشين، وفي مرة أخرى، أعطوسى حرءاً من قطعة كبيرة نوعاً ما من الرصاص معطاة بحدوش بحيث نبش أنها شعوص فينبغة. وقال لي الشخص الذي أعطاني إياها، إنها كانت حرءاً من بكرة كبيرة أذاوها حتى يصفوا منها رصاص السدفة

وفي مناسبة ثالثة، أخذوس في عابة السربة إلى أحد الدور وأروبي نمثالاً صغيراً على شكل قلب، وفي أسفلها العبارة النالبة «مصنوع في اليابان».

بدأت الشمس تنبيل نحو المعبب، وأحدث حدة الرياح نهداً، وأصبح
 مطر الفصب اللامتناهي مطراً يفضي النفس في ذلك الصباء الرمادي
 اللون. وظهرت في أماكن عديدة شمال المكان وشرفه سحب كثيفة من
 الدخان حيث أشعل المعدان القصب حتى يؤموا لهم مراعي جديدة ينمو
 فيها الفصب لترعى فيها حواميسهم

«هل سمعت في يوم ما عن الحقبص؟» سألتني مصبفي

«نعم. ولكن زدني بما عندك عنها»

ثم إنحه نحو الحبوب العربي وقال «حقبص هي حريرة تقع في مكان
 ما هناك. فيها قصور مثبذة، وأشجار تحيل وستان رمان. والحواميس هي
 أكبر من حواميسنا. ولكن لا يعرف أحد أين هي بالضبط».



«ما شافها أحد من الناس»

«شافوها، لكن، كل من يشترك حقبص يصاب مسح ونصح أقواله
 عبر مفهومة عند الناس. والعشيرة التي تسمى الحقبص. واحد من عشيرة
 المرطوس شافها قبل سنوات لما كنت ضِعلاً. كان يبحث عن حاموس
 معفود، ولما عاد إليها كان كلامه كله عبر مترابط وعرفنا عند ذلك من أنه
 شاف حقبص».

فقال صدام «صبيهود، الشيخ العظيمة من عشيرة البومحمد بحث عن
 حقبص ومعه أسطول من المشاحيف وذلك في العهد التركي، لكنه، لم
 يعثر على شيء. ويقولون بأن الحقبص تمكن من إخفاء الجزيرة عن أنظار كل
 شخص يفترب منها»

أبدت بعض التعليقات، وأظهرت فيها شكوكي، عبر أن صدام قال
 وهو يؤكد ما يقول «لا، صاحب. حقبص موجود تماماً مثل كل من تريد
 أن نسأله. سل الشيوخ أو الحكومة، نجد كل فرد يعرف عن الحقبص»

عدنا إلى القرية ونحن نمشي على امتداد حافة المياه فوق أصداف
هشة بيضاء معروسة كأنها رولية يبلغ طول كل واحدة منها مقدار نصف
عقدة إلى عقدة واحدة. وبطرت في بعضها فوجدتها فارغة ولا أدري ما
إذا كانت تعود إلى عقدة واحدة. وبطرت في بعضها فوجدتها فارغة ولا
أدري ما إذا كانت تعود إلى مواقع نهريّة. فإن كانت كذلك فإنها نحمل
معها في فصل الصيف دي الطقس الحار الطفيليات التي تسبب مرض
البلهارسيا. ونعيش هذه الدبداء المسطحة والصغيرة جداً في المياه خلال
الطقس الحار. فإذا سحبت لها القرصة فإنها نخترق حلد البشر وأخذ
طريقها إلى المثانة حيث تنصاعف هناك وتسبب فقدان الدم والمأ شديداً
على الغالب

وبالاحير نخرج البوص من الجسم عن طريق البول وهي على أتم
استعداد لبدا الدورة الحديده في الحياة. والبلهارسيا وباء الأهوار، يعاني
منها جميع المعدان كنتيجة حتمية لطريقهم.

شاهدت عدداً من الغنات ^{التي تسمى كوكبي} تلتفت المياه، يحمل الجرار فوق
رؤوسهم. فكأن يحصن في الماء ويسرع بصح خطوات قبل أن يملأ
حراره

بسنعمل المعدان الساحل الأممي كمرحاض عام. ولا بد أن نحوي
كل جرّة على عبات من الحرائم المحلية. وبطرباً، يجب أن يصاب كل
شخص في الأهوار بعدوى الديزانتريا وبعدد آخر من الأمراض المستوطنة
ولكن، في الحقيقة، اكتسب معظم المعدان شيئاً من الساعة وعلى أية
حال، ربما تفل الشمس المحرقة عدداً من الحرائم. وأما شخصياً وجدت
أنه ليس بالأمر العملي أحد الاحتياطات ما عدا تجنب خوص المياه القريبة
من القرى في وقت الصيف.

أكلت من طعامهم، وشربت من المياه نفسها، وكثيراً ما كنت أمكث

طوال السنة هناك وأصبت مرة بالحجوب الأنفية ومرة أخرى بالدبازانطربا
الضعيف وشعبت منها بعد أربعة أيام. وبحلاف ذلك، لم أعاني من أي
مرض ما عدا الصداع.

لا فائدة من أن أفلق نفسي بالأمراض التي قد مصيبي، ولكن، أحيانا
من الصعب جداً أن يشعر المرء بالوساوس حول الطعام والماء.

ولقد أفلضي حدثان بصورة خاصة. كلاهما في وسط فصل الصيف
عندما كنت أنقل على ظهر الحصان بين الملاحين في شمال الأهوار.

الحدث الأول: كنت أسلك سافية ماء ضحلة تمتد مسافة عدة أميال
بانحاء القرية التي كنت أفصدها، وكانت السافية تحتوي على المياه عمن
قدم أو قدمين وهي تحري بشكل بطيء، بالانحاء الذي أسير فيه. وصادوت
خلال مسيري كلاً مبنياً مرمياً في المسطح، وبعد مسير مسافة أخرى وحدث
عجل جاسوس مبنياً. ورأيت الحشد قد انسحب من الأصلاخ، والروائح
تبعث من كليهما بشكل مرعج. حدثت المياه تكون ففرة بالقرب من القرية
حيث نحد حافة السافية مبنياً. وكنت في ذلك الوقت بالقرب من العرب دائماً بتعوطون
بالقرب من المياه حتى يستجمعوا من بعد قصاء حاجتهم. وكان المصيف
يقع على حافة السافية والمياه هناك تكون دوماً راكدة تقريباً وهونها طففة من
مادة لرحمة حضراء. وأعتقد أنهم لا يشربون مثل تلك المياه

وصلت القرية عند منتصف النهار الثامن، فحي لي بالماء لأشربه
من كور يقع في نهاية المصيف فوجدته بارداً جداً وحدثت العهد، ولما علم
الناس بوحودي فظافروا إلى المصيف. ووجدت بعضهم يحب المخالطة
والبعض الآخر يريد الدواء والعلاج

وبعد الترحيب الاعبادي، خرجت قاصداً ظل البناء حيث بدأت هناك
عملي فحفظت الإبر ووزعت الأدوية



كان هناك التسيم خفياً، ولكن الطقس لا يزال حاراً لا يُحتمل حيث

نرفع الحرارة في الصب في هذه السكّون إلى (١٢٠) فهرنهايت في الظل، وفي هذا الوقت شعرت بالعطش، لذلك، أعطيت الفدح إلى أحد الصبية ليجلب لي الماء.

أسرع هذا الطفل إلى الساقية ليملا الفدح منها فصرحت به وبهرته قائلاً:

«لا، ليس من هذا المكان. الماء قد رما بل من الكور في المصبف حيث الماء نقي».

إمّثل الصبي للأمر وحل لي الماء ونظر إلي نظرة استعراب. وبعدئذ، لاحظت أنهم يملأون الكور من هذه الساقية ففكرت وأنا في غاية الكآبة كيف أبي وافقت على السقاء ليلة أخرى في هذه القرية.

والحدث الثاني: كنت أمكث مع أحد الشيوخ وهو من أصدقائي. وكنت قد وصلت إلى فريته قبل ليلة وكنت جمع حاشد من العرصى في الصباح الباكر، وكان الحور رطاً  العرء بالدق، والهواء ساكن، وكان العرق ينصب من وجهه  عندما كنت جالساً من عبر عمل.



زبعا

كان صديفي الشبح كبير السن وكريماً للغاية. دبح شاة حتى يطعم صبيوه الذين بلعوا الآن ما يريد على المئة شخص.

دخل أربعة رجال إلى المصبف وهم يترجحون في سيرهم كان أحدهم عمداً أسود

اللون، ذا جسم ضخم، وكلهم قد أحوا ظهورهم من نفل ما يحملونه.
 رأيتهم يحملون صنية كبيرة، نحاسية، فطرها أربعة أقدام، عليها
 كومة من الأرز كالنمل ووقوفها شاة مسلوقة، يتدلى اللسان منها، والعيان
 مشبعان بالماء. وكان العرق يتصب من أعناقهم وأفواههم فوق الأرز عندما
 كانوا يحملون الصنية عرفت أنهم كانوا يفتلون الطعام من مسافة (١٠٠)
 يارد أو أكثر وهم على هذه الحالة، وبعد أن سكبوا فذحاً من الزبد فوق
 الأرز إلتفت الشيخ نحونا وقال: «أهلاً وسهلاً بصيوي. اليوم يوم مركة».
 ولما جلست أمام الصنية قال لي: «الآن يا صاحب إذا نحبي كثير
 لارم ناكل كثير!»



مركز تحقيق التراث الإسلامي

٩ - في قلب الأهوار

عدنا إلى بيت مصيِّفنا أنا وصدام بعد معيب الشمس بقليل . وحدنا
 صبحي يؤدي صلاة المغرب . والشئ الذي لاحظته هو أن الذين يصلُّون
 بانتظام بين المعدان بعض المسنين وبطلق عليهم اسم الزائر . ووجدت عدداً
 قليلاً من المعدان مثل صحن من يصلِّي صلاة العحر والمغرب غير أن
 الأكثرية من الرجال لا يصلُّون مطلقاً

ولاحظت أيضاً أنهم يصعدون أمتعتهم على إمامة الصلاة فطعمة مستطيلة
 الشكل من نورة مقدمة بأثولهم فيكونون يركبونها على فلامس حياهم عند



حصون الناصير بين عشيرة بني أسد

السحود. ووجدتهم يحتفظون دوماً بمثل هذه التربة في سلة صغيرة معلقة على الحائط.

بعد أن انتهى صبحي من أداء صلاته، أعاد التربة إلى السلة ثم أشعل النار من الروث الباس وطلب مني أن أقرب منها لأندأ.

جلب أحد الصبية فانوساً وهو عبارة عن فبنة نصف ملائنة بالمعط الأبيض وهي داخلها فنبلة، أو قطعه من القماش الممروق، نبرز من عنق الفبنة ومثبتة بواسطة قطعة من النمر.

كنت أسمع وأبأ في مكاني صوت رحلي يتحدثان فيما بينهما في بيت محاور وكنت أسمع بوصوح كل كلمة يقولانها لأن الحدار الذي يفصل البتين قطعة من الحصير ولا تبعد عن حدار البت الآخر أكثر من قدمين.

وجدت أن السربة معدومة بين هؤلاء القوم في حياتهم، ولا يتوقعون أبداً السربة لدى عزمهم وهم يعتقدون أن ما بهم أحدهم إنما بهم جميعهم وإذا كانت العائلة الواحدة يتشاجرون فيما بينها، نرى الحيران بهرعون بسرعة ويتدخلون محاربين إلى الطرفين ويعملهم هذا يحولون الصبح والصبح إلى ضجيج فعلي.

لاحظت أن الطريقة الوحيدة لإحراء حديث حاص هو الابتعاد بالمشحوف مع الشخص الذي نريد التحدث معه وحتى في مثل هذه الحالة، سرعان ما يصبح الحديث معروفاً بشكل عام، لأنهم جميعاً يتصمون بحب الفضول ولا ينحمنون حنط السر

وبعد العشاء، بدأ الناس يتوافدون إلى المضيف حتى اكتظمت بهم الغرفة ولم يبق أي محال ينسج للآخرين. ولكن، حتى في مثل هذه الحالة، يفسح الجالسون في المحال إذا ما دخل رجال آخرون إلى المضيف فيجدون لهم المكان المناسب بين هذا الحشد الكبير



مركز التوزيع في دمشق
مكل من التناثر الكملا

نرى الحدران المصنوعة من الحصران ناتئة قليلاً وهذا من شأنه أن
يفسح في المجال لخلوس الآخرين. وهناك فسحة متروكة فقط بالقرب من
الموقد.

بدأ مصبنا بتوزيع السكاير على الحالسبن ووجدنه يعطي السبكاره
حتى إلى الطفل الصغير بينهما كان صاحبها الجدايف يعي والآخرين يصعون
إليه ولكنهم كانوا يتحدثون فيما بينهم أحياناً. ثم بدأوا بتوزيع الشاي،
ويتأجج النار بصب المعط فوقها وبدأ الدحان ينصاعد إلى عنان المضيف
ويتحرف إزاء الحصران في السف. كل شيء بدائي ومرعج، لكنني كنت
أشعر بالارتياح والرضا.

وبعد أن بهض الجميع لبغادروا المضيف، حشرت نفسي في الزاوية
وكان العاس بداعب جفوني، لكن الرجال نهمروا حارج المضيف مروا
بإمرأة كانت حالسة بالقرب من حمرة نار أخذت بالحمود وهي تُرضع طفلها.

جلب مصيبتنا العرش من الطرف الآخر من العرفة ثم قسا بترتيب
الحصران وفرشا الروالي المرفقة على الأرض ثم سحت البطاطية من
الطرح واضطجع كل منا في مكانه لثنام والتصق بمصنا بعض بينما جلس
مصيبتنا بحانينا ليحرمنا.

سقطت قطعة صلة من الطيب بحانني، وحاول البعوض أن يحد له
مكاناً على وجهي، ودحلت براغبت عذبة داخل فمصي

ببحث الكلاب، ونحركت الحواميس عن بعد بصع باردات من رأسي
ثم أحدثني سنة من النوم ولم أستيقظ أن بهض رفاقي وقت الفجر
سكن الربيع خلال الليل وأصبح النهار صافياً ومشمساً في ذلك
الصباح وبدأت الحواميس تغلق أبوابها دون أن يرعاها أحد.

وإذا فارما بين المعدان المستوطنين والدو يحد المعدان لا يخصصون
لقطعانهم بل يتركونها لوحدها طلبغة، نروح ونعدو حسبما نشاء

وفي داخل العرفة كان صدام وصحبي يتجادلان حول طريق السفر.
وينصب جدالهم على وجوب التوجه إلى (زكري) أو نحبه. والحث عليهم
بوجوب الذهاب إلى (زكري) حيث كنت أرغب أن أزورها فقال صدام
«لن تحصل على أمبتك إذا صادفنا الرياح هناك هذه السحيرات الكبيرة
هي خطيرة جداً. ففي العام الماضي، بينما كانت جماعة العرس عائدة إلى
قرية الفلور، باعتتها الزوبعة عند مكان يسمى الدما وعرق في هذا المكان
زورقان مع ثمانية أشخاص. وأنا شاهدت الدما. إنها صغيرة لا تشبه
زكري*».

واشترك صحبتي بالحديث فقال: «نعم. صاحب. هي خطيرة جداً. نحن نسكن هنا ونعرف كل شيء. وقبل أربع سنوات، وفي هذا الوقت من السنة، غرق شخصان أما الثالث فقد زحبت نحو جزيرة صغيرة من القصب عائمة. بقي عليها عدة خمسة أيام قبل أن يعثروا عليه. وشاهد مرتين الزوارق وهي تمحر في عاب الماء، لكنهم ما كانوا يسمعون صوته. كاد يموت من الجوع ومن البرد».



رجل من عشيرة البو دارح

وبعد أن تناولنا المظور، رافقنا مصيها وإبيه مرآنا بحمل أمنعتنا إلى المشحوف ولم يهصا من مكاهما لإبداء المساعدة.

وعلفت على هذا العمل فيما بعد لأنني حسبه عملاً غير مناسب. عبر أن صدام قال بأن المصيف يساعد دوماً الضيوكية وبحمل أمنعتهم ويدخلها إلى البيت ولكن لا يساعدهم عند إخراجها حيث تبدو كأنما سرع في التخلص منه. وقال: «سننوحه إلى زكري طالما تبرد»

أن نراها. وسوف نعضي الليل مع بني عمير في الرملة. ولكن إذا ازداد هبوب الرياح شدة فإيا سوف نسلك الطريق الأطول»

وبعد مسيرة ساعتين وصلنا البحيرة بعد أن سربا على امتداد قنوات صغيرة عديدة غير واضحة المجرى من خلال القصب العالي.

وعندما شاهدت المياه المفتوحة أمامنا وهي تلمع تحت أشعة الشمس

الوهادنة أثبتت همني أولاً لأن البحيرة بدت لعبني بأنها لبست أكبر من
(الدما) والتي عبرناها قبل يوم.

وشاهدت حلف المياء المنووحة حذاراً من الفصص. وأدركت ونحن
في منتصف الطريق بأن الفصص يمو فوق عدة حزر صعبيرة عاتمة والكثير
منها على مسافة غير بعيدة عما

ووراء هذه الحافة من الحر نفع بحيرة ركزي نفسها. ولم أستطع
وأنا وافق على لوح المشحوف أن أفتر بعدها عنا ولست أدري هل أنها
على بعد ثلاثة أميال أم سنة أميال.

كان النسبم بهت حقيقاً جداً ونوف الحداهون عن الحدف، ويبدو
أنهم كانوا فلفس. وأما أنا فقد صابقت لآسي لا أدرك مقدار خدعة ذلك
الهدوء.

وبعد أربع سنوات، وحينما كان القبطان في أقصى درونه، صادف
أن كنت أعر مسافة كبيرة من مياه القيصان عريضها (١٢) ميلاً وعمقها سنة
أقدام، تلك المياء التي عطف الصخراء الممتدة على الحافة العربية من
الاهوار.

بدأنا العور وقت الفجر. كانت البحيرة ساكنة ولا أثر للسيم. وعند
ذاك ركبت الطرادة الخاصة بي. وعندما وصدا منتصف الطريق عبر
العمارة، صاح أحد الحدافين الأربعة فحاة في صوت ديبى: «الله! هل
نسمع ذلك؟».

أصعبت وسمعت صوت الرياح وهي فادمة نحونا من الشمال عبر
المياء التي ما زالت ساكنة.

رأيت أمامي صفاً من أشجار النحل الباسفة، ربما تبعد عني مقدار
سنة أميال. إنها تشير إلى وجود قرية، تلك القرية التي نتجه إليها. أما

وراءنا فكنا لا نزال نرى مابث النصب

وفي هذه الأثناء صاح أحد الصبية وهو في حالة من الهياج:
«أنظروا. هياك قارب شرابي. الحمد لله! أسرعوا - صاحب، أطلق النار
حتى ينتهوا».

وجدت مشحونا قد عطف إلى النصب حينما وصل القارب إلى



حلت حمولة من القصب اليابس إلى البهت

المكان الذي نحن فيه. فحمل الرجال الذين معي صناديقي من المشحوف
إلى القارب وربطنا مشحومي القارب حتى نسبحه إلى أن وصلنا
القرية في الوقت المناسب

شاهدت الأمواج الكبيرة تصرب الساحل وأشجار الساحل فد مالت
بسبب الرياح الشديدة.

والآن، بينما كنت أنظر إلى المباء التي ما زالت ساكنة في بحيرة
زكري، ألمحت على الآخرين معور هذه البحيرة. وقال أخيراً صدام
«رب. لكن راح أنروح من حول الحافة. مكدر ندخل داخل الفصب إذا
بدأت الرياح بالهبوب ولو راح بصير الطريق بعد لكن أسلم لنا».

كنت أظن بأن زكري هي مثل (دما) لها جوانب محدودة تماماً من
منات الفصب الفائقة. ولكن لما جدنا من إحدى المجموعات من الحزر
العائمة إلى الأخرى أدركت بأن ما كان يبدو لنا بأنه حدود إنما هو في
الحقيقة سلسلة أخرى من الحزر نحوي وراءها مياه كثيرة متصلة بحزر
أخرى كثيرة.

المباء هي عمق (٨ - ١٠) أفدماً، صافية تماماً، تعطي فصرها نباتات
مطاطية زاهية فتحملها تظهر داكنة مثل أعشاب الحر وتمايل بانحاء النبار.
هذه هي حورية الماء والتي يسمونها المعدان (سويكة)، ويقولون بأن
مثل هذه الطبقات هي الأماكن المفضلة لتفقس بيوض السمك

رأينا مقدار (٢٠) طيراً من طيور الحجع، ببصاء، زاهية، طبقة تحت
أشعة الشمس وهي تسعد عتاً عمداً، وتدير مافيرها الكبيرة الصغراء عندما
كانت ترافسا. وطلب مني صدام بأن أصيد إحداها طالما يستعمل المعدان
حرايبها كجلد لطولهم. عبر أنني وجدتها كأنها ساحطة علينا وهذا أمر مثير
للضحك لذلك رأيت أن تصرف النظر عنها. وفلت له بأن الطي سيحاف من
الطفلة لأسني لاحظت عدداً منها فاسعاً في الطلام فوق سطح الماء في
الحلف.

وفي هذه الأثناء طار مالتك الحرس وأحدث ضجيجاً بين الفصص
البعيد وأخذ يرفرف بأجنحته على شكل صرناات طبقة ثقيلة وهو بحر صافيه
الطوبئيين حله.

فقال أحدهم: «لو كنت قد أطلقت النار على ذلك لكنا نأكله جميعاً. له لحم كثير كالشاة وطعمه جيد أبصاً».

كانت النور نحوم فوقاً وهي لا تحرك أحنها وفي الأهوار نحد دائماً السور، نحوم في السماء كما نحوم النور في أربقها.

وفي الطرف العبد من بحيرة ركري، وفي خليج صغير، وصلنا مكاناً وحدنا فيه ثلاثة مشاحف يحذف كل واحد مه صبي والقرب منهم رأياً بوضوح سرياً من السمك المبت بظلم فوق سطح الماء وافترج أحد رجال صحن أن نلنظها، عبر أن صحن أحدهم بعصب «لا نصبرون أعباء، ما نعرف هدوله الناس. ما يريد أنزعهم حلي سألهم وأنا متأكد راح يعطونا عدد من السمك». فأخبرنا هؤلاء الصبية بأنهم من المرملة وهي وافة على نهر الفرات وفربه متاً وأعطونا ست سمكات، نون الواحدة منها رطليس. ويستون هذه الأسماك




ابنة شيخ اللو محمد

(سني)، لونها دهسي ولا يمشي الأسماك الأخرى لها وليس كالحيتان محتات. والمعدان يسممون السمك في فصل الشتاء ونظير في المياه قبل دخولها إلى الأهوار وذلك في فصل الربيع. وهم يستعملون نبات الدانورا والتي بشنونها من الحوائث المحلبة ثم يحلطونها بالطحين وفصلات الدجاج على شكل كرات صغيرة أو بدحونها في الروبيان في المياه العذبة. فالدانورا يخذر السمك فنظير طافة على سطح المياه فيتم

جمعها بسهولة. وكان هؤلاء الصبية يستعملون الروبيان. وعندما سألت صدام عما إذا كان المعدان يصطادون السمك بواسطة الشباك قال لي «لا. أبداً. البربر فقط يستعملون الشباك في الصيد أما رجال العشائر فيستعملون الرمح في الصيد».

«من هم البربر؟»

«أفب لهم. إنهم مجرد بربر طيفة واطنة من الناس الذين يصطادون السمك بالشباك. وهم يعيشون بين الفائل. وهناك الكثير منهم بين اليوم محمد». وأسمعا بنين من الشعر يصدد البربر وهم أمثال الحانكين والساعة المنجولين والحدادين وزراع الحصراوات والصابئة وكلهم خارج نطاق العشائر غير لائفتين لبصموا إلى رجال العشائر لأنهم مشمولون بالثأر والثأر الذي يأتي عن هذا الطريق ليس له وزن بين المعدان كما ليس له وزن أبداً بين الفائل العربية.  النخارة سطرهم في الأساس عمل بحفروه.

وتوقف حالة الإنسان كلية على مرأهه وعلى حلفه وفصائله وسلالته وبعدما عادوا بحيرة ركزي أصبحت قاية بين منات الفصص الكشيعة. وكانت المباء قبل وصولنا إلى الرملة بمسافة طويلة صعبة، فكنا نلاقي صعوبة في الجذب، وكانت المرادي قابلة للكسر، لأنني حاولت استخدام إحداها لدفع المشحوف فاكسرت عند أول دفعة. ويبدو أن المعدان يتبعون أسلوباً معيناً في دفع المشحوف فتراهم يحون أحسامهم ويضعون كل ثقلهم عليها حينما يدفعون المشحوف إلى الأمام مقدار قدم واحد في كل مرة.

والمرادي هي عبارة عن عصي بطول (٢٥) قدماً وهي من الفصص أي من نفس الفصص الذي يستخدمه الشبح في بناء مصيحه. ويمكن العثور على الفصص في بعض الأجزاء من الأهوار فقط ويحمل المعدان دوماً عدداً قليلاً من المرادي كاحتياط. ولكن بإمكان المرء الاحتفاظ بسن المرادي لمدة عدة أشهر.

وفي إحدى المرات، حظوت داخل المشحوف دون أن أعلم بوجود المرادي في بطنه فكسرت ثلاثة مرادي منها بدون قصد.

وصلنا الرملة أحبراً فوجدنا أشجار الخيل تنتشر بين البوت كما وجدنا سهلاً مفتوحاً خلف القرية ورأينا الفصص والأعشاب المائية تنمو في أماكن قريبة من القرية والناس يروحون ويعدون في مشاحيهم في مياه الأهوار.

نوفنا في المصبف. وأحدى مصبي لنمشي حول القرية التي كانت محاطة بسواقي عميقة مملوءة بالماء وعليها فاطر من حدود النجيل.

مررنا بالدكان الذي كان محبباً وراء أكوام من الحصران المصنوعة من الفصص ثم نوفنا لثراف إحدى العوائل وهي تصنع الحصران

رأيت رجلاً عحوراً جالساً على الأرض وبجانبه كوم من الفصص البابس وكل قصبة بطول ثمانية أقدام تقريباً ويسمك يساري طول إصبعي الوسطى. رأته بفص هذه القصبة التي يصنعها من قشور الخيل أو بقدها إلى امرأة حتى تدفها بمدقة خشبية لنجعلها كينة مطوعة مستخدمة الطرف الثفل مع قطعها القصيرة المتعارضة والتفلة. تدق القصبة مقدار عشرين مرة ثم تصعها حاساً، ثم يفوم صبي بجباكتها بواسطة عظم سمك والحصران هي بمساحة 8×4 أقدام تقريباً ثم قال لي مصبي بأن كل قطعة تأخذ مقدار ساعتين من الوقت ويتقاضى مقدار خمسين فلساً عن كل قطعة قصيرة وهذا يعادل شلناً إنكليزياً

ثم سرنا عبر أرض مسطحة والحديقة. أن الأرض هنا مغطاة بالردي المتساقط مثل القش من محصول متروك ويظهر أنها كانت معمورة بالماء. وأما الآن فإنها صلبة كالحدود وعليها آثار حوامر الخيل كأنها أشكال قوالب. وفي هذه الأثناء طارت طيور الرارير محدثة صيحاً في الجو ثم استدارت وحظت مرة أخرى ولما افترسا أكثر طارت طيور مالك الحزين

وعدد كثير من الشئون الأبيصر (ضائر مائي بشه الفلق) وانفتح كلب مايت
اللون وهو ينجح ويثب أثناء عدوه ويرتفع مقدار بضعة أقدام فوق سطح
الأرض.

ورأينا من بعيد أشجار الحبل الداكنة مما يشير إلى وجود قري على
امتداد نهر الفرات. وأشار رفيقي إلى رابية صغيرة بعيدة عنا وقال: «كان
للأنراك مدفع هناك حينما كانوا يقاتلوننا. رموا قريتنا بوابل من فتايل
المدفعية وقتلوا عدداً كبيراً من الناس»

ربما حدث ما قاله رفيقي خلال الحملة القادسية التي تحركت من
الصرة لأن الأنراك كانوا على الدوام يلافون الغلاقل من هذه العتائر.

عدنا إلى المضيق مع غروب الشمس ثم عادر الصيوف بعد فترة
وحيزة حدّاً حيث حسوا بأنه لا بد أنّا منعون من جراء هذه الحولة لذلك
أويّنا إلى منامنا للراحة



وبينما نحن في هذه الحالة ينادي امرأة بصل مسامعا من مكان
بعيد هي الغفيرة وهي تندب ~~ففي هذه الحالة~~ ~~لست كموت~~ على هذه الحال دون
توقف ساعات طويلة وهي تعبد وتكرر الكلمات «آه يا ولبيدي. يا ولبيدي»
كلمات تسم عن الأسى والحرر نخرج في خوف الليل من قم هذه التكلّي
التي لا نحد ما يربحها.

وفي اليوم التالي سبركتني رفاقي الذين جاءوا معي إلى هذا المكان
وسأفنى وحيداً أدبر أمورني نفسي.

١٠ - الخلفية التاريخية للأهوار

ظهر تاريخ البشر في العراق على حافات الأهوار. فلو عدنا إلى الوراء كثيراً، إلى قديم الزمان، إلى عصر الطلمات، لوجدنا الناس الذين تقدموا الآن حصارياً واجتماعياً قد انحدروا من هضبات إيران واستوطنوا في دلتا نهر الفرات، حيث سوا لهم في الألف الخامس قبل الميلاد بيوتاً من القصب وصنعوا لهم الفوارب والرمائح وشباك الصيد عاشوا هناك كما يعيش الناس في الوقت الحاضر، في محيط لم يتغير إلا قليلاً

وبعد فترة من الزمن، أي في سنة ٣٠٠٠ ق.م. حدثت لهم كارثة أخرى وحل محلهم أو امتصهم الحنسن الذي جاء إلى العراق من الأناضول. وجلب هؤلاء الوافدون الحدد معهم الجواميس الأليفة وعلوم الصناعات المعدنية وفن الكثافة وترك كل حنسن في أدوات فخارية مميزة سحلاً عن رحلتهم.

ثم عمرت مياه الفيضان حوالي سنة (٣٠٠٠) ق.م. سطح الأرض، ففي عدد قليل من الناس على قيد الحياة.

وأسس السومريون مدينتهم على مواقع الفرى القديمة المدعونة تحت الطمي وطوروا ما كان يُعرف بحصارة العالم الأولى.

مصت الفرون، فظهرت حصارة السالميس، وسقط السومريون. وفي سنة ٧٢٨ ق.م. اكتسح الآشوريون العموريين اكتساحاً رهيباً ماركباتهم التي

نحرها الخيول وأسلحتهم الحديدية ومحووا البابليين من الوجود.

وأنهكت الحروب والانتصارات هؤلاء القوم فتمكن الميديون من التغلب عليهم وإطاحتهم وفي سنة ٦٠٦ ق.م ، افتُحمت المدينة الآشورية العظيمة نينوى و(أصبحت قمراً وحرائب ومكاناً نفع فيه الحيوانات المنوحشة والهائم).



صعدان من عشيرة الدو محمد من بعد إخراج عمليّة الحضان

ثم ظهر البابليون مرة أخرى باسم الكلدان، صمدوا في نينوى مفقداً سبعين سنة، إلى أن دُفرت من قبل كورش الذي أحرق حوائس نبوخذ نصر المعلقة.

وغرت أحسان أخرى أيضاً العراق خلال الألفي سنة نفسها، هالكوثيون المنوحشون الخارجون على القنوق دمروا سومر والكاشيين

والحبشيين والذين سلوا مرة البابليين. وجلب الحبشون معهم آلهة غريبة من الهند وسكان عيلام

وبعد أن احتل كورش سابل في سنة ٥٣٩ ق.م. بقي العراق يرزح تحت الحكم الأجنبي، لمدة ألف سنة تقريباً. فتصبح أحياناً كولاية مهمة من الإمبراطورية وأحياناً أخرى كساحة قتال للدول الكبرى المتنافسة.

سار الإبرانيون واليونانيون والسلوقيون والبارثيون والرومان ثم الإبرانيون مرة أخرى بحبوسهم عبر الأرض بشدون احتلالها أو بقتلها من الآخرين.

وعندما اندفع العرب في بداية القرن السابع ميلادي من الصحراء على شكل موجات من الفتوحات واحتلوا العراق أصابوا عندها إسماعياً آخر إلى فاتمة الغرياء المنصرين.



والباعث لكل هذا هو السلب والنهب، والرباط الذي شدّ الفئائل الدوية بعضها ببعض هو الاستيلاء من تحت راية الإسلام، ديبهم الحديدي.

ولقد رحب السكان المحليون بالدولة الجديدة أو استغلوا مدون مبالاة. إلا أن الحكومة الجديدة استولت على أراضي الدولة وتركزت كل من يعترف بنظامها بمنع بما في حورنه من الأرض.

استعدوا عن التعصب، وعزموا على هذي الناس جميعاً، واعتبر العرب الإسلام كحق مقتصر على حسيهم ولم يسمحوا في البداية لعرب العرب بأن يهتدوا للإسلام ما لم يكن ينسب إلى إحدى العشائر العربية وكان يُعرف مثل هؤلاء العرب عبر الحفيقيين باسم الماويلية وكان عبر المسلمين يدعون الحرية وما كانوا يشجعون على الاهتداء للدين على شكل جماعات كبيرة. وكان العراق لمدة (١١٦) سنة التالية ولاية من ولايات الإمبراطورية العربية. وكانت تحكم أولاً من المدينة المنورة الواقعة في الحجاز ومن ثم من دمشق، ما عدا في حكم الإمام علي، الحليفة الرابع،

لفترة قصيرة في الكوفة. شكل العرب خلال هذه السنوات مجموعة صغيرة من المحاربين فاعدهم في المدن وأستخدم معظمهم كجنود أو موظفين حكوميين.

ولكونهم متعرقين وظلاماً فقد عاملوا السكان المحليين بارتداء وإحتقار. وعندما ولد المذهب الشعبي من بعد مذبحة الحسين في كربلاء في سنة ٦٨١ ميلادي، رافى هذا المذهب بشكل خاص للماوية في العراق لأنها تعبر في موصفها الدينية عن سحقهم على النظام القائم.

وهي الوقت الذي أسس فيه العباسيون حكمهم في العراق وسنّى الخليفة عاصمته الحديدة في بغداد في سنة ٧٥٠ ميلادي، لم تعد امبراطورية مفتصرة على العرب بكل ما في الكلمة من معنى، على الرغم من أن الإمبراطورية هي إمبراطورية إسلامية.

وإنّ حياة البلاط الفخم الذي أحاط هارون الرشيد نفسه بها، وارتداه الرداء الزاهي، وآداب التشرعفات المتعة، والاحتفالات التي نفّاه، واستخدام الغلمان المحصنين، وجلاّبي البلاط كلها لا تشبه تماماً البساطة الواضحة للعبان التي عاش فيها الخلفاء الأوائل في الحجاز.

دام حكم الخلافة العباسية مدة (٥٠٠) سنة، وعرفت الاستفراغ في بداية حكمها، ومن ثم إلى حكم سادته العوصى والنشويش في الأيام التالية. ولقد أعدم هولاء بعد أن احتل بغداد آخر الخلفاء العباسيين وذلك في سنة ١٢٥٨ ميلادي. ومونه أصاف رفقاً آخر على (٨٠٠,٠٠٠) شخص ذبحهم المعول حينما اكتسحوا المدينة.

وهي سنة ١٤٠٦ ميلادي، أكتسحت بغداد مرة أخرى. هذه المرة من قبل نبورلنك، آخر القاتحين العظام من المعول. وإذا كان عدد المدويحين هذه المرة أقل من سابقتها فسبب ذلك هو وجود العدد القليل منهم في المدينة.

ثم جاء من بعدهم التركمان، دولة الحروف الألبص أولاً ثم دولة الحروف الأسود ثم جاء من بعدهم في سنة ١٥٠٩ ميلادي الفرس ثم أعقبهم الأتراك في سنة ١٥٣٤ ميلادي. وبفوا في السلاط إلى أن طردتهم بريطانيا في الحرب العالمية الأولى

ولكن هبطت مصائر العراق عذبة إلى الحصبى ولقد حاول موظفو الأتراك إدخال ما يشبه السلطة على العشائر الصعبة العراس في هذه الولاية المعذمة من الإمبراطورية المتداعية

وكان العراق طوال آلاف السنين، من عهد السومريين أرضاً ذات مدن مستقرة وذات زراعة راسخة. ولكن الفانحين اكتسحوا المدن ودحوا السكان ولكمهم كانوا، حتى محيى المغول، يحددون دوماً بناء مدنهم وبسهمون في بناء المدينة بأسلوبهم الخاص مهم، تلك المدينة التي كانت قد رالت.



مؤل للصيكة من الاموار

وفوق كل ذلك، إنصب اهتمامهم كثيراً على شن الغنوات التي جعلوا
المياه تجري فيها. وحامت الأقوام الصقراء على ظهور خيولها نحت فبادة
رعيمهم حبيكزحاح من صحارى آسيا الحارحية وانقضت على العالم ذبحاً
وقتلًا وهي نستمتع بعملها هذا ونرى نصلها عارة عن أهرام من الحماحم
البشرية.

وعندما هبت هذه الروبعة من الدمار أحبراً نحو العراق فقتت على
الأعمال المسجزة خلال عدة قرون ودمرت نظام الري الذي يعتمد عليه
رحاء البلد وقطت عليه

وكان معظم هذا التخریب على شكل منعمد. غير أن هذا الدمار كان
ناحماً على أكثر احتمال عن تأثير تراكم الإهمال ويسمي وحود منظمة
وعدها هائل من العمال حتى يقوموا بنظف الغنوات وتقوية السدود لكي
تعود إلى حالتها الأولى كما يسمي بناء السدود لتنظيم مياه الفيضانات.

وبعد أن وثت فائت المعمول، على حد قليل جداً من الناس على قيد
الحياة، وكانوا محطمين بسبب تدميرهم للبحر في إصلاح الضرر.
فانفلت الحفول الصالحة للزراعة إلى صحارى. والمياه الشعية تددت في
المستنقعات. ولا يزال الناس يزرعون على امتداد سواحل النهر ولكن
نوفعوا عن نسمة العراق بلداً زراعياً وأصبح بلداً يهتم تربية المواشي

والمدن التي كانت من بين المدن العظمى في العالم انحلت ونسخت
حتى أصبحت على شكل فرى صغيرة

فالعرب البدو، المواحدون في الصحراء الكائنة وراء نهر الفرات،
اندفعوا إلى البلد وأخذوا يرعون قطعانهم على سفوح الهضاب التي كانت
في يوم ما قصوراً للملوك. وببما استوطى العرب الأصليون نرى هؤلاء
المهاجرين الحدد، مع حياهم السود ومع قطعانهم المؤلفة من الإبل والعسم
والماعز تغسم هذه الأرض إلى أراضي رعي.

ثم حل قانون العشائر المطبق على سكان الحزام محل نظام حكومة
تسند على الحياة المدنية ويموجب هذه الأحوال. يمكن أن نجد الأمان
نحت ظل العشائر، وفي النتيجة، ربط المروءون والفلاحون عبر المصطفيين
أنفسهم بما يربده البدو. وبفولهم حيانهم الاجتماعية الدنيا نراهم قد اتعوا
في عاداتهم أساليب وعادات تلك الجماعة القادمة من الصحراء وبحث عن
مضاهاة أعمالهم

وبمرور الزمن، أصبحت التمييزات القديمة عبر واضحة، واحتلظ
الحضارة مع بعضها البعض فاستوطنت بعض القبائل في الأرض ونحلت
الأخرى عن إبلها وحملت حياها على ظهور الحمير

وعبر الصحراء الذين هاجروا إلى العراق هم قلة مفارقة مع السكان
الأصليين.



عبر أن عاداتهم ومعاييرهم هي التي كانت وقد بسحر سكان العراق
بأدعائهم أنهم من سلالة الموميريين أو السامليين ومن الآشوريين الذين
اكتسحت جيوشهم مصر ومن الفارسيين الذين جاءوا من بعد كورش أو
فانلوا تحت لواء داريوس أو أكسر كس Xerxes أو من اليونانيين الذين محوا
حيث روما

وبدلاً من ذلك، نراهم يتماخرون بأنهم من أصل البدو.

والإسكندر هو الآخر رمز من هذا الطريق وإسمه السحري لا يزال
ينردد في حال ووديان آسيا الوسطى حيث ينقسم الرجال بأنهم يحدرون من
حدوده.


أما في العراق فقد أصبح الإسكندر على كل حال مسياً

وعندما سمعت رجلاً عجوراً يحكي الحكايات الأسطورية وهو قانع
حول النار، عن الشجاعة والكرم فلم يكن ذلك الغول مائناً كبد عن

الاسكندر دي الفرنبر ولا عن الحنفاء الدين حكموا، بروعة، هي تعداد لكنه كان يعني بقوله الرعاة ذوي الشباب الممرفة في صحاري الحريرة العربية.

فغرب الصحراء هم أناس حلفوا على الدوام لشطب العشب وقسونه. والراحة بالنسبة لهم لا معنى لها بل إنما هائل على الدوام إبهاك ونعب من جراء المسيرات الطويلة وكد وجهه عظيمان للوصول إلى آبار المياه. وهم يتماحرون على الدوام ويقولون «بحر بدو» ويتشدون الحربة التي هي حربتهم. يتحلون بالحلد والصر العظيمين ويتحملون الألم وهم شحعان.

يعيش البدو على شن العروات وعلى صدها والتي تجري وهي فروع موصوعة وروح القروسة عادة ويتأهون شراسة عد الحطر والمعانة ولا يكر أحد متوفهم على أبناء القرى والمدن

وهم يسمون أنفسهم بالأصيلين  يستعملون كلمة الأصيل عند وصف أصل دمهم وهم يحدرون في الحقيقة من أنفى حمس في العالم، وهم طوال فروع عديدة يتراوون فيهم ابن العم بنت عمه وهذه هي عادتهم ويعملهم هذا أقعدوا أنفسهم من الانحلال مما يحبطهم، حيث ينفى الأصيل على قيد الحياة وما سواهم يتم اقتلاعهم من حذورهم بدون رحمة

وهم يعنادون منذ الطفولة على معانة الجوع على الدوام. وفعلاً يعمنون من الجوع إذا انقطع المطر عن الهطول. وهذا ما يحدث على الغالب

وهم يدخلون في حساباتهم العطرش كفلق اعنيادي من الإرعاجات اليومية وأحياناً، تكون حساباتهم، على أبة حال، مغلوطة فيعمنون عند ذلك منحمطين الحر الشدد الذي يلمح وجوههم وأجسادهم كأنه نبار هوائي يخرج من باب القرون طوال أشهر الصيف الطويلة ثم يلي ذلك وقت بلافي



من بعد عملية القتل

فيه الرعاية وفناً مغيبنا
ومروعاً وبفاسون الأمرين
في فصل الشتاء لأن
الرياح القارصة نهت عبر
الرمال الحرداء والأمطار
الحريرة تبلل ثيابهم
وملاسلهم حتى الحلد
ويقصون لبالي الشتاء
الطويلة وهم يرفدون على
الأرض وفد لفوا فرشهم
على أحسادهم
ويستبقطون من نومهم
وهم جامدون لا
يستطيعون الحراك.

أما طعامهم هو عبارة عن حليب الأمل صاخاً ومساءً إذا أسمعهم
الحظ ونيسر الحليب. وهم يعيشون دوماً في قلق، يتوقعون دوماً حدوث
العرى كما يتوقعون الحوف من الحراوات والعداوة ومن الموت
المعاجيء.

ومثل هذه الحياة، حياة البداوة، أناحت لهم بأن يمتلكوا الشيء
القليل لأن كل شيء غير ضروري هو بمثابة عائق لهم وكل ما يملكونه هو
عبارة عن الملابس التي يرتدونها وأسلحة وسروج وعدد قليل من الفدور
وقرب الماء والحجام المصنوعة من شعر الماعز. وهذه المواد مع
الحبوانات التي تنظم كل الشفلات هي التي في سبيلها ينحملون كل
الصعاب بهجة وفرح. فالتكسر والفرديّة والمساهة كلها أمور نحول دون
قبولهم عن رغبة أن يسود عليهم أي فرد. وهم يفصلون الموت على أن

بصبيهم العيب. إنهم أساس ديموقراطيون جداً، ومع ذلك نجدهم يمتنون جداً النسب. وكانوا طوال عدة قرون يصونون نقاوة دمهم بالخنجر. ونراهم يحترمون شيوخهم غاية الاحترام بسبب أصلهم ولكنهم لا يحترمويهم إذا لم يكونوا أصليين. فالشيخ هو الشخص الأول بين الأشخاص الذين يساوونه في المقام. وهو لا يملك الخدم بل إما يستخدم أتباعه لتعذيب رغبانه أو لتنفيذ الأحكام التي يصدرها

بنسبه رجال قبيلته ويطيعونه ما دام ينال احترامهم ويحكمهم فقط ما داموا بيطيعونه. وإذا أساء إليهم فإنهم يتبعون غيره من أفراد أسرته ونفى خيمته التي يستغل فيها الصيود حاليه من الأشخاص.

وهم يعيشون مزدحمين سوية في الصحراء المفتوحة والتي يكون الاحتفاء فيها أمراً غير ممكن

وهم يلاحظون كل عمل يستغرق السمع لكل كلمة، والفأل والفيل منأصلة فيهم ويعرفون كل شيء عن الأشخاص التي مصنت وولت ونراهم دوماً يرددون السؤال «شو الكختيل» يعني كيف يغيرون الخيل

إذا أتى أحد الأشخاص بلاء حسناً، يقوم أناعه بنشر مآثره في طول المخيم وعرضه وهم على ظهور الإبل، يصيحون بأعلى صوت «الله يبيص وجه فلان بن فلان» وإذا أخرى أحد الأشخاص بمسه من جراء عمل مشين فيدفعونه إلى الأمام وهم يصيحون بأعلى صوتهم «الله يسود وجه فلان بن فلان» ويصح عند ذلك شخصاً سوداً

والبدو نوافون إلى التصفيق ويدلون كل الجهود في سبيل الحصول على التصفيق ولذلك نرى بأن جميع أعمالهم على شكل مسرحية.

وهم على الرغم من أنهم يعارون من الآخرين إلا أنهم مخلصون جداً لأشاعهم من رجال القبائل، وإن حياة الرهق تعتبر إثماً شديداً جداً أكثر من إثم القتل بالنسبة للناس الذين يستحقون حياة الشر الذين ساعدوهم في

تسبب عداوة الدم حينما يطعم بالمدينة راعي غنم أعزل

ولكن، في الوقت الذي لا يثأرون فيه بما يصبهم ويصيب الآخرين
من عذاب وآلام فإنهم ليسوا عديمي الشفقة عن عمد أبداً.

من السهل مَنْ شرفهم سوء، عبر أنهم يردون على الإساءة بسرعة
سواء أكانت خفيفة أو وهمية وهم ينصفون روح المرح والخلو من
الهموم. وهناك سحابة عكس هذا الشيء. فهم ثرثارون بالطبعة، حربصون
دائماً على عرثهم وكرامتهم. وبإمكانهم الجلوس ساكتين، لا يهسون بيت
شعر، لمدة ساعة في المناسبات الرسمية، لا يملون بالحمال الطبيعي،
بحسون الشعر كثيراً.

وهم على العال كرماء جداً أكثر من اللوم، وبإمكانهم إعطاء ثوبهم
الوحيد إلى أي فرد يظله مهم.

صباغاتهم أسطورية - لا يبالغ الرجل في أتم ما لديه من الإمل في
سبيل إطعام الغرب الذي يكثر في كل قرية عن طريق الصدقة ولكنهم
جشعون في الواقع، يحسون المال حياً حياً

والبدو مندبنون جداً، ويرون فصل الله عليهم في كل مكان، وإن
إنكار وجود الباري وسبّه أمر لا يمكن تصديقه. ومع ذلك، فإنهم بطبيعة
الحال غير متعصبين ولا منشائمين ولا ذلولين.

بكامحون في الحياة القاسية مهما كانت شديدة وموحدة ثم برصون
بمصرهم نفس عريرة وكبرياء شديد لأنهم يحسبونها من مشيئة الله.

والأهوار نصها، مع ما فيها من عوائق محيرة من مابيت الفص
بحيث يتمكن الإنسان أن ينقل فيها بالغارب فقط فإنها ستكون حتماً ملاذاً
لغبة الناس الهارين، ونصبح مركزاً بنحس فيه، منذ فديم الرمان، العصاة
والمتردون. فالملك سرحون، ملك الآشوريين العظيم كان قد اندحر إزاء

الكلدانيين الذين عاشوا هناك.

وبعد عشر سنوات، ومن بعد إخضاع مصر والنعلب على الإسرائيليين، عاد ليربح المعركة في الأهوار في سنة ٧١٠ ق.م. تقريباً، وسقط انتصاره على طوق قصره في حرساد. وقام بأعمال انتقامية فظيعة ونقل أحياناً الكلدانيين إلى سوريا واستبدلهم بالحبشيين الأسرى من أماكنهم في الحال الشمالية. وبعد سنة عشر قرناً من الزمن أصبحت الأهوار مغفلة للرنوج الذين هددت ثورتهم الخلافة العباسية القائمة حقيقاً. ولقد استخدموا عدداً لا يحصى من العبيد، معظمهم من السلالات الإفريقية لتصرف مياه الأهوار المحيطة بالنصرة

ولما كانوا قد عوملوا معاملة قظة لا يصح ذكرها، لذلك ثاروا وقتلوا حراسهم وأدخلوا الرعب في قلوب الناس الساكنين بحوارهم.

وكان لا بد أن يتم قمعهم. فتم قمعهم من قبل محمد بن عبد الله الملقب بالبراني، سادوا في الحكم مدة أربع عشرة سنة، من سنة ٨٤٤ ميلادي وكانوا يذبحون الجيوش الواحدة بعد الأخرى التي كان الحليفة يرسلها لقمعهم

انفضوا على النصره وسهوها واستولوا على الأهوار الواقعة في الجيوب العربي من إيران

نهوا المدن الواقعة إلى مسافة (٢٠) ميلاً عن بغداد نفسها. ولكن، في النهاية أصبحت الخلافات كبيرة جداً، ورفض علي بن محمد الاستسلام واندحر جيشه في الأخير وقتل ثم حمل المنتصرون رأسه إلى بغداد.

وبحلول القرن السابع عشر بدأت أمشاط الفاضل في الأهوار وحولها تأخذ شكلها الحالي. وشأت هناك المنتعك، ذلك الانحدار العشائري العظيم الذي هيمن على مسطحة المراات الأمتل مدة تزيد على (٣٠٠) سنة وذلك حينما أصبح أحد اللاتيين من مكة المكرمة حكماً لفض النزاع وقتل

كمكافأة له. وهربت عشيرة بني مالك الذي عرف نفسه بأنه منها إلى داخل الصحراء واصطحبت معها ولده الطفل فمما ونزع الطفل فتمكن بعد أن اشتد عوده من فبادنهم فعادوا إلى الغرارات لكي يدحروا أعداءهم. ولما انتشر صيته ونفوده، اعترفت العشائر الأخرى برعايته وكان بعضها من البدو الأرستقراطيين من الصحراء وبعضها الآخر من الرعاة من سلالة محبولة. ونحتقر عشائر كثيرة المعدان، وأصبحت المستك في أقصى قوتها دولة مستقلة فعلاً قادرة على مقابلة الحكومة التركية وفي شروط متساوية.

وهي مكان آخر إلى الأسفل من نهر الغرارات، رنحت عشيرة بني أسد نفسها في موطنها الحالي حول الكثير. وسبب هؤلاء الفلافل للأنراك في أوج قوتهم.

وهي نفس الفترة استوطنت عشيرة بني عسير في غرب القرنة وكانت عشيرة بني كعب مهمة من قبل في القسم الغربي من الأهوار.

وعلى نهر دجلة، رشح محمد والي المدان بشكل كل واحد منهما نصف عشيرة العربيات حكمهم بنو كعب من كل العشائر التي تسمى نفسها الآن بإسم البومحمد وإلى الشمال بمسافة أكثر، أسس أحد أحفاد (لام) عشيرة بني لام أو أولاد لام، وهي عشيرة تربي المواشي ونراول الرعي وهي عشيرة قوية جداً بلغ تعدادها الآن مقدار (١٠٠,٠٠٠) نسمة

ولقد بقيت دمار أحثام كثيرة من احتل العراق لآلاف السنين حبة نسب كون الأهوار أماكن باقية، ولكن، كانت قوامين عرب الصحراء المثالية التي سيطرت على حياة المعدان وصاغت نمط سلوكهم الكلي، اعتباراً من حارات الدماء إلى أساليب صعامهم.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

١١ - الفوز بكسب الصداقة

نقع فربة كيش على الحجاب الشمالي من نهر الفرات، حيث تكون المياه هماً عميقة، بطيئة الحريان، عرضها مائة يارد. نمتد على نفس الساحل سائين كثيفة من التحيل، طولها عدة أميال، بينما تتواجد عبر النهر مسابك الفصص والمنسفعات. وفي الحلف نجد أرضاً مملطة بالإسمت، عليها أصداء المصايح. وعلى هذه الأرض نصف من البيوت المبنية بالآجر لكنه غير جميل.



والكيش هي مركز الناحية ~~التي هي مركز المدينة~~ ومسنوصف صغير ومدرسة للأولاد وباد للموطنين ومساكن الموطنين.

وجدت بعض هذه الأسب حديثة العهد ولكنها كلها تبدو لعين الناظر كأنها مهجورة. وهذا المطهر عبر المماسب قد يبرر عما إذا كان الساكنون فيها يتناولون فسطاً كبيراً من الراحة ويستعملون فيها مواد منزلية أكثر يسراً مما قد يجدونه في القرى المحاورة. ولأنها مشيدة بين المروج باحات الزهور فقد كنت أنويع أن أجدها فيها حماماً.

كانت الدور محاطة بحواجر من الغصيب المهشم وبنفاني محطمة وشك يعلوه الصدا، ويقطع من الجرائد، فكانت تبدو كأنها مصدر لروائح كريهة.

والسوق يتألف من صف واحد من الدكاكين، وهو أفضل بتلبل من

الأكسناك، وهي مشيدة على الطرف الآخر من الأرض، وفيها حسر صعب من الإسمت يربس الطرف الآخر ولكن العرض منه كما بدا لي عامضاً لأنه يؤدي على شكل حط مستقيم إلى بحيرة واسعة وعميقة. وكان مدير الناحية قد أشرف بنفسه على بنائه، وكاد قبل أن يصحح موطناً حكومياً بمنتهى مهنة الجارة

ولو تركنا واحيتها المائبة حاشاً لوجدنا الكبش مكاناً جدياً، فواحية الأبسة الحكومية نحى عدداً من الجرار الصغيرة. نطللها أشجار التحيل السامغة، مرتبة بين القنات المكسوة بطفة من السانات المائبة، ويرهور صعيبة ببصاء في وسطها بقعة صفراء شبيهة برائحة العسل. وتحت ظلال التحيل نعد البوت المصوغة من الفصص وعدداً من المصاييف حيث مكثت في إحداها

زرت مدير ناحية الكبش بعد بضعة أيام من معادرة سدام، كما زرت موظفين آخرين في الرحلة حتى أرى مدير الناحية كتاباً من ورير الداخلية يسمح لي به بالتفيل حيثما أشاء



وفي العراق، بدير المنصرف (المحافظ حالياً) شؤون اللواء (المحافظة) الذي يتألف من قصاء بس أو أكثر، ويدير شؤون القصاء القائمقام ويتألف القصاء من عدد من الواحي، ويدير شؤون الناحية مدير ناحية

كانت الكبش ناحية نابعة لقصاء سوق الشيوخ من لواء المنتفك ومركز اللواء هو مدينة الناصرية


زرت المدير حاشماً وصلت الكبش، فدعاني لتناول العشاء معه في ائنادي. وبدا لعبي أن هذا الساء متكون من آخر رديء بحيث يكون في الصبب حاراً وهي الشتاء ناردأ مع رضونة شديدة

والسادي فائم خلف حاحر من الحصيرة، نحد تحته بعض أنواع

السنانات الزينة التي ذلت لحاجتها إلى الماء. فيه كراسي حديدية مصبوعة باللون الأخضر وعدد قليل من الماصد الحديدية الدائرية الشكل موضوعة فوق قطعة من الأرض المعشة المنلوقة.

وحينما دخلت النادي وجدت فيه شخصين أو ثلاثة من الموظفين ثم بدأ الآخرون بغاطرون على مترات. وكنت قد التفت أكثرهم في اصباح.

جلسنا جميعاً حول الماصد، فحلبوا لنا الشاي حله رجل كبير السن، مهولك القوى، برندي بظلوأ خاكياً مرفأ حذاً وسرة ضيقة حداً.

حلب أحد المعلمين راديو من داخل النابة ثم ثنت الهوائي وأمصى الساعات الأربعة أو الخمسة التالية وهو يدبر أزرار الراديو، فاستمعنا إلى الموسيقى والأغاني والأحاديث المختلفة من جميع محطات العالم الإذاعية، كما كنا نسمع أصواتاً عربية نبعث من حولنا. وكوؤ عدد آخر من الموظفين حلقة أخرى بدأوا يتحدثون فيما بينهم بالأمور التي نخصهم كالمحادثات وفي الأمور السياسية وفي العشيحة التي كانت قد حدثت أخيراً في الدوائر الرسمية.  في تلك المصروفات لا أشرب الحمر فقد تناولت أقداحاً لا حد لها من الشاي وهو الشراب الوحيد الذي يتواحد ما عدا الحمر.

ومصطفى الذي لم يشارك في الرأي بدأ بشرت العرق باستمرار، وبدأ يتناقش بحرارة أكثر. ويظهر أنهم سوا أنهم قد دعوني للعشاء.

ورأيت في مكان ما حلب الحاجر الحصري مولداً كهربائياً كانه مصاب بمرض الربو، يجهزها بمصباح واحد معلق فوق رؤوسا، فحذب إليه أعداداً كثيرة جداً من الحشرات الضارة والمؤذية فكانت تسقط كالمنطر فوق المصدا.

كنت أحلس على كرسي حديدي غير مريح وبدأت أشعر بالصيق والكدر مما أضاف كدراً وإزعاجاً ثم تذكر المدير، حوالي منتصف الليل،

ناسي ضيف عليه، فأمر بإعداد العشاء وكان بنألف من الكباب والأرز ولم يكن لذيقاً رغم هذا الانتظار الطويل

إن معظم هؤلاء الموظفين قد ولدوا في هذه المنطقة، ضمن مسافة لا تزيد على مائة ميل عن كيبش. وبما أنهم متعلمون لا يشعرون بالراحة إلا حينما يسكنون المدن لذلك يرون أنفسهم في هذا المكان عبر المريح والذي يكتفه جو عشائري كأهل في المصن. فكانوا يأملون يوماً بأن يتم نقلهم من هذا المكان ويقصون الساعات الطويلة في بحث هذه الفصيلة ويحفظون لها. كما وجدتهم لا يرحون هذه المنطقة ليرفها عن أنفسهم بل إما بسفوف محصورين ضمن هذه السفعة الضيقة التي تضم بيوتهم ودوائرهم ومادهم

وحلال ثفاني في العراق، لا أندكر أني صادفت موظفاً بينهم كثيراً بأمور الناس أو بظهور الود والمحبة بينهم العشائر الذين يدبرون شؤونهم وسألني أكثر من شخص واحد، كتب أنجيل ما الحياة في هذا المكان بين المعدان الذين هم لبسوا سوي حيوانات معززة كما أنهم لا يهتمون بالريف ففي كردستان، في الصيف الماضي، أمضيت بهاراً كاملاً مع ضابط شرطة عراقي شاب في إحدى أهم الأماكن اللطيفة والحميلة التي شاهدتها.

كان قد تعين في هذا المكان الذي نفطنه عشيرة كبيرة رحالة قبل شهرين.

فالجبال الشاهقة تعلو ثمانية آلاف قدم أو تسعة آلاف قدم نر من بين غابات البلوط شامحة إزاء المسحدرات الحضرية الظاهرة للعيان. وينحدر من الحبال جدول يجري فيه الماء الرقراق، بارد كالثلج، ينساب في الوادي متجهاً نحو سلاسل جبلية أخرى بعيدة أفقانية اللون.

هناك الدببة بين العادات، والوعول في فم الجبال، والحو في هذا

المكان ممتاز. وعندما ررت المعاود الشاب في حبيته، وجدته حالساً وحاسه جهاز راديو وأمامه مقصدة سبكاير مملوءة بأعقاب السكاير، قلت له عابة الحماس «أنت سعيد جداً أبها الشاب لأنك تعيش هنا في هذا المكان الجميل». وبدلاً من أن يسره كلامي هذا رأيت بهمحر في الكلام ويقول: «سعيداً والله، لولا جهاز الراديو لأصحت من عداد المحابين ماذا يفعل رجل متمدد في هذا المكان الموحش؟»، فالشخص الذي كان هنا قبلي لم ين سوى أسود واحد دفع لهم المال فملوه. أما أنا فإني فقير الحال، لا أستطيع أن أقدم أي شيء لأدفع المال، لذلك تحدثني أحسن وأصغي إلى إذاعة عداد».

بكر منطقة الكبش والغرى المحاورة لها على امتداد مهر المرات عشيرة بني أسد وهي عشيرة عربية إنضحت إلى الأهوار قبل ثلاثة قرون وذلك من حراء المعارك التي دأبت فيها بسبها عبر التاريخ من العلة والاندحار. وفي أوج أيامها إمتصت هذه العشيرة كثيراً من الناس الضعفاء وأكثرهم لبسوا عرباً في الأصلاء. كانوا ينتمون للحماية منهم وبهذا العمل اردادت قوة.

ومن الأهوار حاضت حروباً منقطعة وناححة مع الأتراك وهي لا تزال مصدر الفلافل بعد الحرب العالمية الأولى إلى أن دحرهما الإنكليز وأزاح شيوخهما في سنة ١٩٢٤ وإحلل الكيان العشائري مد ذلك الوقت.

الزراعة في الكبش أمر لا يمكن التمسوه دوماً، وفي السنوات الأخيرة، أحدثت العشيرة التي يبيع تعدادها الآن مقدار (١٠٠,٠٠٠) نسمة، تعتمد على حياكة الحصران اعتماداً متزايداً. وهي مع مضي ثلاثة قرون من حبانها في الأهوار تعثر نفسها منميرة عن المعداد. فهي تعني بتربية الأنفار لكنها تحتفر العابة تربية الحواميس

وبإمكان المرء أن يتجول حول الكبش لذلك سررت حبيما عاقرنها

فتوجهت شرفاً حتى أنبت إلى حافة الصحراء في الحميسية ثم عدت
أدراحي مرة أخرى.

وحينما كنت أصل إلى قرية ما عند الصباح، بقدّم لي العداء ثم
بأخذي مصبني من عند الطهر إلى بيت آخر

كانوا بكرمون وفادتي بسحاء أيما أحلّ حتى وإن كان صاحب البيت
فقير الحال، وقد وجدت بعضهم معدماً فعلاً ولكنهم كانوا يرافوسي يهدوء
وينعرسون في وجهي ونفبت على هذه الصورة من التفبيدات طوال عدة
أشهر. لا نوجد سرية في كل مكان. فكل حركاتي كانت مرافبة حتى حينما
أذهب إلى مكان أرتاح فيه فأشعر أن أحد الصبة يتعني فيسر ورائي بحجة
أنه بحمبي من الكلاب

وبإمكانني أن أنصور ما يدور منهم من سبعة حينما أعاد العرفة فمثلاً
بفولون «ماذا يريد هذا الشخص؟» وكذا «أفدّم إلى هذا المكان؟». من
الواضح أنه لو لم يكن لديه شيء مهمّ لما قدّم إلينا لأنه لا يرضى أي
شخص من سكان المدن أن يترجمهم إلى أهله وأهله. لا بد
وأن الحكومة أرسلته حتى ينحس علبا، ولبحصي عدد شاسا أو لبعث
عن جواباً

وجدت الأشخاص الذين استصافوني لطفاء ولكنهم كانوا على ما
يبدو توافين للنخلص مي، فعاملوني كشخص بحس.

والشعبة نعسر الطهارة الشعائرية واحداً ديباً المنشددون منهم لا
بشرون من نفس الكوب الذي أشرب منه لأنهم بعنروني كافرأ.

وبما أن هؤلاء الناس عبر منمرتين حسماً ألاحظ في شعائهم الدبية
الأخرى فإن هذا الفاصل الحاص إنما يبدو طبخاً. ولا أدري ما إذا كنت
أستطيع أن أفهم معهم علانق وذبة إلى الأبد كشخص مسبحي أو كشخص
أوروبي حيث كنت أتوق إلى ذلك.

حان موعد تكوين مثل هذه العلاقة الودية حينما توقفت عن المسير
في (ربعة) إحدى القرى الكبيرة من منطقة العميرة وأنا في طريقي شمالاً
فاصداً عشيرة المرطوس.

لم يكن صاحب الدار موجوداً. غير أن شأاً طويل القامة، ذا هيئة
حسنة رخب بنا. ثم عاد الرجال الذين حازوا معي إلى هذا المكان إلى
قراهم بعدما تناولوا الشاي مباشرة.

كان إسم مصيبي «عبد» وهو مختصر (عبد الله) وصل مع غروب
الشمس.

سألني من بعد تناول العشاء: «شكو بهاي صناديقك؟».

«أدوية».

«هل أنت طبيب؟».



«أعرف الشيء الكثير عن الأدوية»
«هل تستطيع أن تقوم بعملية الحنان؟»

لم أحر مثل هذه العملية أبداً، لكنني كنت أراقب مثل هذه العمليات
في المستشفى وبين العشائر. لذلك انهرت الفرصة وأحتة فائلاً «نعم».

«نكدر نسوى عملية حنان لولدي ضريبط؟ مصت سين طويلة حينما
جاء أحد الأشخاص التي يعرف بسوى عملية حنان وأريد أن نسويها أنت
بنفسك حتى أروحه». وأشار بيده إلى صبي وهو الذي كان قد استقبلني.
أما الآن فإنه كان منهكاً نصب القهوة

كنت خائفاً ولكن مع ذلك وافقت على إجراء عملية الحنان في
الصباح.

ولو أن عملية الحنان لم تذكر في أي مكان من القرآن الكريم إلا أنه

بغير بشكل عام أمراً ضرورياً على جميع المسلمين وهم في ذلك يفتنون
إثر الرسول الكريم محمد ﷺ نفسه الذي أحرب له عملية الختان طبياً
لعادة العرب، ولا بحق لأي شخص لم يحن أن يحج شرعاً إلى مكة
المكرمة.

نؤجل عملية الختان بين العشائر الفاطمة في جنوب العراق سواء
أكانوا معداناً أو رعاة الغنم إلى حين بلوغ الطفل سن الرشد، كما هي في
هذه الحالة مع خريط ومن المأدر أن ننم عملية الختان قبل بلوغ سن
الرشد ونحري عملية الختان من قبل شخص اختصاصي بهذا العمل،
ينتقل من قرية إلى أخرى في فصل الصيف وأنعاهم التقليدية هي إعطاؤه
دبكاً ولكن الغالبية كانت نعطيه ربع دينار (خمسة شللات).

وفد شاهدت نتائج تلك العمليات فأبنتها مرعة كانوا يستخدمون
أمواس الحلافة المنصدة والغدرة وقطعة من الحبط ولا يستعملون
المطهرات.



وبعد العمليات يثرون على كثير من محكوفاً حاصاً معمولاً من فلفه
بابسة لأولئك الذين أحرب لهم عملية الختان في السابق ثم بلفونه بقوة
بقطعة من الحرق.

والناس الذين يعبثون في مثل هذه الأحوال يكتسبون من غير شك
مناعة ملحوظة بالسسة إلى العدوى أو التلوث وتراهم لا يستطيعون مقاومة
هذه الطريقة. وقد يمضي شهران على العملية حتى ينشافي الصبي بعد أن
يعاني طوال هذه المدة من الآلام الشديدة

حاصي شاب بعد أن مصت مدة عشرة أيام على عملية ختانه حتى
أعالجه. وإني وإن كنت قد نعدت تماماً على رؤية المناظر والروائح
الكريهة إلا أنني كنت أن أنقبأ من شدة الروائح الستة المنبعثة من هذا
الشاب.

وحدث فضيه كله متفيحاً وبنزاً منه ومن عصبته أيضاً الفحيح في مثل هذه الحالة. وحدث الفحيح بر أيضاً من بين أفعاده واللحم يسلم منها والفحيح بنسافط على منافيه. فعالحنه بالأدوية والمصادات حتى شفى في النهاية.

وعلى الرغم من أن الشخص يصاب بوسمة العار إذا لم يجر عملية الختان فإن بعض الصبية لا يرفضون الختان بشكل عبر طبيعي، غير أن آباء بعضهم هم الذين لا يسمحون لأولادهم بالختان لأنهم لا يحلون أحداً يرمى حواميسهم

بؤكد عدد من الصبية بالدليل القاطع بأنهم بولدون والملائكة فد حننهم وهذه حرافة حارية في مصر أيضاً

وبعد ذلك زرت فرى نفع بين السودان وفولاما Kaulaba بصورة خاصة، لاسي سمعت بأن عملية الختان هي نافذة الوجود هناك - وهذا شيء لا يمكن تصديقه تقريباً بين المسلمين.

وفي الصباح الساكر، حست القويحة الذي أعطيت، نهيات لإجراء العملية.

افترح (عدد) وحوب إحراء العملية خارج البيت حتى لا يبلوث البيت بالدماء. فأجتمع جمع صغير بين الحواميس وهم ينظرون عملية الختان التي لم تكن عملية حرافة مثالية. وحصر عدد من الناس من معاصري حريبط حتى يشعروا ويزيدوا من معنوياته حينما أعفد

احنرت صبيةاً تظهر عليه علامات الدكاء مساعداً لي. أما حريبط فإنه جاء بهاون حشبي كبير فضله رأساً على عقب ثم جلس عليه.

كنت أربأ أن أجري عمليتي الأولى ببساطة، وأظهرت محوصاتي الأولية بأنه بملك فرفة منصلة. نهيات سرحاً مع مخدر محلي، غير أن حريبط قال لي في الحال:

«لويش هل شيء؟» فقلت له بان هذه الحفنة نجعله لا يشعر بالألم.

«لا. لا. ما أريد أنصرب أسره. سس إقطع الغرفة». ولا أظن أن أي شيء آخر سيعجز من فكري. وعندئذ كنت أنعجب بما إذا كان عصبي المراح مثلي على الرغم من أنه لم يُظهر أية علامة من هذا الضيل.

وبينما كنت أفوم بعملية الحتان والتي استعرفت في هذه الحالة بعض الوقت، كان خريط يحلس بدون حراك تماماً ثم قال لي من بعد انتهائي من العملية «أشكرك» ثم نهض.

أما مساعدتي الذي كان بمسك بيده أنواعاً مختلفة من معدات العملية فإنه ألقاها على الأرض ودفع الآخرين من طريقه وجلس على الهاون وقال: «هه دوري أنا». وأدركت الآن بأن أصدقاء خريط التسعة قد حاؤا جميعاً حتى أحري لهم عملية الحتان وكان أعمارهم بعمر (١٥) سنة وأكثرهم بعمر (٢٤) سنة وعلمت فيما بعد بأنهم جميعاً قد شُعوا بعد عدة أيام. ومن الواضح أن مسحوق المسحوقين هما أكثر تأثراً وفاعلية من مسحوق الغرفة البهيمية.

وصلت الأحار إلى القرية المجاورة عن عملية الحتان. ولما وصلت تلك القرية وحدث (٢٠) صبياً بانتظاري.

وفي هذا الوقت كان قد استعد عدد قليل من هؤلاء الناس لكي يُجرى لهم الحتان المحلي الاحصاضي لكنهم فضلوا الانتظار إلى أن أروور فرينهم أو بشدوا الرجال إلى القرية التي أنا فيها.

وهي إحدى المناسبات المتعة والمصيبة، حصر (١١٥) شخصاً، فمت يعمل شاق ابتداءً من الصبح حتى منتصف الليل.

وهؤلاء الناس يعتقدون أن رائحة الحر أو أية رائحة أخرى من بعد الحتان سوف تسبب حدوث النهايات في الحرح. وكنتبحة لذلك، إعتادوا

حيثما بصايون بالالتهاب أن يصعوا فطعة من الصوف أو فطعة من الضماش في الأنف أو يعلفون بصلة حول الرقبة إن أمكنهم العثور على البصل عند السعال. كما أن هؤلاء لا يأكلون السمك أو اللب الخاثر أو الرقي أو يشربون الماء بكثرة إلى أن يشعوا من جروحهم.

وينسك الحثانوي المحليون بهذه الحراوات كعذر على عدم كفايتهم، ويمسرون حالة بعض الشباب المصابين بالتهال عندما يفاسون الآلام المرحية وسبقاتهم متاعدة لأنهم لم يمسكوا بتعليماتهم وينحسوا تحذيراتهم ويقولون: «طعماً». ما أخذ هذا الصبي الحذر واحتاط لنفسه بحيث يسد ثغوب أفعه لارم شم رائحة الحر أو لارم شرب ماي كثير».

لا برور الأطباء أساكس المعدان أبدأ. وإذا ذهب المريض إلى الصيدلية في الكيش لشراء الدواء على حسابه الخاص فإنه لا يزال يعتقد بعدم جدواه وأنه لا يفع



وأبما أحل، برداد عدد الشراس الذي أقوم بعملية حنايتهم يومياً. وعلى هذا الأساس، لا يمسكهم بغير تعليماتهم فيه الناس في الأموار. ويتفاوت عدد القادمين فيكون أحياناً قليلاً وبرداد أحياناً أخرى بحيث يتجاوز المائة شخص

وأكون رافداً في فراشي حيثما يصل أول مريض، فأبصع بعد أن يبحي أحد المستبين الكبار ليقول لي بأنه يشكو من السعال وأسمع صمير صدره حينما ينفس. ووجدت الأكثرية تعاني من آلام الزكام الشديد والصداع والإمساك أو من الجروح الطفيفة أو من الكدمات ويمكن معالجة مثل هذه الأمراض بسهولة ولو أنها تتطلب وقتاً أطول كما وجدت أشخاصاً آخرين هم مرضى فعلاً وبشكل خطير أو مميت. فكنت أداوي بعضهم ممن يوسعي إسعافهم وأترك الآخرين الذين لا أستطيع معالجتهم. وأهتم كثيراً في مثل هذه الحالات بالمعالجة الطبية الصحيحة.

كما وجدت أناساً يعانون من مرض الشراخوما ومن بعض أمراض

العيون الأخرى ومن الحرب والواسبر ومن وحود الحصى هي الكلبة ومن أنواع مختلفة من الدبذبان المعوبة ومن الديرانطربا من كلا النوعين أمبي وعصوي ومن أمراض اللمهريبا والبحل وسوف أعدد بعض الأمراض التي يشنكون منها.

فمرض البحل هو من أكثر الأمراض شوعاً وربما من أكثر الأمراض المرعبة، وهو مرض يشبه السعس ولكنه ليس بمرض تناسلي. إنه نوع من مرض خلدي ومعدّي جداً. فالفرح الذي يحدث في مكان ما من الجسم يكون شديداً على العال نثاً أحياناً بدرجة محبة. وكنت أشعر بألم وأناثر حينما أحد بعض المرضى من هذا النوع

كانت بعض الحالات من مثل هذه الأعراض سعلتاً من غير شك وكنت أعتقد أنها بحل وكنت أمتحل حفن البسلين فأجدها ذات معول جيد لكلا النوعين من المرض



أما مرض السيلان فإنه غير معروف نغريباً لكسي عالجت ثلاث حالات فقط كانت مصادرها من معطلة وما إزاء اللمهريبا فما كنت أمتطيع أن أفعل أي شيء وهو مرض واسع الانتشار في منطقة الأهوار والسبب هو أن دورة الحقن بالإل نديم مدة شهر واحد وما كنت أمتكث هذه المدة في مكان واحد.


وفد عالجت جماعتي الحذافين ولكنهم كانوا دائماً بصايون ثابتة. وهالك أمراض أخرى وباتبة مثل الحصية وجذري الماء والكاف والسعال الديكي

وفي سنة ١٩٥٨ انتشر وباء الأنفلونزا الأسوي حيث أصيب به معظم المعدان. وأفقدت أدويني كثيراً من المصابين بأمراض ذات الرئة كنتيجة لإصابتهم بمرض الأنفلونزا. ولقد كنت ورفافي محاطين يومياً بالمرضى الذي يطلبون الدواء لكننا كما يهرب أحياناً لروح عر أنفسنا ونتعد عن هذا

الزحام. وكثيراً ما كنت أحشى أن أصاب بالمرض في فصل الصيف في مثل هذه الظروف.

ومن الأمور المذهلة، أنني واجهت عدداً فلبلاً من المصابين بأمراض الملاريا علماً بأن هذا المرض قد نفلص كثيراً خارج الأهوار. ومن جهة أخرى، كان معظم المعدان يعاون من الحمى الواطئة المنكرة. ويعاني عدد كبير من الأطفال من تضخم الطحال.

البعوض السائد هو من نوع الأنوفيلوس *Anopheles Pulcherrimus* وهو نافل الملاريا بشكل ضعيف أما النوع المؤذي جداً فهو الأنوفيلوس *Anopheles Stephens* وهو نادر الوجود في الأهوار سبياً.

ثم هناك إصابات ناجمة عن الحوادث فبعض الصحابا بصابون بالحروق المرعبة من جراء احتراق أكوابهم. وهناك الأطفال الذين بصابون بالحروق من جراء اسكاب الفئور  وبها الماء المعلي ويراحني رجال أصبوا بجرع من جراء هجمات الحناير البرية. وبصاب بعضهم أحياناً حينما يقومون بالصيد فلهاجمة الحناير ولكن أكثرية الإصابات ناجمة من مهاجمة الحناير وهم يقطعون القصب أو يحصدون محاصيلهم.

شاهدت مرة شخصاً مصاباً بالحروق في ذراعه وفخذيه وجرح عميق بمدار ثلاثة عقد في معدته بحيث برزت الأمعاء. ومن حسن حظه أنها لم تكن مثة، فأعدت الأمعاء إلى مكانها ثم حبطت الحرح. ومن الأمور التي تبعث على الدهشة هي أنهم ينفون أحياناً بعد هذه الحالات. وفي إحدى الحالات استدعيت إلى بيت لافحص صبياً كانت يدهته المصنوعة محلياً قد انطلقت ومحرت نصف يده وكل ما استطعت عمله هو تر ثلاثة أصابع من أصابعه المتطابرة.


وفي حالة أخرى، أبقتني صبيان من النوم ليلاً وذهبت معهما في

مشحوفهما إلى فريتهما التي وصلهاها بعد ثلاث ساعات. وصلنا القرية وقت المسحور، ووجدت أنهما يتلوى على الأرض وقد وضع يديه فوق عيه. وقالوا لي بأنه فقد إحدى عيه نبتة اشجار قبل سنتين. والآن، يبدو أن نوعاً من الضغط الداخلي يؤثر في العين المفقودة ويدفعها من محورها.

فكل ما استطعت عمله هو قطع العين حتى يرنح من الألم. وكنت أعرف شيئاً من المعلومات عن تركيب العين من عشبة حلود الحيوانات حتى نبقى كندكار.

حفظت هذا المريض بإبرة من المورفين ثم أحربت عملية قطع العين بينما كان ولداه يمسكانه بقوة وهو ممدد على الأرض.

ولما استعاف واسترد وعيه قال بأن الأمة الآن هي أحسن بكثير مما كان يعانيه سابقاً. مكنت بجاسه  حتى أطمش على صحته. شاهدته بعد سنة أشهر فوحده قد نشأ.

وهناك أمراض كثيرة  أعطيها عليهم الفطام بأي عمل نحاهما. وكنت كثيراً ما أفضل في معالجة حالات أخرى

ولا أزال أحمل في مجلتي صورة وجه صبي صغير يكاد يموت مما يعانيه من الدبزانطريا. وكثيراً ما كنت أواجه مصاعب كثيرة حتى أقعهم بأنني لا أستطيع شيئاً إذاً بعض الحالات، حاصبي مرة رحال من مسافة بعيدة ومعهم شيخ عجوز يعاني من آلام شديدة من مرض السرطان. وحازوا مرة أخرى بفنائه تسعل سعالاً شديداً من جراء مرض السل والكل بثق في أني سأشفيهم من أمراضهم. لذلك يواصلون الالتصاق والرجاء إلى درجة يشيرون فيها الشفقة فيقولون:

«أعطينا فقط الأدوية. صاحب! أعطينا أدوية»

وهناك حالات من المرضى قد ينشأ منها المرضي إذا ما راحوا

المستشفى في العمارة أو في الناصرية ولكنهم كانوا يخشون مراوحة
المستشفى. ومن النادر أن يفتعوا بوحوب المراحة.

كان الأطباء في المحر وفي الكبش والعمارة يستأثرون من لثغص
مؤهلاني، لكنهم لم يكونوا يُظهرون استياءهم أبدأ، بل على العكس من
ذلك، ساعدني عدد منهم في إبداء المشورة والأدوية.

وافق وزير الداخلية في بغداد على الأعمال التي أقوم بها فيما يتعلق
بالطاعة في الأهوار ولكنه حذرني قائلاً بأنه إذا ما مات أحدهم نتيجة لخطأ
في الإسعاف نسب له أسرته مشاكل فلن يتفقد أي شيء عن المفاصاة
الحرمة.

كانت أعمالي هذه محارفة مني وأنا راعب في ذلك وعالجت كثيراً
من الناس الذين كانوا يعانون من سكرات الموت ولم يتعوه أي شخص
فيما بعد بما يشير إلى أنني قد فتلت مرضاهم



مركز تحقيق تاريخ حياة العراقيين



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

١٢ - بين عشيرة القرطوس

بعد أن غادرت قرية عبدة، مكثت في بيت صغير في قرية كاشة.
وكنت أعالج عدداً كبيراً من المرضى إلى درجة عاصت فيه أروحية العرفة
في الماء حتى بلغ ارتفاعه إلى مستوى كعب القدم. وأُكِّد لي مصيبي بأن
هذا ليس بالأمر المهم ولكنني مع ذلك انتقلت إلى مكان آخر فارناح لعلمي
هذا.



وفي قرية أخرى، اسمها سرد، فيها من (٤٠ إلى ٥٠) بيتاً، مثبته
على امتداد السافية فوق عدة طغيات شديدة الانحدار. ونحلل البوت
طرف مائبة صحنه، نجمع أيضاً جمع كبير من اللاس وبدأت أعالجههم حتى
حلّ الغلام. وكان مختار القرية بلارمني طوال عملي هذا.

والمختار رجل عجوز، اسمه محسن، له أولاد، طلبت منهم إثناء
المساعدة، لكنهم فصلوا اللعب على الاستجابة لطلبي. ومع ذلك كانوا
بصافروني من كثرة طلباتهم للأدوية التي لا يحتاجون إليها.

كان الأولاد صغاراً، يشبهون أناساً تماماً. لهم أنف طويل كأنف
أبيهم، وعيون صيفة وصوتهم أشبه بالعواء. وأخيراً كنت لهم من كثرة
الإلحاح في طلب الدواء، فأعطيت أحدهم حني كبن حتى بمصعهما.
فسمعه بعدئذ يحاول التقيح خلف الباب. نصايشت كثيراً من طول انتظاري
لنتناول عشاءني. ولما جاؤا به وجدته عبارة عن صحن فيه كومة من الأرز



رجل من عشيرة القوطوس

السارد وفدح فيه زيد كثير فدر
وعلي أن أنتظر مرة أخرى حتى
يُعدّوا لي الشاي ولكسي لم أحد
أية علامة على إعداده.

وفي هذه الأثناء، التفت
أحد الأولاد فجأة وإذا به يصبح
فائلاً «هلوا ما هذا؟» ثم اندفع
نحو الباب وسمعته يصبح
«حريق! حريق!»

نجمهرا خلفه ونحو سعد
الحواميس من طرفنا وشاهدت
السيبان فلتهم سقف البيت
المحاور الذي يقع أسفل البيت
الذي نحن فيه وبانحاء الفزع
وسرعان ما فصى عليه نعاماً

رأيت الذهب البرنقالي اللون يرتفع إلى عيان السماء والشرارات تنطابح في
الظلام. نجمعنا في المشاحيف ونوحنا نحو البيت المحترق. وفل أن
نصله، كانت النار قد وصلت إلى بيت آخر بجواره. ورأيت الشرارات
تنطابح من كلا البنيين ونحملها الرياح القوية إلى بيوت أخرى.

شاهدت فوارب عديدة، نروح ونعدو فوق سطح الماء المصاء من
وهج السيبران وشاهدت أصحاب البيوت يدفعون إلى داخل بيوتهم ثم
يخرجون منها وهم يدفعون ما نحملة أيديهم إلى المشاحيف المنتظرة ثم
يسرعون بالدخول مرة أخرى ليلفوا ما توسعهم إنفاده. ورأيت النساء
بولولن ويصرحن والرجال يصيحون بأعلى أصواتهم والكلاب تنبح
والحواميس هائجة لأنها فتولّي هاربة في الظلام الدامس.

كما نسمع عر هذا الصحيح العام أصوات فرفعة نكسر الفصص
المشعل الذي التهمته النيران ثم مرت النار إلى بيت ثالث في الوقت الذي
نزلنا فيه من المشحوف جوار أحد البيوت

شاهدت امرأة خائفة جداً تدفع بسرعة وهي نمر من حايباء نحمل
طفليها على ذراعيها نمسكه بقوة وهو متعلق بها بصرخ ويصيح. أخذت
الطفل منها وتاولته لفتاة في المشحوف، فوضعتة بحاسها وهو لا يزال
بصرخ. ثم اندفعت الأم مرة أخرى إلى البيت حتى نتقد ما توسعها إيفاده
من أثاث البيت فرأيتها نحمل معها السط

وفي محاز البيت، اصطدمت برجل عحور وصبي وهما بذلان
جهديهما لسحب كيس من الدقيق مساعديهما في محه إلى الفارب ثم بدأنا
نُخرج الأكباس الواحدة بعد الأخر حتى لم يبق إلا كيس واحد لم نستطع
إحراجه لأن النيران بدأت تلتهم البيت



وفي هذا الوقت قضت النار على البيت المحاور فصاة ناماً.

شاهدت شح امرأة وهي ننظر نحو اللهب الذي بلتهم السقف
وتضرب صدرها بيدها إبهار السفف ونطايرت الشرارات إلى الأعلى
واندفع الرجال من حلال العماء التي تتحلل البيوت لينفدوا المحاجبات التي
فيها

وصاح أحدهم وهو يقول «البيت يشعل» فطرت ورأبت السفف
فوفنا آخذاً بالاشتعال، وأصبحت الحرارة لا نطاف واللهب يندفع نحوها
وعدها صاح الرجل العحور «أحرحوا وأنفذوا أنفسكم» ففزعنا إلى داخل
الساقبة وخضنا الماء وعبرنا إلى بيت آخر

ولكن بحول دون التهام النار لهما البيت، بدأنا برش السقف بالماء
لكما لم نستطع إيفاده

النهضة الميران في تلك الليلة (١٢) بيناً في قرية مبرد. وشاهدت
 الببت الأخير ورأيت أنه محرقه بخرج منها اللهب. وأصاحت المياه
 المعنفة تُرى كأنها ملونة بلون أحمر وذهي.

عبرنا إلى الجانب الآخر لترقب الحريق. وكان الليل شديد الظلام
 والحووم تسطع في السماء الصافية والهواء مارداً من بعد حرارة اللهب.
 وترى من كل مكان كوماً من الرماد المترويح والرياح تحركها فبظهر اللهب
 من جديد.

رأيت الرجال الذين بذلوا جهداً كبيراً في معركتهم مع النار يتحدثون
 فيما بينهم بصحب ويحدثون الصوصاء والصحيح. أما النساء فكن من بعد
 بولولن ويندين حطهر على ففدن بيونهن وما بملكن من متاع.

وفي هذه الأشياء افترب منا أحد العرباء وقال «نعال واشرب الشاي
 معنا صاحب». عدت إلى دار محسن وشاهدت فيها أفراد العائلة المنكوبة

مركزية شكو بيزروج شوي




رقصة الحرب بين عشيرة الغرموس

من الدار الأولى. فالأب فند كوفته، والدشداشة تصررت من النيران. كما وجدت رجلاً آخر صغير الجسم، عصي المزاج، ذا وجه منحعد وشعر غطه الشبب، سته الأمامي مكسور وهو جالس بحاجب الموفد ومعه أولاده

الولد الأكبر الذي عمره (١٧) سنة مصاب بحروق بليغة في كنفه. وشاهدت في الطرف الآخر من البيت امرأة عجوراً، شمطاء، جالسة نولول ونصرخ بصوت مسموع وربما هي حذو الأولاد.

كما شاهدت امرأة أخرى شاة حالسة لا تنسس بينت شعة وقد احتضنت طفلاً بين ذراعها وطفلين آخرين محابها

قال محسن الذي أعذ الشاي «من حسن الحظ، ما اشتعلت النيران وبحس نيام مثل ما حدث في قرية سعده في الشهر المعاصي ومانت زوجة السيد مع طفلها بسبب الحريق». وأخبرني الأب بأنه هو وأولاده كانوا في البيت المحاور حينما بدأ الحريق  الأطفال وأردت أجيب السدفة التي كانت تحت الفراش فمل وحيدتها أما انني على فاحترق. فقدت كل شيء - البديفة وثمانية دنابر كانت في الكسندوق والمسام والملابس وكل شيء آخر داخل البيت أما هذه الليل فاحترق اثنا عشر بيتاً ومع ذلك نحمد الله على سلامتنا» قال ذلك وهو مستسلم للفقد

كانت الحدة نحب طوال الليل بأسره ولا أحد بهنم بها أو بلنضت إليها. نام الرجل بالقرب من ولده الصعبرين نحاسي وشاركني أحدهما بغطائي تحت جوامبه ومشحوه من البار، ونلك هي التي نهمة حقيفة.

شبنت الأسرة لها بيتاً حديداً بعدما مردت الأرض وذلك بشوفر الفصص المكندس بالقرب منهم ساعده الناس من أهل القرية بنرويده بكمبة من الدقيق وفرش النوم وكانوا، كما بيت سابقاً، قد أمقدوا بعض الفدور والكنالي. أما الشيء المهم الذي فده فهي السدفة. وفي الصباح أعطبتهم بعض النفود كمساعدة نوعيص عن سدفته

غادرت القرية منوحاً إلى قرية العوبدية وهي قرية صغيرة من قرى
عشيرة العرطوس والتي سقى لي وزميلي دو كالد ستيوارت أن زرتها قبل سنة
فوصلتها بعد ساعتين وإلى أن وصلنا القرية، كنا نحذف المشحوف عبر
بحيرة صغيرة محاطة بقصب عالٍ ومن ثم ندفع المشحوف بالمردى على
امتداد مجرى ماء عريض.

وقبل الوصول إلى القرية ومشاهدة أول بيت من بيوتها من فوق
القصب، كنا نسمع أصواتاً صادرة من قرى الأهوار عبر المياه وهي مهمة
أصوات كثيرة، والصرب الممل لساء القرية ومن يدفعن القمح، وأصوات
الحواميس وباح الكلاب والشيء الواضح جداً هو صباح الديكة.

وتنتشر بيوت القرية بين مبات القصب وكان مصيف حاسم الفارس
الصغير يقع في الطرف البعيد منها، وهو يرتفع شامخاً فوق الدس عن سطح
الماء، والهيكل بأسره يميل نحو الباب، ولما حاسم عنه، فهو رجل طويل
القامة، نحيف الجسم، يرتدي دليلاً شامخاً، كان يقع في المدخل.

أحبته من أول نظرة. ~~وكان في يده عصا طويلة~~ وأبى مستقيم وهم
ثابت وعيسب تنمنا عن العطف والحنان، أسرع فالح، الأمن الأصغر،
والذي صبغنا قبل سنة، ودخل العرفة وحلب السط وأنوسائد.

فدّرت عمره بحمسة عشر عاماً وهو جميل المحباً ولكه ذو طابع
ردبته. بعاني من مرض الفطريات في الرأس وهرة رأسه كلها عبارة عن
قطعة من القشرة الباسية وهو يحسها دائماً ويحابة بالكوفة التي يضعها على
رأسه. ورأيت هرة رأسه مرة حينما طلب مني معالجه.

إن هذا المرض شائع بين الأطفال. ويظهر أنهم ينحلصون منه
بالتدريج حينما يبلغ الشاب من العمر (١٤) سنة ولكن الأكثرية تفقد
شعرها بصورة دائمة نتيجة لهذا المرض.

مكثت عند جاسم الفارس مدة أسبوع، وسرعان ما شعرت كأنني في



شخصان من عشيرة العرطوس بصيد السمك من بحيرة أم العبي

سني وأنا أعيش بين عشيرة العرطوس، وعاملوني كفرد من أفرادهم وهنا في هذا السبب، كنا نشرب منذ البداية من فصح واحد وكنا نحرق من المزورق صاخاً ومساءً ونذهب إلى البحيرة المحاورة ومعنا فالح لئصطاد البط كان البط البري حذراً جداً لذلك يجب علينا أن نصطاد طائر العراء، ومالك الحزين والعاق وكلها طيور عذبة تأكل السمك.

حاولت مرة أكل العاق، لأنهم أكدوا لي بأن لحمه لذيذ، يشبه لحم السمك، لكنني لم أستسعه عندما تناولت لقمة واحدة فقط وبقي طعامها في فمي طوال عدة ساعات.

وفي أحد الأيام، دفع فالح واس عمه المدعو داود الزورق وسرنا نحو البر الرئيسي؛ وسرعان ما تركنا القصب ودخلنا في منطقة بنطبيها مساحة أميال مربعة ذات البردي المنسافط وشاهدنا النبات الحديد ينمو من خلال عشبة البرك للعام الماضي، لكننا لم نكن عالية بحيث نحسب نظرونا حتى وإن كنا في بطن الزورق. كان المكان مليئاً بالطيور، فطائر البكاسين (طائر طويل المنقار) يفر ويظهر من حابئنا وهو يرتفع على شكل خط متعرج. ورأيت عدداً كبيراً من الطائر المحووس الصغير الحجج يسر من

حولنا ورأيت طيوراً كثيرة من الطيور المائية ذات الأطواق من الريش والطيور المخصوص (شبهة بظهور الكروان) وطيور الكروان والطيور المائية ذات الفوائم الحمراء وطيور السكاك (طور مائية طويلة السافين) من بين الطيور المائية الأخرى التي لم أستطع تمييزها، نغفات من أرض موحلة مكشوفة. وهناك طيور مائية أمثال الطائر أبو ملعقة (طائر مائي متفاره على شكل ملعقة) وطيور الحارس (طائر مائي طويل السافين والمنظار) وطيور السلشون الأبيض ومالك الحزين. بعضها رمادية اللون، وبعضها الآخر أرجوانية اللون. ولما سمعنا من بعيد صباح الور، أطلقنا كلاب الصيد، فاصطادت لنا عدداً من الور الذي كان يارتفاع وأطوى حذاءً فوق سنانات الأسل ورأينا النور العادية نحوم فوقنا.

بدأ هالح وداود يدفع المشحوف بواسطة المرادي من خلال نباتات الأسل بعد أن نزعا ثيابهما ولقهاها حزنًا بمصرهما.



كما تأمل الوصول إلى القلعة، عبر أن الطين الباس الممتد لعدة أميال جعلنا نفصل عن القلعة ونصير للطي يتكون من أرض مفتوحة واسعة يعبش عليها رعاة الأغنام من عشائر المستعك في خيامهم الموداء وسماهم فالح بـ «العرب».

ووعدي أن بأحدي إنيهم مرّة في فرصة أخرى فقال «راح يزور محسن بدر، فهو أعظمهم شأنًا وهو صديق والدي أحماء والدي لما كان الإنكليز يبحثون عنه أثم نسمع عن بدر».

لا يزال العرب يرددون القول «كريم مثل بدر». وابنه محسن مثل أبيه، عد إبننا لما يرتفع مسوب المياه، وقت البصان. راح يروح عنده». وعند العودة، أطلقت عدة عبارات نارية على طائر السحون (طائر مائي) أرجواني اللون والذي أخذني هالح بأن نحملها جهد للاكمل. وهذه الطيور نشبه طائر العائ من حيث الشكل والحجم



طارت هذه الطيور من بين
الفصص، وكانت ميفاتها الطويلة
تأرجح نحتها.

وفي فصل الصيف، نكور هذه
الطيور مع طيور البط الرخامية اللون
الوحيدة الملائمة للأكل.

وداود، الذي كان قليل الكلام،
سألني باستنحاء عما إذا يمكن أحده
معي إلى مدينة العمارة حيث يقع أموه
في سحها قال لي أحدم والذي شبح
أل عسى في صيكال. سعه في أحد

حلم العارس من عشيرة العرطوس



الأهام لبوفت ثلاثة أشخاص من عشيرة
الأزبرج من الذين يسبون القلائل. سألني
بخلدهم بالسباط. وبعد مدة، كنت في
صربه أحدهم على رأسه بالهراوة فسقط على الأرض معنى عليه.

ولما نشافي والذي حمل بدفنته وأخذ يبحث عنهم فلما لفي
الشخص الذي ضربه أطلق عليه النار فأرداه قتيلاً وبدلاً من أن يحميه
الشيخ - الله بلعنه، نراه يسلمه إلى الحكومة حكموا عليه بالسجن لمدة
عشر سنوات. ورجعت أنا ووالدتي عند حالي حاسم حتى يعيش عنده
حدث هذا قبل ست سنوات والآن أريد أن أشوف والذي.

كان داود صبياً غريب الأطوار، شوشاً اعتيادياً وثرثاراً، بغي صامناً
من حين لأخر وبنامل في هدوه ولما علم بأن جاسماً سيأتي معي ليري
أباه في سجن العمارة سزه ذلك وقال لي. «أنا بحب والدك كثيراً ولم
بشاهده منذ أن سجن وانقطع عن الكلام منذ يوم سجن والدك كما انقطع

عن الطعام أيضا لعدة ايام. وأخذ يتصرف في السنة الثانية تصرفاً عربياً لم يستطع أحد من الوفوف على كنه هذا التصرف، وأخذ يردد قائلاً (داود مبيت) كان علينا أن نأخذه إلى مرار مرارة Fuwada فل أن بنشافي».

وكل مساء، يجذف الرجال والنساء بمشاحيهم فاصدين مصيب جاسم فيتركون المشاحيف في المدخل ويأخذون أماكنهم حول حدار العرفة. وكنا نصي وقتنا في المرات الأولى في أحاديث شتى. في أحد الأيام افترج جاسم بأن نصي وقتنا بالعماء «إي والله بالعماء والرفص» قال الآخرون كلهم بصوت واحد. «حلونا بنوس هل اليوم. وبس حبال؟ اليوم رجع من مرد وبس الدناك؟ اليوم شوف الإيكليزي شلون المعدان بنوسون، روح فالح حب الدناك والطنورة. داود روح شوف حبال»

عاد فالح ومعه دريكنان وحلب الآخرون طيبورنبن هالدرايك مصوغة من الطين المعجور، شكيفة كالزهرية، طولها مقدار (١٨) عقدة وفطرها (٨) عقد في انطراف العريض، معلقة بحلدة رفبق. أما الطرف الثاني فهو مفتوح

وخبال هذا، الذي وصل لثوة، هو معمر فالح وداود، عثى عدة أعابي وكان فالح يثق على الدركة

انجذب الآخرون نحو الصوت، فحاهوا وهم يحدقون بمشاحيهم فاصدين المصيب.

وكانت العرفة مكنطة، في هذا الوقت، بالناس فازدادت امتلاء كان صوت خيال رخيماً جداً ويملك دجيرة من العماء، بعضها أعابي حفيفة نبعث على المرح والحدود وبعضها الآخر أعابي حريئة.

ثم شغل خيال وفالح وداود مع سنة أشخاص آخرين من الصبيان حلقة دائرية صغيرة. ودافعوا إلى داخل الحلقة صبيين نحيفين، عمريني المسطر وعمما بماسمان ويحتججان على هذا التصرف لأنه طلب منهما أن يرفصا.

كان هذان الصبيان أحويين فالأكبر بعمر (١٣) سنة تقريباً. وأخذ خيال أحد الدرباك وأحد فالح الآخر وبدأ بدقان برؤوس أصابعهما دفات سربعة ولباقع مثير وبدأ صبيان آحران يعرفان على الطسورة. أما النبة فبدأ كل واحد منهم مدق الأصبع ويصرب كعب قدمه الأيسر على الأرض.

بدأ الأخوان في السدابه بالدوران سطاء وبشكل متراخ، كانت حسماهما بنمايلان وأباديهما مرفوعتين إلى العرافق بمسنوى الكثف. ولما بدأ الإبطاع سربعاً، نذلت أذرعهما إلى الأسفل وبدأ حسماهما بتلويان ويدوران وأقدامهما تنحرك إلى الأمام بشكل سريع. بنحركات حاسباً وإلى الحلف أما الآخرون، فكانوا يعون بدون نحفظ

وصل الرفص إلى درونه ووقف الصبة فجاءت كانت أقدامهم متاعدة وأحسامهم تهتر نحو الأمام ونحو الخلف بنحركات سربعة متواصلة من حصورهم ثم بدأت التحركات تقل سرعة وأحسامهم نهتز عندما يمرر أحدهما عضلانه المنشحة على عضلات الآخر ثم نوقف الصبيان عن الرفص وابسما للحضور ثم جلسا

ولكن الحاصرين لم يتركوهما حالسب بل إنما ظلوا منهما أن يرفصا مرات عديدة وكانوا يعيرون الرفصه من شكل إلى آخر

وفي المساء، سيما كان الحاصرون يرنلون نرائيل ديبية، بدأوا يفلدون المسلمين في نأدية الصلاة بحيث قام أحد الصبة بحركات عربية غير مؤدة حلف الشخص الذي يفلد الصلاة.


نظرت نحو سبد كان قد اصططح ولديه الكبيرين حتى أخرى لهما عملية الحنن في الصباح، وكان الثلاثة يرنلون أفضل من عبرهم وكنت اعتدت على ملاحظة الناس الأكثر ندياً بين المسلمين.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

١٣ - العداوة في الأهوار

في مساء اليوم التالي، وبعد أن حيم الظلام، حلت أنا وداود في المصيف مع ستة أشخاص مرضى جاؤا إلينا حتى يأخذوا العلاج ثم يعودوا إلى بيوتهم دون أن يبينوا ما هي هذه الغربة. وبوسعي أن أرى من خلال المدخل، التبران التي يشعلونها لوقاية جدرانهم من العوص.

كانت أعمدة الدخان كثيفة  تدفع فوق سطح الماء وبدأ العوص بالظهور. وبما كامي أنظر في كل مرة مع كون مناس القصب فريفة، بأن البعوض قد يجعل هذا المكان خالياً من الساكنين فيه في فصل الصيف حتى وإن كانوا معدداً. كنت أسمع نفث الضفادع من بعد بارتفاع لطيف وما كنت أصعب إليه إلى هذا الوقت، غير أنه لما تغيرت النعمة وأصحت على ونيرة واحدة أنهت عدد ذلك إلى هذا النفث. ولما أحس الآخرون بأسى أصعب إلى نفث الضفادع قال داود «الحبة احتظمت إحدى الضفادع، نوحده أفاعي كثيرة حولينا، فتلنا أحداها من سفوف العرفة آخر مرة» واستمر النفث على هذه النعمة الجديدة لفترة طويلة.

وبعد سنين، كنت في نفس المصيف خلال الصيف، وحاولت أن أحرك الهواء قليلاً بمهفة من القصب كانت بيدي لكنني شعرت بشيء ما خلفي. كنت على وشك أن أصعب بيدي على الأرض، غير أن شيئاً عزيزياً حذرني بأن لا أفعل ذلك. فاستحييت إلى الأمام ومظرت إلى الأسفل

وشاهدت حبة، لونها باهت، طولها قدمان قصر منها بالمقفة على رأسها فأرديتها فنيلة. نكث الأفاعي في فصل الصيف، ويؤكد المعدان أن أكثرها سموماً الأنواع التي يسمونها بالعربيد وهو بطول أربعة أقدام تقريباً وله جسم ثخين، لونه أسود يميل إلى اللون الأحمر الفاتح.

صادفت مرة واحدة لسع الحبة حبيماً كنت في حبوب العراف حدث هذا في شهر رمضان، شهر الصيام الذي حل في فصل الصيف وكنت قد وصلت القرية نوأ. كان أحد الرجال قد نوى على الذهاب إلى الكبيش ومعه إبنته البالغة من العمر (١٤) سنة لبيع الحن الذي يصعونه محلياً ولكي يتجنبوا الحرارة نهائياً أرادوا الذهاب قبل الفجر، وحبيما هممت الفناء بوضع قدميها داخل المشحوف داسيت على الحبة التي كانت نائمة في المشحوف فلدعتها في الحال. ماتت الفناء خلال نصف ساعة ورأيت لون وجهها قد تغير إلى السواد تقريباً. ونظروا الحفة تدفق الدم الأسود من فيها وأنها.



ويعتقد المعدان اعتقاداً خاطئاً أن حبوب حوشين محببين، هما، الحميش والأفة كما لو أنه لا توجد أفاعي حنقية كافية. والوحش الأول، بشنهر بأن له جلدأ يكسوه الشعر والأحر له سافان. ويقال بأن كلا الوحشين يسكنان في أعماق الأهوار وهما وحشان قاتلان.

وبعد أن رفع هالنج طعام العشاء، دخل المصيف رجل ذو وجه نحيب، طويل القامة، بذه اليسرى ملفوفة بحرفة مبللة بالدم. وكان قد جرح بذه حرجاً عميقاً حبيماً كان يجمع النصب.

كانت عبناه بلون الكهرمان الأسود، بسم مطهره عن هيئة شريبر، جاء إلى هذه القرية من فنية وهي قرية كبيرة من قرى عشيرة العرطوس، تبعد مقدار مسيرة ساعتين عن سيكال.

كانت عشيرة آل عيسى، تلك العشيرة التي تربي الأغنام والتي مكثت

أنا ورمبلي المسنن دو كالد سنوارت في خيامهم المصنوعة على حافة الصحراء. المسبطرة على فربة سبكال من صل. وهي فربة واسعة، حولها أراضي غنية، واسعة، نشتهر بزراعة الثلب

ومن هذا المكان احتلت عشيرة آل عيسى فربة فبية وثنت فيها حصاً صعبراً من الطين وصعت فيها فوة فبفت إلى أن ثارت عليها عشيرة الفرطوس الساكنة في فبية وأسردت الفربة منها.

ونشاء الصدف أن أمر أنا ورمبلي دو كالد في هذه الفربة بسرعة بعد مضي سنة على ثورنهم صد تلك العشيرة. وكان الحدامون من آل عيسى، يحملون ننادفهم وهي حاهرة للاستعمال ولا ينادلون النحابا مع القروبين لأن هالك عداوة دم معهم

ولما عرفت أن الرجل الذي  حروحه في مصيف حاسم هو أحد رؤساء المتعربين بدأت أسأله حول المعركة التي دارت بينهم فأحاسي وهو في غاية الحماس «آل عيسى ما بينهم حتى نزل المكان ما هم معدان بل رعاة أعنام من الصحراء. فبفة فبفت في الأهوار نعود إلى عشيرة الفرطوس. آباؤنا سوا الدس فيها ومن اليوم التي استولى فيه شيوخ آل عيسى على فبية ما حلت من الفلافل معظمنا ترك الفربة وشيدنا دورنا في مكان آخر. لبش نطرد من بوننا؟»

فقال أحد الأشخاص الحاضرين «إني والله لبش نطرد من مكاننا؟ الله بلعن آل عيسى»

ثم استطرد فائلاً (ولهذا السب فربا أن مثانلهم. طوفنا الحصن ليلة الثاني عشر من شهر قُصبر QUSHR، وبعد ثلاث ساعات من معب الشمس مرع الثمر فأنار بأواره الفضبة المطفة بأسرها كنا نعرف أن في الحصن ستة أشخاص وفيها رثنهم ائدعو فليح أرسلنا إليهم الرائر علي العجور لئحبرهم بأن يستسلموا، لكنهم أنوا وصاحوا فائلبس لنا أنتم المعدان،

كلاب أولاد كلاب، إذا نفرتم سوف غنلكم. وعند ذاك هجمنا عليهم من جميع الجهات مشاحيها ونحر صبح صرخة المعركة (أنا أحو علها)).

ونظرت في هذا الوقت إلى المستمعين فوجدتهم قد أمالوا أحسامهم إلى الأمام مأخوذين بسحر حكاية الحرب العنيفة، ولا بد أن معظمهم قد سمعها عشرات المرات

وواصل سرد المعركة فقال [كان عندهم رشاشه. أخذت الإطلاقات ننسافط كالطر ونفطع القصب. والحمد لله. كان العدد الذي يطلق النار رامي عبر حيد وإلا كان الكثير ما سبقتل في تلك الليلة. ففرنا من مشاحيها وهجمنا على الحصن. وكنا قد قتلنا منهم رجلين بسادفنا فل دخولنا الحصن. ثم قتلنا رجلين آخرين محتاجرنا. أصبحنا مردحمين داخل الحصن عندما أطلق الرحلان المانيان من آل عيسى إطلاقات من حلال أرضية العروة النحتانية وأصاب أمه أخيه حالنا. صاح المجروح «أصابوني من فوق»، أطلقنا النار نحو السقف وقتلنا الآخر. بقي فليح وحده حباً. صحننا عليه بأن يستسلم. لكنهم رفضوا، إنه رجل شجاع في الحقيقة نسلق بعض الرجال من أتباعنا الدرع قرمانهم وقتل شخصين منهم وكانا أحوه، ثم صاح صيحة المعركة وقفز من السقف، لكنه سقط على الأرض بعد أن أصبح جسمه كالعربال من رصاصاتنا، كان ابنه الصغير معه فطلب منا الرحمة فمحاها له، إنه لا يستحق الموت، إنه الآن في سبكال مع شيوخ آل عيسى. قُتل اثنا عشر رجلاً من عشيرة الرطوس في هذه المعركة].

ولما توقف عن سرد الحكاية، فمر فالح من بين الحلوس وأخذ بضرب الأرض بقدميه ويشد ويقول

بما أم كرتيم لا ننسوحني كرتيم وكح بمرز المعركة،

وما هي إلا لحظات حتى نهض الجميع وأخذوا بدورهم على شكل حلفة وبصريون الأرض بأفئادهم ويرددون تلك الكلمات التي قالها فالح.

حرح فالح ثم عاد ومعه سنفية وبدأ بإطلاق عدة عبارات نارية منقطعاً بانجاء السفف فشاركهم في حماسهم هذا وأطلقت عشر اطلاقات من سندفيني. واندفع أناس آخرون إلى العرفة فأزاد هدير الأصوات وعلا الصراخ. وأخيراً، توقفوا بعد أن أعياهم التعب وأنهك قواهم.

سألهم من هو كريم فأجابوا بأنه هو الشخص الذي قُتل أثناء قيادة الهجوم على الحصن. وبعد ثلاث سوات، ذهبت إلى السر الرئيس ومكثت لدى آل عيسى. وعند غروب الشمس شاهدت الهلال، وهذا معناه بداية شهر حديد بطول شهر رمضان.

وفي اليوم التالي، نَحَمَ أفراد العشيرة المبعثرون ليعلموا ولاهم لشبختهم ويتناولوا طعام الوليمة في خيمة الصيوف الكبيرة.

بدأ الرجال يتقاطرون منذ وقت الفجر من السهل عبر الصحراء بعضهم على ظهور الحبل وبعضهم الآخر . وكل جماعة لها علم فرمري خاص بها.

وبعد أن نجموا، بدأوا ~~بالتحريك~~ ^{بالتحريك} الحبل. بعضهم بهمم والآخرون بصدون الهجوم. بينما كان المشاة قد شكلوا حلقة وبدأوا بدورون وبصرون الأرض بأقدامهم ويطلقون النار من سادفهم وهم يشدون.

«راح نرجع للماي المكشوف راح ضروح ومجيب وبانا فليبح»
ونذكرت هذه اللبلة فصدة موت فليبح على يد أحد رجال عشيرة المرطوس.

وفي وقت مبكر من صباح اليوم الثاني ودعت حاسماً. جاء معي داود ومعه شخصان من إتباع حاسم، بحملات السنفية، سلكنا طريقاً ضيقاً بين القصب العالي، لأن المياه مسدودة بسبب السانات المانية والأعشاب الأخرى المتشابكة والتي كانت نذو للعبان كأنه طريق مكسو بالطحلب.

لقي الحذافون صعوبة ومشقة حتى بصعوا المرادي على المشحوف
وبدعوه من خلال هذه الثبانات المتشاكّة

وفي هذا الوقت مررنا بقربة فيسفة فوجدناها قربة واسعة تحتوي على
(٣٠٠) بيت ثم وصلنا إلى المحرى الصمبر ثلثيرة. ونفع حلقها حقول
الثلث على الصواحي الغربية لقربة سبكال. ونفع البحيرة على شرق القربة
وهي بعرض (٣ - ٤) ميل ونفصل الأهوار عن البر الرئيسي.

وفي هذا الوقت من السنة، تمتد البحيرة إلى مسافة (١٥) ميلاً تقريباً
نحو أراضي عشيرة الأزيج وتتصل هذه البحيرة بعدد من ارتفاع مسوب
المياه بسبب الغصان بالأراضي المعمورة بالمياه فتعطي معظم أجزاء
الصحراء

وحدث قربة سبكال أكبر الفرق بين شاهدها إلى الآن. سر من بينها
محرى ماء عريض فيقسمها إلى قسمين وعلى كل الجانبين من كل قسم
شريط ضيق من أرض يأسف عليها عدد من المصايف والدكاكين علاوة على
(٤٠٠ - ٥٠٠) بيت مبي على طرفيها فوق الدس وهناك
حصن مبي من الطابوق يسيطر على المدخل الشرقي للقربة.

أقام هذا الحصن آل عيسى على عجل حبسا أخذت عشيرة التومحمد
تهدد القربة. وبإمكانك أن ترى الشقوق على أسواره وعلى الجهة
المفادلة، على الساحل الجنوبي، ساية ذات سطح مسنوي مبي بالطابوق،
عابثهم منها الدفاع عن القربة عند شوب الخنّال. ونرى عدداً من العرف
متبة حول ساحة صغيرة وعلى بعد (٣٠) بارداً، فوق لسان الأرض اليابسة
الممتدة نحو البحيرة ينصب مصيف فاخر فيه (١١) فوساً. وكلاهما يعودان
إلى عبد الله عم الشيخ فريد ومثله في سبكال. أما الشيخ فريد نفسه فإنه
يعيش في البر الرئيسي مع أسرته وأتباعه. وأما بقية المساكن في القربة فإنها
تعود إلى بعض أفراد أسرة الشيخ فريد وأناسهم ومعهم أفراد ينسبون إلى

عشيرة القرطوس وعشيرة الشعابا كما بنواحد فيها عدد قليل من عشيرة المومحمد والأزيرج. كان عبد الله خارج القرية في هذا الوقت، ولكن إنه طاهر كان في البيت، وهو صبي متبال إلى الصداقة، بلغ من العمر (١٦) سنة وينحلي صفات عرب الصحراء الحسة.

أخذني إلى المصيف، فوجدت فيه عدداً من الرجال المسلحين وهم حلوس وقد لفقوا العصابات السوداء حول أنفسهم وهؤلاء من أنباغ آل عيسى جاءوا لفرص الريارة من البر الرئيس من الصحراء. وبعد أن شرب الشحصان اللذان من أنباغ حاسم الرشعات المعهودة من القهوة عادا إلى قربتهما العوبدية لأنهما من عشيرة القرطوس وبكرها، آل عيسى كرهاً شديداً.

أما داود فإنه كان في مأمن مع الكفابة في ميكال، طالما والده المدعو هاشم لا ينمي إلى عشيرة القرطوس بل إما ينمي إلى عشيرة الحارة Jara، وهي عشيرة صغيرة، ضعيفة، موجودة على شكل مشي وثلاث من قرى الأهوار. أما إذا عر عشيرة الأزيرج فإنه سيكون في خطر لأن أباه هاشم قد قتل أحد أفرادها

والآن، وبعد أن شعر عبد الله بأنه بقوه مقام والده، جلس ساكناً لا يلبس بنت شعة بعث بحبات المسحفة ولا يستحب إلى محاولات طاهر الذي يحثه بأن يتبع نهجاً يسم عن الصداقة

أنهى هاشم محكوميته وأطلق سراحه من السجن وعاد إلى قرية العوبدية ليستقر فيها وبدأت أعرف إليه. فوجدته من أهم الشخصيات الحذابة التي صادفها بين المعدان. عمره (٤٠) سنة، إلا أنه يبدو أكبر من هذا العمر بكثير، لأن السنوات العشرة التي أمضاها في السجن قد وحطت الشيب في رأسه وجففت وجهه. وهو على الرغم من كونه فقير الحال ومعدماً فإنه كان يلبس كثيراً على أن بصيصي. أعلمني بالشيء الكثير عن المعدان، وعن عاداتهم.

كان لا يزال منوطاً في العداوة مع الأبرج، لأن المدة التي بفضيها
المرء في السجن لا تجعله يقطع عن القيام بالقتل كما يرى ذلك كل فرد من
أفراد العشيرة بل إنما يرون أن القتل لا يمكن نسوبته إلا بقتل آخر أو بدفع
الدية

كانت العشيرة التي ينتمي إليها هاشم قليلة العدد جداً ومنشرة في
أماكن عديدة يصعب جمع المال منها لدفعها كدية إذا ما أرادت عشيرة
الأبرج قبولها.

وعلى أية حال، إنه في أمان تماماً من الانتقام ما دام يعيش الآن بين
عشيرة الفرطوس في قرية العويدية ولكن، من سوء حظه حثوه على ترك
القرية وفي الوقت الذي كان فيه هاشم يمضي محكومته في السجن كان
أخوه زوجته المدعو حاسم قد رُوحَ إليه هاشم إلى أحد أفراد عشيرة
البومحمد وأخذ مهرأ قدره (٧٥) ديناراً وصرف حاسم، كما هي العادة
المنبعة بينهم، فسمّاً من الفروع لآراء من علمات العرس لنحملها العروس
إلى بيتها الجديد. ولما خرج هاشم من السجن طلب نفيه المبلغ من حاسم
الذي ادعى أنه صرفه لأعاشة عائلته بعدما عاشت في داره.

وفي هذه الحالة، وفقاً للعرف العشائري، بإمكان الوالد أن يعبد ابنه
المتزوج إلى ابنه حتى إن كان ذلك صد رعات ابنه وحتى إن ررفت طغلاً
من روجها وعلى الوالد، في مثل هذه الحالة، أن يعبد المهر كاملاً إلى
الروح

مارس هاشم هذا الحق على الرغم من أن ابنه قد ررفت يظلم.
وجاء الزوج إلى هاشم بطاله بالمهر فأحابه بأن يأخذها من حاسم. ولما
لم يحصل الزوج على أي شيء من حاسم أقام الدعوى ضد هاشم في
الدوائر الحكومية.

بعثت الحكومة بشرطيين لحلب هاشم إلى مدينة العمارة لإجراء
التحقيق معه. وكان هذان الشرطيان من عشيرة الأبرج - ولا ندري إذا كان

هذا من سوء حظه ام أن الأمر مذبذب. وخصوصاً أن أسرة الفئيل حكمت بأن يكون طريقه من أراضيتهم.

وحينما علم هاشم بالطريق الذي سبيلكه اتح بحسنة ورفض سلوك هذا الطريق، لكنه استسلم للأمر الواقع بعد أن أكد له الشرطيان بأن لهما واجباً يجب إنجازه في هذا الطريق وأنه سيكون في مأمن تماماً طالما هو في معيتهما

توقفوا في السوق الطويل، ونزلوا من الرورق وتناولوا العشاء في مركز الشرطة، ولما حرحوا حتى بواصلوا السير وحدوا الجماهير فد احتشدت أمام مركز الشرطة.

نقدم في هذه الأثناء أحو الفئيل نحو هاشم حاملاً مسدسه الذي استعاره من الشيخ وأطلق النار عليه فأصابه في صدره. وسحب هاشم حصره ليحم على من أطلق النار إلا أنه هاجم ونظارت الشرطة بالمطاردة ونعقت الجاني. أما هاشم ففي ميديا على الأرض، نزف من الدماء إلى أن مات ولم يقرب منه أحد

عادت الشرطة بعد ساعة ونقلته إلى المركز وكان لا يزال بحسنة بوعه فانهمم بفنله وفارق الحياة بعد ذلك

رأيت داود بعد سنة أشهر من مقتل والده وجدته قد اشترى مسدساً كان بطلق لوحده إلى أراضي الأرياح حتى يجد عريته الذي قتل والده.

كان داود شخصاً موفوراً، وبدو أن الصدمة قد أثرت عليه فأصبح مرنيكاً، وحاولت أن أثبه عن عرمة، وأمعه من الذهب وحبداً إلا أنه كان عنيداً يرفض محاولاتي ويقول كلمات لا معنى لها مثل «داود مات فل عشر سنوات».

لم أشاهده مرة أخرى أبداً.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

١٤ - العودة إلى قباب

أخذي طاهر بطرادة إلى البحيرة عند العصر، فنحولنا بين الماطن المحبطة بنا ونمنعنا بماطر خلافة، ندخل الهجة والسرور إلى المص، ويعمله هذا برهن طاهر على أنه رفيق قابل للاستحسان

كان يصطحب معه صبياً صغيراً  هادي الطباع، عادته حسنة، برندي عاءة مطررة بحبوط ذهبية وحسبت في الدابة أنه من أقارب طاهر، ولكن عرفت فيما بعد بأنه ابن فليح. وهذا الصبي هو نفسه الذي كان مع والده حينما قُتل في المعركة في قرية قبة.

عدنا إلى المصيف عند العسق، ولما دخلته، شاهدت مجموعة من الحفافيش (الوطواط) تطير وهي حارحة من الفربة بانحاء الأهوار. يبدو أن هذه الحفافيش نحتفي في سقف المصيف فننسخ العرفة من فصلانها المنسافطة. وأن وجود العصافير داخل السقف بسبب ازعاجاً ويحدث أضراراً لأنها تمرق رباطات الفصب حول الأطواق. لكنني، ما اكتشفت أبداً لماذا وكيف تفعل هذا.

وفي السنة الثانية، حينما حنت إلى هذه القرية، حلثت معي بدفبة هواء مضغوط من إنكلترا وهي من الأسلحة المستعملة للنسلية واللعب وأرنيهم كيف أنها لعبة معقدة مع الأشخاص العرباء الذين اعتادوا المحي إلى المصيف. ولما أحرحتها نجمع حولي الرجال وبهم المسون لبحريوا



مسلكن للمعدن من قرية فدا

الرمي بها. ويوسع المرء أن يحصل على علاقة طيبة مع غيره إذا ساعدتهم على قتل شيء ما.

وفي الصباح الباكر من اليوم الثاني خرجت مع داود لنذهب إلى قرية العكار. ولما بدأنا نحذف عبر التربة تحت الماء الفضية، شاهدنا طيوراً مائية رمادية اللون، نشه العنقاء في تفرع نقيها على الماء اللثامه كما شاهدنا عدداً من الطء، نجمع حتى نبدأ بالهجرة الربعية فطارت عندما افترنا منها

ووراءنا، في قرية سبكال، كانت المشاحيف تسير سطر ويدون أن تحدث أي صوت بين البيوت التي أسنقط ساكنوها وكلما انعدنا كنا نشعر وكأن القرية تغوص في الأقب.

واصلنا السير إلى أن لاح لعبتنا مصيب عبد الله وعرفنا مكانه. إذاً، نحن خلف عالم الأهوار المسدود حيث تنمو نباتات الفصيص الجديدة، ترتفع في سموها خلال الأيام القليلة القادمة فنصيح عالبة بين النباتات القديمة.

وبعد مصي ساعين وصلنا فحأة إلى مياه مفتوحة، رأينا في وسطها

جزيرتين نابعتين لفرية العكار. فالجربة الكبيرة تعود إلى الشغبنا. فيها ما يقرب من (٢٥٠) بيتاً، متراسة ومنقارة بعضها من بعض بحيث لا يمكن رؤية أي جزء من الحرية.

أما الحرية الصغيرة فإنها تعد مقدار (١٠٠) بارد، فيها ثلاثون بيتاً وهي تعود إلى بعض أهالي اليومحمد. وتدين كلتا الجزيرتين بالولاء للشيخ محيد الخليفة نزلنا إلى الشاطيء، وواصلنا سيرنا، فاحتزنا حاحراً واطيء الارتفاع مؤلفاً من كومة من الأسفل المشنع بالماء. ثم دخلنا الربعة فرتب بنا رجل يدعى يوس.


كانت الربعة واسعة. وأما يوس فإنه رجل محبل الجسم، ذكي، ذو وجه نفي، تظهر عليه علامات الصداقة ولو أنه متحفظ الطبيعة.

كانت العرفة مردحة بالحالين، جلس في صدر العرفة رجل سبد حاء من الفقرة. فانتهر المردة حينما بيده حجم المال لعرض ناه جامع في الفقرة على ما يبدو ظاهرياً فأخذ يحذر مستمعاً ويذخرهم بوم الضامة، بوم الحساب وأنه بوم قريب. وإني أتفكر في أنهم لم يستطعوا أن ينفذوا أنفسهم من الدنوب التي ارتكبوها بسماحهم لشخص كافر بدخل بيوتهم وبدنسها. كنت أشعر أنه مسيء من وجودي هنا، أما يوس الذي كان يعدّ القهوة فإنه نفي صامتاً. وعندما أصبحت القهوة حارة، بهض والدلة بيده والتفت نحو السيد وقال «أنا شخص معيدي بسيط، ما أعرف من أمور الدين شيء، لكن، دائماً أشوف الإنكليز هم ناس أصفى منا فلما بكثير. بعض الناس إلتفوا وباهم. وكلنا سمعنا عنهم من اليوم اللي حكموا هذه الأرض من بعد طرد الأتراك. هم ناس ما يكذبون، ولا يأحدون الرشوة، ولا يصطهدون الفقراء. ونحس المسلمون، كما نعرفون، بفعل كل هذه الأشياء. وهل حقي ماله علاقة بالموضوع فهذا الإنكليزي هو صليبي. مرحباً يا صاحب موحياً كلامه إليّ ثم واصل حديثه قائلاً «في بيني يشرب الضيوف من نفس الصنجان. هاي هي عادتي، وكلمن ما بعجه مثل

هذا العمل خلّي بنعد عبي ثم حاء نحو المكان الذي آجلس فيه وأعطاني
مجان قهوة في الفجان الوحيد الذي بيده ولما اكتببت صت القهوة في
الفجان وأعطاه إلى الشخص الثامي وهكذا حتى شرب الجميع ما عدا
السبد.

ومن بعد هذه الحادثة، حاء سبد من العكار ودخل العرفة. وهو رجل
مكين، أمضى معظم حياته في قطع الفصص علماً لحواميسه القليلة العدد،
وهو يشبه المعدان الآخرين المعدمين، لكنه يتميز عنهم بوجود قطعة خضراء
من الفماش على رأسه

جلس بحائي، واستعسر عن أحوالي عدة مرات وأظن أنه كان قد
سمع عن تصرف رميله السبد الآخر ويريد ناشياق أن يصلح ذلك التصرف

وبعد تناول العشاء قال ليوس:  فأسمع بأن الصاحب بحب العاء
والرفص، استحووا لي أن أراوياً شلوا برفص الناس في الحجار، أرض
أحدادي». فأدى رفصه فاحرة كان سبور فيها على قدم واحدة وهذه
الرفصة تختلف تماماً عن رفصة التي تعلمون بها

إنني معجب جداً ومعزم بالإباءة، لذلك كنت أحد متعة ولدة حينما
يرفصون. وأعقد أن ذلك السبد هو الشخص الوحيد الذي كان قطعاً معي،
على الرغم من أنني كنت أنفي بأناس كثيرين فأجد أكثرهم منحفطين حينما
أنفي بهم لأول مرة ولكنه يتحلون عن هذا التحفظ بمرور الوقت حتى
أصبح عدد منهم من أقرب أصدقائي. وكثيراً ما كنت أعالج نساء بعض
الشخصيات البارزة وأولادهم كما كنت أحرى عملية الحنا. وكانوا ينمون
أن يجربها لهم شخص مسلم

وفي صباح اليوم التالي، إفتح بوس بأن تخرج على حفلة العرس في
ربعة واسعة نفع بالرفص، حاءوا به من المحر. وكما سمع في بعض
الأوقات من مكان بعيد أصوات العاء والضرب على الدراك.

كان هذا الصبي يرتدي ثوباً سائياً فرمزي اللون، فيه حبوط نحاسي
 اللآلئ، يضع في أذنيه أفراساً ذهبية، مشط شعره وعطره ورنّبه بحيث
 جعله يندلى على كتفه. أما صدره فقد حشّ بحيث يظهر كالسهدين وزَيْن
 وجهه بالمكياج، فظهر كأنه فتاة فتاة الحسن وأحد يتصرف بتكلف بأسلوب
 المرأة. ووحدته بجيد الرقص نماماً. استعمل روحان من الصنع في كل
 يد، وهذه هي علامة الرافض المحنرف، لأسى لم أرَ أيَّ شخص آخر في
 القرية يستخدم الصبح والغريب أن إيماءاته كانت عبر مثيرة على عكس
 إيماءات الصبية الآخرين في قرية العوبدية، وكانت أكثر رفصانهم أشبه
 بعرض حائري من نوع رافي والتعليقات التي سمعتها كثيراً عنه جعلتني
 على يقين من أنه بزع موعة أخرى



قرية قصاب - الحمامس تهجع من وقت الظهيرة

لا توجد بين العشائر ساء منحدرات أو من موع آخر. ولا يحناح
 المرء إلا لشيء قليل من الإثبات حتى يدين الحناء تنهمة تبقي نلارمها. أو
 أن مجرد إشاعة هي كافية لهذا العرص وتناول الفتل على يد أسرنها بدون
 رحمة أو شفقة وذلك حتى نسنرد تلك الأسرة شرهها سمحوها العار الذي

لحق بها، ويتنفل واجب نعبذ الغل إلى أخيها والذي لا يمكنه نخلصها إذا ما أراد الفاء بين عشيرته.

لا يستطيع الصبي أن ينام مع الفناء أو حتى لا يستطيع ملاطفتها إلى أن ينزوحها.

فالصبي الذي ينزياً مزي فناء هو السيء المحضرف في المدبنة والمعدان بصفونه بذلك. ولكسي ما سمعهم ألدأ بناسحون باللواط، لا نظرياً ولا بإشارة خاصة لأي رجل أو ولد في مجتمعهم.

وبعد انتهاء الرقص أحذي بوس إلى ساحة حيث نعيد رورقه. ولا ندوم عملية التحدث ووضع العار طويلاً حيث لا نتجاوز السنة الواحدة ثم نبدأ الشفوق بالظهور على هبكل الزورق لذلك بسحونها إلى خارج الماء.



يمكن سد هذه الشفوق بصورة مؤقتة تسخين الفير بالفصص. وبؤكد لنا المعدان على الدوام من ~~أرض العطفة القبرية~~ التي نوصع في جو بارد لا ندوم طويلاً بقدر ما ندوم العطفة القبرية التي نوصع في فصل الصيف.

رأيت داخل السباح أو الحاجر الفصبي عدداً من الزوارق شحبت من العباء لتجديدها فكانت إحداها مقلوبة وقد انتهى الصبيان الصغار وربعة من عملية وصع الفار في الضرع والحواب

رأيت الساحة كلها مبروشة بقطع من ألواح الخشب ويزوارق مهمشة نفوح منها رائحة الفار الحار.

صاح أحد الصبيان قائلاً: «علي بوس هنا». فخرج رجل محوز، برندي دشداشة قدرة، من أحد البوت. فسأله بوس: «هل انتهيت من عمل زورقي؟» فأجاب علي قائلاً: «لا لم أنه بعد من العمل. راح بخلص معد شوية الفروخ على وشك أن بفشروها» ثم فرش حصيرة قبالة جدار

بيته وقال: «اجلسوا، ارتاحوا إلى أن تنتهي من العمل». ثم نادى على أحد الصبية وقال له «حسن، إني. روح وقل لهم حلّي بسوون شاي». فلت له بأننا شربنا الشاي لنونا في بيت بوس وشربنا منه الكثير عند مشاهدتنا للرقص. لكنه أصرّ وقال «ما بحالف. إشربوا بعد». ثم ذهب لمحض الزورق.

كانت الألواح الحشبية المكشوفة مليئة بالثفوب والشقوق. فأخذ يختار من القطع الصغيرة المعثرة على الأرض قطعاً يرفع بها بحث يجعلها تتلاءم مع الثفوب والشقوق ثم يشبها بالمسمار. ثم سكب الصبي الأكبر الفار المعلي بواسطة المحرقة في فعر الزورق ثم أخذ علي بعرشها بسمك ربع عقدة. ولما انتهى من عمله، بدأ الزورق للعيان كأنه زورق حديد، أسود اللون، ناعم الملمس ولمّاع

حاه علي وحلس بحاننا وأجعل مجارة وقال «انظر شوبه حتى نأخذ الزورق معك» ثم بعث حسن ليأتي بالمعداد. وكنت قد لاحظت أن جميع الزوارق ترسو ليلاً بعيداً عن كل شيء وعلى بعد مائة يارد في الهور، فسألت عن السب فقبل لي حتى نفى سالمة لعدم وصول الحواميس إليها وتأكل الفار - هذه عادة ننع في بعض القرى وليس في كل قرية.

ولهذا السب، يستفسر المعدان حينما يصلون إلى قرية غريبة عما إذا كانت الجواميس تأكل الفار أم لا. كانت سمعة حواميس العكار سيئة من هذه الناحية. وكما قال لي من أن الفار بأنهم من مدينة هيت الواقعة على نهر الفرات والفرية من معداد. ولما كنت في هذه المدينة في إحدى المرات، شاهدت الرك الصغيرة من الفير حيث تظهر المغارات المذابة منه لتخرج إلى الأرض. وبعد أن نبرد، تُرسل على شكل قطع صلبة إلى المكان المطلوب وهي أشبه بقطع الحصص المنكسرة المفروسة على سطح الطريق.



صدي من عشيرة العريجات من قرية فباب

لا توجد أخشاب صالحة
للزوارق في جنوب العراق. ويفصل
صانعو الزوارق حشب شجر الترت
يجلسونها من كردستان ليصنعوا منها
أضلاع الزورق. وأما الألواح الخشبية
المستعملة في صناعة الزورق فهي من
الخشب المستورد من خارج الوطن.
وهالك صناع محترفون. مهرة، مثل
علي في كثير من القرى الكبيرة في
الأهوار وحولها. وفي الهوير الواقعة
على نهر الفرات، والتي تسعد عدة

أعمال أسهل قرية الكبش، مولي الناس كلهم اهتمامهم لهذه الصناعة فلا
يصنعون الزوارق فقط بل إنما يصنعون القوارب الكبيرة ذات الصاريين.
فالحاج حميد الذي يسكن هناك أكثر شهرة في هذه الصناعة



وطرافاته التي تصنعها ~~تسمى~~ ^{تسمى} على علم في كل هذا الحرف
من القسم الحوي من العراق ولكن هناك عدد قليل من الناس ذوو صناعة
جيدة نظرياً ومشهورة. وبإمكان المعدان معرفة الشخص الذي صنع هذه
الطرادة حالما ينظرون إليها.

إن سكان الهوير هم جميعاً مسلمون، ولكن في أماكن أخرى تجد
معظم صانعي الزوارق من الصابئة

ولو أن الصابئة جاء ذكرهم ثلاث مرات في القرآن مع الصاري
واليهود بأنهم من أهل الكتاب فيهم نعرفون باسم الصئة وهم محترفون
بشكل عام. ولا يأكل أي مسلم أو بشرت معهم. ودبهم بمعهم من نتر
أي عضو من جسمهم، ولذلك فهم لا يحرون عملية الختان. ويمكن
تمييزهم من لحاهم الكبيرة ومن كوفتهم ذات الترابيع الحمراء والبيضاء

هنالك عدة آلاف من الصائنة، معظمهم يسكنون بغداد والمصرة وسوق الشيوخ والعمارة حيث يشتهرون في هذه الأماكن بالصناعات الفضة. ونعشر أسر معروفة في قرى إسلامية تقع حول الأهوار. وأن البط الذي يتواجد في المراعي علامة على وجودهم، لأن المسلمين، لأسباب لا نحصى، يأكلون البط الري ولا يأكلون البط الداحس.

بمارس الصائنة التعميد، فيعطسون في الماء كل يوم أحد وعندما يصهم الدس وإلا فإنهم يحرقون فواوين طهارتهم الذهبية. ولهذا السبب يعرفهم الأوروبيون الذين لا يحفلونهم بأنهم مثل مسيحي سانت جون

وفي الحقيقة هم وثنيون ولو أنهم يعتقدون الله ويشتمل دينهم، كما أفهمه، على مبادئ من المذهب الآثني وليس على مبادئ إسلامية وإن لعنهم الشعائرية هي اللغة الآرامية




وفي الأهوار، يضع الأطفال الطرائق الصغيرة في حرم من سات مائي يسمى عشة البرك وبحولها تكتظ في شكل سمية ويحرقون حول القرية يمثل هذه الصناعات البدائية (راجع الألواح من ٤٦ - ٤٩).

وشاهدت مرة نوعاً من الفارب صعر ممنوع يسمى ريمة على فرع من نهر الفرات تحت سوق الشيوخ. وهذا الفارب مصوغ من الفصص ومطلي من الخارج بالفضة، طوله (١٠) أقدام تقريباً وعرضه في أوسع مكان قدمان ونصف وقال لي صاحب الفارب بأن الريمة تدوم لمدة سنة فقط لأنه لا يمكن تحديد طفلة الفارب وبين لي كيف يصنعون هذا الفارب عمل أولاً ست زرمات محكمة الربط من الفصص، كل زرمة مؤلفة من (٥ - ٦) فصصات. وطول كل قصبة أطول من الفارب المزمع صنعه. ثم يربطها بأحكام سوية بحيث يصنع الواحدة بجانب الأخرى حتى تشكل عارضة الفارب الرئيسية. ويترك مقدار (١٨) عقدة سائنة من كلا الطرفين حيث يثبتها إلى الأعلى ثم تثنى خمسة عبادان طويلة من الفصص على شكل الحرف

(U) في مكان يقع بعد منتصف القارب وبين النهايات السائبة من العارضة ثم ربطها مرة أخرى بالعارضة نفسها. بكرر هذه العملية من كلا النهايتين بالتعاقب إلى أن بنى جوانب ونهايات هيكل القارب.

وبقوي هذا الهيكل يربط عدد من الأضلاع المعمولة من غصنين أو ثلاثة من شجر الصمغ. ثم يصنع على طول نطق القارب حزاماً من عدد قليل من الفصص، بثت الواحدة تحت الأخرى. ويعطي النصف العلوي للأضلاع وبشكل الألواح الداخلية.

وأخيراً يُدخل ثلاث عصي قوية عبر القارب بالعرض ويصبط نهاياتها في مكان ويضع عليها مفداراً كبيراً من القبر. نصيح الريمة الآن حاهرة للطلاب من الخارج بالقبر. وهي الوقت الحاضر، بملك حتى أفقر المعدن فوارب خشبية ولكن في الماضي كانت المواصلات محفوفة بالأخطار ومن الصعب الحصول على الخشب لذلك استخدم الكثيرون مثل هذا النوع من القارب. ويسمون القارب المشكل - (الفعة) وهي شائعة الاستعمال حول مدينة بغداد  من أمد مكان تحت مدينة الكوت، بالقرب من شبح سعد.

ومن قرية العكار قررت العودة إلى فباب، حيث بمكسي منها أن أبعث داود حتى بحير عماره بقدمي.

رافضا اثنان من أبناء أخوة بوس أحدكم بجرف القارب بطريقة غير متقنة كلما يدفعها بحيث يندفع الماء من الحواب وسري حينما سمعت الآخر يسأله باسمهزاء «هل أنت عربي؟». هل أنت كردي؟ بقصد صمناً أنه لبس بالتأكيد معيدياً.

وكان طريقنا يقع بين مناسن الفصص الكثيفة طوال سيرنا إلى «أبومفيقات» وبعد أن شرعنا بالحركة صادفنا عائلة كانت بكاملها في حالة تنفل. فشاهدت صبن بحثان سنة حواميس على السبر، وهما يسيران وراء

البلم الذي كان بجذفه رجل أكبر منهما ومعه صبي آخر ويصبح صبحات حتى بحث الحيوانات السائحة على الحركة وكانت تجلس في مؤخرة الغارب امرأة ومعها ثلاثة أطفال، أحدهم عازي الجسم وحول رقبته باقة فضة ومعهم عجلان من عحول الجاموس وهرّة صغيرة وعدد من الدجاج.

أما في الطرف الأمامي، فكانت حاحبانهم مكدسة فيه إلى ارتفاع



فتاتين من عشيرة القرباغ

عال بما في ذلك هياكل بيوتهم وحصران من الفصص وجرار ماء وفدور الطيح وأكباس من الدفبز وكومة من المسط وموق هذه الكومة يحتم كلب بين دعائم حشيبين لمحفظة اللمن، وكان يسبح علينا حينما مررنا من حابه

ولما سمع صدام بوصولي إلى قرية الكار، فني بنظر فدركني ليرحب بمحبيتي إلى قرية قناب ولما وصلت القرية، استعمرت

عن صحة عوده وعن صحة ابنة فأحاسي قائلاً: «بغفل أبادبك راح إلى الدكان ويرجع بعد شوية». وحالما نزلت من الغارب وصل أول مريض من مرضاي، وهو شاب بنى بنلوى في بطن الغارب، كان الألم موق كلبته وجاء وهو يتعذب عذاباً شديداً من الألم الناحم من تشنج العضلات. إنصبت شكوكي بأن ألمه هذا ناحم من وجود الحصى في كلبته. فحاولت إسعافه. إذ بدأت أدرك حبه بمرهم الفلفل. ولما زال التشنج العضلي قال لي بأنني أنا الذي شعبته. فشعرت بأنني دخل أكثر من المعتاد.

وعلى أية حال، أصبح (دواني المحرق) أكثر شبعاً بين المعدان الذين يعانون في كثير من الأحيان من هذه الآلام والتي يسمونها (وجع الحاصرة).

وفد أراني مرةً صبي بلغ من العمر (١٢) سنة بعض الحصى، أكرها بحجم حبة الحمص كانت قد نزلت مع الأدوار السولي لثوها. وفي مناسبة أخرى، جاءني سيّد ذو شأن، شاب، طلب مني الدواء المحرق حيث قال لي بأنه يعاني سوباً من آلام الحاصرة. فوضعت له شيئاً قليلاً من هذا الدواء في علبة كبرت فارغة وحدرته بأن لا يبرها من عيبه وأن يغسل يديه بعد الاستعمال. لكنه عاد بعد مصي عشر دقائق وهو يهذي هذياناً شديداً وقد فقد رشده تقريباً. والسبب هو أنه لبعض الأسباب التي يعرفها جيداً فرك فصبه بهذا الدواء فبدأ بتألم ويفزع، وأقسم أعلظ الأيمان من أن الألم كاد أن يقتله. فافترحت عليه بأن يغسل بالماء والصابون بشكل جيد. ولما رأى أحد موبى زورمي حالة السيد التي لا نطافى قال مارحاً بأنه بنوجب من السيد أن يبرز نفسه بمضاحمة روحته.

وفي اليوم التالي، وقبل أن يشق العجر، أبغطني داود قائلاً بأن بعض الناس جاءوا بصبي محروح. ولما دخل الصبي البالغ من العمر (١٢) سنة مصحبة رجل وامرأة لبساعدها رأيت شداشته المفلحة باللون الأزرق والأبيض ممرقة ومحضنة بالدماء، وكنت قد كنت أرى الكلب عصبى من وجهه بخرفة محضبة أيضاً بالدماء. ولما فحصته رأيت بأن له عيبين سوداويين ووجهاً ذا شرة بيضاء وأخذ يحدثني

سألته عما حدث له فقال وهو يرتجف: «الكلب عصبى» وصعد البطانية العائدة لي حول جسمه ثم أوفدنا النار حتى نعلي شيئاً من الماء ثم نللت الضمادة ومسحت بها وجهه ورأيت حذو ممرقاً نندلى منه قطعة بحيث أمكسي رؤية أسنانه الحليمة. كما رأيت عدة عصات في ذراعه وكنته. وأخذ يرافيني حينما بدأت بنشطب الحرج ونعقيمه ثم وضعت مسحوق السلفونمايد ثم خبطت القطعة المندلاة بعناية في مكانها ورأيت بلوي عيبه لكنه لم يش ولم يندمر ألباً. ولما انتهيت قال الصبي «أشكرك، صاحب» ثم حفته بالسيلين حتى يرتاح وهو قريب من النار.

جاء صدام وشاركنا في شرب الشاي فقال لنا أبو الصبي الذي جاء من دوت Daub وهي قرية من غرى الأهوار نفع إلى الشرف، بأن ابنه حرج من الغرفة فل أن بنام «كلبنا - أنت تعرفه صدام، كلب كبير جداً ومنوحش - ففز عليه ومسكه من يده وماي هي أسنان الكلب على حده

«سحبه الكلب ورماء على الأرض ثم أراد أن يمسك من بلعومه والحمد لله أخطأ في ذلك وإلا كان قد فئله لكنه نهش قطعة من اللحم من خده. ولم بصرخ الصبي حقاً يا صدام، حرجت حتى أشوف شلو اللي برعج الحوامبر. شمت ابني بكافح حتى يحصل نفسه من الكلب. الله سبحانه وتعالى رحيم كما قد سمعنا بأن الإنكليزي هو في قرية قصاب. فحساء معناه ووصلنا قبل الفجر أطلقنا النار على الكلب فل ما نحي»

كنت قلقاً أحشى أن يكون الكلب مصاباً مذاء الكلب. ولكن الأتأكد لي بأن الكلب لم يعادر دهب المعرف

عادوا إلى فريتهم وقتي العصر بعد أن وصعت في يده دياراً عرافياً حتى يشري له ثوباً حديثاً. ألتام الحرح بشكل جيد ولو أن الحرح ترك بدة على شكل هلال كبير على تحده إلا أنه لم يشوه فمه فني كما كان في السابق. ولقد أتد لي المعدان بأن الكلاب لا تعص النساء ولا التات وأنا أقول عن ثقة بأسني ما صادفت أبة حالة من هذا النوع لدى النساء أو البنات وعندما عرفوا بأنني أمتنع برفصانهم، عرم صدام بأن يفهم جعله رفض بحبت أنفي أنذكرهم على الدوام.

وبعد أن تناولنا الطعام، نُبِث الدرايك والطسورات وحميت بالثار حتى ينوتر الجلد. ولما سمع الناس صريات الدرايك والطسورة أثناء التحريب قدم الرجال من القرية

جاء محرم مع والده وحاء الشاب حلوا مع أخويه وهما أصغر منه وأكثر سمة. كانت أصوانهم ذات نعمة عالية بحبت مدأوا يصاحبونه في

الغناء فغَنُوا أغنية (عرفتك طالم من أول يوم)، كما حضر أبصاً صحين مختار فربة يومبفات ومعه أخوه حافظ ومجموعة كبيرة من رجال فربنهم بما في ذلك صبيان وهما ياسين وحسن اللذان أصبحا فيما بعد نوتية زورفي.

وكان هناك شاب من عشيرة الصرطوس، اسمه داخل، وهو يشبه ومعدم نماماً، كان يتشاجر مع كل فرد بالشاوب. ولتنبيهة لذلك كان ينقل من فربة إلى أخرى بحث عن عمل كراعي. وكان جميل المعبا لذلك كان الناس يتكلمون عنه شكل يشير العصب. وكان يحب أحت وادي حياً جماً وهو صبي بشوش بلغ من العمر (١٤) سنة، وكان يجلس بجانبه

وشيء من التشجيع بهض داخل وبدأ يرفض. كانت حركانه ووجهه تنقل انطباعاً هزلياً نتم على أنه حزين وساحط. لكنه كان الشخص الناجح في هذه الألية.



ورفض عدد آخر من الصبيان منهم عحرم، ولكن، كان الحاصرون يهنئون كثيراً لداخلة وموكتير ومعدم. ثم أصر والد عحرم المدعو حسبن على الرفض لأنه كان قد إشتهر به حينما كان صبياً، أما الآن فكان يقوم بطفرات مضحكة أشبه بحركات الفيل عندما يؤدي دوره في السيرك. واستمر بالرفض إلى أن صاح به صدام قائلاً: «إجلس يا حسبن، حلّي داخل يرفض مرة ثانية»

وفي وقت المساء جلس عدد من الأشخاص بجانبني وما كنت أعرفهم وقالوا لي بأنهم مسرورون جداً لأنني عدت بين طهرانهم مرة أخرى.

أمضيت هنا في هذه الفرية يومين أكثر من المدة التي كنت قد أمضيتها من قبل ومقدارها شهران. عشت معهم بحيث كنت أشعر بأنني أمضيت معهم سنين طويلة.

انتهت الحفلة وقت المحر نماماً. وعندما خرجت من الغرفة لاح

لعبني خيط رفيع من الضياء الساعى المنسلل من ناحية الشرق. وفي
الظلام، ونحني تماماً، كان يوسعي أن أسمع صوت الجذف وأصوات
مناداة بعضهم البعض أثناء عودتهم إلى بيوتهم
من المستحيل أن لا بنجاوب المرء مع هكذا أناس من أصحاب
الصدافة.



مركز تحقيق التراث
مركز دراسة التراث الإسلامي



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

١٥ - فالح بن مجيد الخليفة

كان مجيد الخليفة شيخاً لعشيرة الرومحمدي في كل منطقة الحجر وهو الحاكم المطلق على معظم منطقة الهوز أيضاً وهو نائب في البرلمان العراقي وبفضي معظم الوقت في بغداد، تاركاً أمور إدارة عفارانه الواسعة بيد ابنه الأكبر فالح

كنت قد أمضيت سنة ثانية في الأهرار قبل أن ألغني به. ولما مررنا بقرية فاب، سمعت أنه قدم من بغداد وحل في داره، وراى صدام والرجال المسجون في القرية حتى تم فكهم من سجونهم الاحترام.

رأيت أن أفعل مثلما يفعلون، لذلك عادت باكراً في أحد الأيام لأزوره وبصحبتي الشامان حسن وباسين لبعدها الزورق وهما من قرية يومبعات وقد بقيا معي مدة ستة أشهر

كان الزورق الذي استعمله يعود إلى باسبن وهو شاب عمره (١٦) سنة، طويل القامة، مشاسق الجسم كالرياضيين، وله وجه حداث بهم عن سداجة وملامحه مغولية أما حسن فهو في العمر نفسه أيضاً لكنه أفصر منه وأكثر منه سمعة، ماهر في الصيد، يفتني بصدفة صيد من صنع محلي، نعتز من العروسة، والسطانة مربوطة بسلك من نحاس.

أكثر اللحاح عليه بأن ينحلي عن هذه الصدفة ويتعلم بندقية. وكنت أنوسم في باسبن الشخص الأكثر عزيمة والأفضل في الحدود، وكان

شاباً ماهراً بشكل إستثنائي حتى وإن فارتاه بمستويات المعدان على الرعم
من كونه محرد صبي صغير السن

نهر المجر هو فرع من نهر دجلة، ويتفرع تحت المحر الكبير إلى
فرعين هما نهر العدل والوادية. وتنبذ مباهم في الأهوار بعد أن يقطعها
ثمانية أميال تقريباً ثم تندد هذه المياه في سواقي الري العديدة.

نعفسا إحدى هذه السواقي إلى أن وصلنا نهر العدل حيث نفع عليه
فريه الشيخ مجيد الخليفة

ولما وصلنا إلى القرية ربط حسن حبلأ بمفعد المحذاف الأمامي
وربط الرورق صد المحوري ثم بدأ ياسين بحرك الرورق بالمحذاف من
مؤخرته. بدأنا بالسير مشأ على الأقدام ومررنا بدور القرية ثم وصلنا في
الساعة العاشرة تقريباً إلى الدور الكبير والواسعة وذات السقف المسطح
والمنى بالآخر.



ولما وصلنا دار الشيخ لاحظت حذرا منشقة وهي نواحه مهب
الرياح. ورأيت خلف الدار مضيقاً ذا بناء قديم منهدم ومائل إلى الحواب.

ولم يكن الشيخ مجيد قد بي إلى الآن مصيحه الحديدي على الرعم من
وجود كميات كبيرة من القصب بالقرب من الدار.

وشاهدت جمعاً حاشداً خارج المصيف، كلهم حاواً لبحطوا بمقابلة
الشيخ مجيد. ولما امترسنا أكثر، تقدم أحد الأشخاص نحونا وفادنا إلى
داخل المصيف. ولما دخلنا ورأنا الشيخ مجيد نهض من مقعده وأخذ
بصافحنا

بدأ الشيخ لي متوسط الطول، يدين الحسم حذاً، له أكتاف عريضة.
وبظهر أنه كان قوياً حذاً في شبابه، إلا أنه أصبح الآن يكبر ويشبح
بضعف، وبدأ نطه يندلى على شكل قطبات.

أما رقبته فكانت غليظة وفصيرة ووجهه متعرق مغطى بشعر فضي
اللون منتصب، وعيناه صغيرتان. حوانها حمراوان

لاحظته بنهادي هي مشبهه وأحسست أنه سريع الاهتياج ومنغطرس،
يُغَيِّلُ للناظر إليه أنه ياهص من النوم لنؤه.

أمر بإحضار صندوقين على عرار الكرسي ذي اليد، مصنوعين من
ألواح الخشب وفوقها عطاء من فماش المحمل الأرق ولما حى بهما
وضع أحدهما مقابل الآخر في العرفة ودعاني بأن أحلس على أحدهما،
وجلس هو على الآخر.

كان المصيف مزدحمًا جداً بالحاضرين وأحسست أنني أفل وصوحاً
مما لو كنت أحلس على الأرض.

وبعد عدة استفسارات عن الصحة والأحوال، بدأ الشيخ محبداً يُشعل
نفسه مرة أخرى في نصريف الأمور اليومية. كان بعالم كل قضية بمهارة
وبسرعة ولا يبدى إلا اهتماماً بغيره. وإذا حاول أحدهم
أن يعرضه بغير إله شرراً ويهره فسكت في الحال

كان كانه يحلس إلى حائبه وهو شخص متوسط العمر، على وجهه
أثر حدرى، يذعر له بإدلال، ويسجل فرارانه وكان برندي مثل الشيخ
محبداً معظماً ثقبلاً من فماش أسود اللون مع عاءة بشفة أما عاءة الشيخ
محبداً فكانت، على أبة حائل، محاكاة بشكل جيد جداً ورفيفة جداً

الأراضي كلها تعود إليه وينصرف بها كبعما بشاء. ونبهة لذلك كان
غير منحبر في فرارانه ويهم كثيراً بما يحصل عليه من المحصول

ويشتهر الشيخ محبداً بجمع المال واكتناره لأنه من أصحاب الأملاك
وكان يعرف كل زاوية وكل شر من عفارانه نبهة للخبرة التي اكتسبها
حلال نصف قرن من الرمس هي نحمين مستوى المياه الذي يتوقف عليه

لراؤه. فهو يعرف تماماً أين ومتى ينجم السد حتى يحصر المياه ومتى يقوم بتصرفها ومقدار هذا التصريف

وكنيت أعجب كثيراً من طريقة بناء السد على نهر عميق وعريض بمقدار (٥٠) بارداً ويجري بشكل فائض بمواد يدائية لا فتتعدى عتدان الأشجار المفلطحة والفصص والثواب ويستخدم الشبح عدداً كبيراً من العمال لتنظيف الفتوات ونفوية السداد مثلما يحتاج إلى عدد كبير من العمال لتنظيف الفتوات ونفوية السداد مثلما يحتاج إلى عدد كبير من العمال حين إقامة السد. والملاحون، شأنهم شأن العرب جميعاً لا يعرفون عن المهنومات التعاونية إلا الشيء اليسير وإذا ما تركوا شأنهم فإنهم بمضون وقتاً طويلاً في حداث ومقاش لا حذ لها قبل الاتفاق على القيام بعمل مهما كان مهماً.

حصر عدد قليل من الفلاحين الذين الموعود المعين وهم في عريضة صعبة جداً فأحسن الشبح محله حالهم يعرف ما يلزم عمله.

أصدر أوامره الصارمة وأخبرهم بملف العمل. فإذا ترك أحدهم عمله أو سها عنه فإن حراة الحلد.

وبشكل عام، وجدت طيف الموطعين والمثقفين في المدينة نعادي الشيوخ ونحسدتهم على ثرائهم ونحاول تدبير فونهم السياسية وعندما يجري الحديث عن مصادرة أراضيهم ووجوب توزيعها على الفلاحين بشكل غير مندرس، نراهم يتعاصرون الحضيقة ويجهلون أن العراق لا يملك مصلحة ربي مقنطرة على الإحلال محل الشيوخ. وكان كبار شيوخ لواء العمارة عادة من محبي إيثرار الأموال وطاعة، ولكن معظمهم مثل محبد الخليفة مزارعون من الطراز الأول، يعرفون جيداً عفارانتهم التي حصلوا عليها منذ الطفولة. والشعور الأفضل هو حنهم لأراضيهم حياً جماً أكثر من حنهم لمصلحتهم الشخصية فإذا أردنا إحلال غيرهم مكانهم بحيث نحلب

الموظفين من أماكن مختلفة مثل المرسل أو تعداد، يتطلب منهم قضاء وقت طويل جداً حتى يكتسبوا الخبرة التي ينحلي بها أولئك الشيوخ كما يتطلب منهم وتشجيعهم على اللقاء في هذا المكان لأن نجاح أو فشل المحصول الزراعي لا يؤثر فيهم شخصياً هذا ولا بد أنهم يميلون إلى إعطاء المياه إلى من يدفع مالا أكثر مقابل أحدها بدلاً من إعطائها إلى مستحقيها من المزارعين الذين هم بحاجة إليها. وعليها أن ننصوّر المشهد التالي بين المزارعين والموظف المسؤول

«أنت تريد ماي؟»

«نعم»

«إشكك نعطي؟»

«نصف دينار».



«لبيش نحى هما ونصنع وقتي إطلع».

إذاً، لا يكمن الحواب في توفير المياه للشيوخ في أراضيهم بل إنما يكمن في حصول المزارعين العاملين في الأرض على حصة كبيرة من المحصول وعلى قطعة أرض

أمضيت ثلاث ساعات في المصيف ثم بدأ الحاصرون بالحروج بالندرج. فتسمرت عند ذلك بالصين كما تسمرت بالحوج.

كانت العرفة نصف ملاي بالرجال حينما جاء الحدم بصينية كبيرة فيها دجاج محمص وسماك مشوي وأرز وخضر ومرق

ويأمر من الشيخ محبب وضعت أمامي مائدة عبر مستطرة وعليها الصينية وبعد أن غسلت يدي، دعاني بأن أبدأ بالأكل. وكنت أنوفع أن بأكل معي. ولكن لما لم يظهر أية علامة لمشاركته لي في الأكل، طلبت بأن تُرفع الصينية من على المائدة ونوصع على الأرض بحيث أتناول

طعامي مع ياسين وحسن. إلا أن الشيخ أحاب بشكل حاف فائلاً: «لا. لا. تناول الطعام في مكانك. ما بهمهم. هدوله راح يأكلون بعدين». لكنني أصريت فائلاً بأنني أفضل أن نوصع الصببة على الأرض لأنه من عادتي أن أتناول الطعام مع رفاقي. «لا. لا. كل. تناول طعامك في مكانك» قال لي ثم التفت إلى ناحية أخرى وأحد بنحدرت مع شخص آخر.

لبست هذه الطريقة التي تعامل فيها الضيف لذلك نأثرت كثيراً وعضت نعاماً. أكلت لفعة واحدة من التمر ثم بهضت وطلت الماء حتى أغسل يدي. وأخذ كل فرد من الحاضرين بسطر إلى الشيخ محبب الذي سألني عن السبب فقلت له «ما يوحد سبب أشكرك جداً». انتهيت من طعامي»

«أوه. حلّي بأكل طعامه على الأرض إذا يريد» قال الشيخ

شكرته مرة أخرى وأكذب له بأنني كنت قد عدت إلى مكابي أما ياسين وحسن فإنهما استفادا من الأكل فأدعيا بأنهما عبر حائعين. ثم عادرنا المضيف  نعتين قوتهم فصرخ

لم أفترق من الشيخ محبب طوال فترة نزبد على المسة وفي المرة الثانية، استغلتي بطريقة نختلف عن الطريقة الأولى. فاصر بأن أمصي اللبل بصحبته، أكلنا سوبة، وحاملتي كثيراً مثلما يفعل العرب مع ضيوفهم. وبعد ذلك كنت أنوقف في مضبفه في عدد من الماسسات وعلى الرغم من كل ذلك لم أكن أحنه، لكنني كنت أحترمه.

وفي طريقنا من قرية فباب، في ذلك الصباح، انفقنا على نمضبة اللبل مع فالح في مضبفه الواقع على بهر الوادبة

كان فالح رجلاً كريماً جداً حينما خللت في داره في السنة الماضية وألغ علي بأن أعود إليه، إلا أنني لم أفعل ذلك، لأنني كنت منجماً على الشبوح ككل سبب أولئك الذين التفتت بهم حينما مكثت مع دوكاند

سنوارت في العمارة، وما كانوا يطهرون هم في دورهم الفاحرة والمشبدة في المدينة مظهر جيد. لذلك، كنت أشعر بميل قليل للزيارة ولد الشيخ فالح بعد أن لفيت من أبيه في زيارتي الأولى له الإهمال والجماء وطلبت من رفاقي مواصلة السير رأساً إلى قرية فاب عبر أن بأسين قال لي. «لا حلتنا بقضي الليل مع فالح فهو شخص ما يشبه هدوله».

ولما وصلنا قرية الشيخ فالح واستقلني بكل حفاوة وتقدير رحبت شعرت بعد فترة من وصولي بأنني في غاية الارتياح في مضيته

وقال لي: «كنت أتمنى أن تعود إلينا بالنهاية. إنني أسمع كثيراً عن أعمالك من المعدان. إنهم يلحاون إليك دائماً كطبيب. وأنا متأكد من أن جميع أهالي قرنتي سيحضررون ويطلون منك الدواء. وهذه شمت الأهوار. ونريد شوف منك قد شيء». هل قدرتك تصيد قد حريز؟ شنوا؟ - حتى ولا واحدة؟. إنظر حتى يرتفع مسوب الماء ونروح بعدين تصيد سوبة»

كان الشيخ فالح مهمكاً ^{الأنوار} ^{على} ^{نظف} ^{الضوات} ^{وهي} ^{نفوة} السداد قبل حلول الصبان. بقيت مدة أسبوع في تلك المصاصة ومرتجاً جداً بأن نتاح لي مثل تلك الفرصة حتى أعرف فيها إلى أحوال الملاحين لأفانها مع أحوال المعدان. وكنا نخرج كل صباح في طراده ونعود بعد الظهر ونشاول طعامنا في بعض القرى الواقعة على الطريق. وكما نساء، حضر عدد كبير من المرضى إلى مصبهم. وكنت أعالج في كل يوم عدداً منهم قبل أن نغادر القرية أو عند العودة إليها. وفي قرية الزائر محبسن النقيب برحل اسمه مناني وهو الشخص الذي كان قد عصه الخمرير. وكان يبدو هريلاً، محشي الظهر، فنذكرت عند ذلك كلمات الشخص الذي كان قد قال «هذا الخنزير قضى على مناني».

قال فالح وهو يشير إلى أحد المصيبة الذين يساعدون الزائر محبسن في إعداد المائدة: «هذا لا حوش صي. والده المحوز ثقب ما بكتر بسول

قد شيء. إينه عمارة بهنم بأمرور العائلة هم ماس فقراء نعاماً.

ثم وجه سؤاله إلى الولد وقال له «صحيح سموك عمارة لأن أمك ولدته في سوت العمارة. مونعام».

ابنسم عمارة وقال «نعم هذا صحيح. لكن أما ما رحت إلى العمارة من ذاك اليوم لحد الآن»

وعمارة هذا صبي نحيف الجسم، جميل المحيّا بشكل ملحوظ. أتبع وهادي. أرسنقراطي وعلى الفص من ذلك. كان الصبي الآخر أخرف وقبح الصورة لكن البشاشة لا تبارفه ويسميه فالح سبني وأحبرني مان والده يملك ذكاً في القرية وهم أعياء وكرماء. وتظهر على سبني علامات السرور والحدور.

وفي صباح اليوم التالي، وجدت عمارة وسبني مع عدد آخر من أقاربهما من فراهم التي تعد مقدار خمسة أيال ينتظرون قدومي في خارج مصيف الشيخ فالح حتى أتمتع بعملية العتال. وعندما سألتهم كيف يعودون إلى فراهم من بعد العتال قال لي «سقى هنا حتى يشفى الألم فلبلاً وبنوقف الريف ثم يعود إلى بيوتنا سيراً على الأقدام». وفعلاً طيفوا ذلك. كان فالح يحاول أن يكون محافظاً على هيئته في المصيف أما في القرى فكان يتصرف كصديق طبيعه

كان استفال القرويين له حاراً وشباً مثبراً فالأطفال يركضون أمامنا وهم يصيحون «فالح حاي طرفكم!». وعندما نصل، بلغ أبائهم كثيراً ويأصرار على فالح بأن يكون صيفهم ويشرف بينهم ومن بعض المناسبات قد يكون فيها فامباً وحتى عديم الشفقة والرحمة ولكنهم مع ذلك كانوا يحترمونه أكثر لأن أحكامه كانت عادلة ولم أسمع أبداً من أنه يحكم الناس بالحدور وغير العدل. فهو يؤذي واحبات الشيخ المثالي وهو كريم المولد، يعجب الناس برعامة ويثفون به ويحشونه وكلهم بحسدونه على مهارته في

الرمي وعلى فروسته كما وحدثهم في عاية السرور لأنه يستطيع استعمال
الزورق بكل سهولة خلافاً لعدد كبير من الشيوخ

ومن بين الشيوخ الآخرين، يرى الشيخ محيد والشيخ محمد العربي
لا يزالون ذا نفوذ في شيوختهما وهما السابقان على قيد الحياة من الأرملة
العسيرة والشديدة جداً. وإن معظم السافين وخاصة الشباب منهم كانوا
ذوات أجسام سميكة، مزاحية، نذل على الكسل. وكانوا على الدوام في
قلق شديد عن صحتهم ويناولون على الدوام العقاقير الطبية المباحة
للاستعمال فحاشم بن محمد العربي، هو الشخص الوحيد المشهور بأنه
كتمه لمالك، لكنه كان قد نواه الأهل ويقول الناس الآن «بس ظل فالح
وحده»

وعندما وصلت قرية فات بعد أسوع، استعت زورقاً لي، واسعاً
ومنبأً دفعت عشرة دبابير ثمناً له. كان هذا زورقاً قديماً وفي حالة جيدة.
وقال ياسين «أنت هسه واحد متا في هذا القارب بوجدك وبس ما تريد
نروح. إلى سوق الشيوخ إلى الكويته إلى المصروف وإلى أي مكان»
عندما بهذا الزورق إلى قرية فالح بعد ستة أسابيع ولما نزلت من
الزورق سأله باعتزاز «ما رأيك بزورقي الجديد؟»

«مو ردي». لكن إنتظر شوية حتى نشوف إيش حضرنتلك»

أصدر أوامره إلى أحد خدمه فأنطلق بسرعة وعاد بزورق يدفعه
بالمردى وهو من صعب الطراوة الجديد. لونه أسود، لثام، ربيع، ودو
مقدمة عالية، بهسات بحوا على سطح الماء فقال الشيخ فالح «وصلت
البارحة من الهوير. هذه لك طلبت صنعها لك. ربما تعكر مالك واحد من
المعدان. لكن في الحقيبة أنت شيخ نسا أهل الطراوة»

صاح ياسين منعحاً «أه» إشكك لطلبه صنعها الحاج حميد. هذه
أحسن وحده صنعها للآن. ماكو وحده نشهها»

نأثرت جداً، وحاولت أن أعثر على شكري غير أن فالحاً وضع يده على كتفي وهو يقول «صاحب أنت صاحبي»

وفي ذلك المساء إلتحق فالح بأن أصمّ إلى نونيني صبيين آخرين من أمثال ياسين وحسن حتى يصبح العدد كاملاً. ولاحظت أن الأشخاص المنروحين والأكثر مساً مسهما لا يبرعون بمعاداة أهلهم لعدة أشهر متواصلة. ولما سمع عمارة وسبيني بأننا نريد شخصين آخرين حضرا في صباح اليوم التالي وعرضا خدمتهما علي. وسألتهما عن العملة التي شقيا فيها من عملية الخناك فأجاب عمارة قائلاً: «ما دام أنت سويت العملية فماكو حوق منها وما سويتا شيء». كنت أقطع الغضب بعد ثلاثة أيام والآخرين هم مثلي»

بتحلى عمارة سحر هادي، وبجاذبية عظيمة ولكني كنت أشك فيما إذا كان فوياً لدرجة يستطيع فيها من جعل الطردة في رحلات طويلة وعلى أبة حال، أكثر لي حسن وهو من عشيرة الغريجات بأنه شاب قوي أكثر مما يبدو. أما ياسين فإنه ينجي إلى الشغانا وسبيني ينمي إلى عشيرة عامضة لم أسمع عنها أداً.

أخبرت عمارة وسبيني بأنه بإمكانهما الالتحاق بنا وهكذا نقبا معي إلى أن غادرت العراق

ولو أن عمارة كان أصغر سناً من الآخرين بكثير إلا أنه كان ذا خلق متين. فلحق به سبيني من دون أي سؤال وأما حسن فإنه نادراً ما كان يعترض على قراراته. أما ياسين فإنه كان يثناء أحياناً من تأمر عمارة عليه لأنه يرى نفسه وهو الرجل الكبير أنه لا حول له ولا قوة في الأخير.

تعلم عمارة بسرعة استعمال الأدوية التي كانت معي وحذا سبيني حذوه في هذه المهنة فقاما بمساعدتي كما أنفن عمارة حفن الأبر.

لم أكن أدفع لهم أبداً أجوراً عن أعمالهم معي وكنت أقول لهم دوماً
يأنني أريد رفاقاً وليس حدماءً بآخر. وكنت أرودهم بالكسوة وأمسحهم النفود
أكثر مما يتوقعون.

وأحيراً ساعدتهما في مهر الرواح حينما أراد الرواح وبناء حياة
زوجية. وكانا بجيبان كل من بسألهما عن مقدار ما يتقاضيان من الإنكليزي
يعتزاز «ما نأخذ أجور. نرافق الصاحب ونحن مسرورين. وهو شخص
كريم بهنم ما».

وهي تلك السنة، عرنا الأهوار الوسطية بطرادنا وانتقلنا على امتداد
مهر الغرات إلى الفرنة. ثم عدنا إلى قرية سيكال ومكثنا مرة أخرى مع
عشيرة آل عيسى في البر الرئيسي ثم زرنا الأبرج، ولم نحهم ولا أحينا
شيوخهم. ثم عدنا وزرنا آل حاسم والقطوس حيث المكان الذي وجدنا
فيه (داخل)، ذلك الصبي الذي يرفض من تحت التسلية في قرية فاب.

كان لا يزال عاطلاً عن العمل وأخذ يضعف بالتدريج. ومن الواضح
أنه كان يقاسي الآلام من مرض ~~التهنئة~~ ومن الاحتلاطات العصبية
الأخرى وبعد الإلحاح والحدل الذي لا حذ له أفعنه بالذهاب إلى البصرة
للمعالجة، كانت الدموع نهمر من عينيه حينما غادروا. أرسلته إلى البصرة
ورودته برسالة إلى صديقي فرانك سنبل نائب الفصل في البصرة

حلّ الصيف في الأهوار وفيه بصبح العوص على شكل سحب مغلقة
فوق رؤوسنا حتى في أوقات النهار، ونحن تستغل على امتداد الممرات
الماتية الساكنة بين منابت القصب العالية

أما في الليل، قبضت العوص على الأحرار العارية من أجسامنا أثناء
التوم بدون أعطية بسبب حرارة الجو الهائلة. وسررنا حينما تركنا الأهوار
وبدأنا نستقل بين القرى في منطفة المحر مكتوبين صدافات جديدة بين
الفلاحين. وكما نعود إلى قرية الشبح فالح ونبض في مضيقه مهما طال أمد

سفرنا أو قصر. وحينما برى أحدهم طرادنا بحمر فالح عن قدمنا وبراء
بانظارتنا حتى يرحب بنا. وكنا أحياناً نعود ليلاً وقد مضى أكثره أو نعود
في الساعات المكرة من الصباح ثم ندم في المصيف الحالي من الناس.

وكان عند الرضا الفهواني العجور بعدما نائمين حينما بأني وقت
الفجر إلى المصيف فبسرع لبخر فالح عن وجودنا.

وعلى خلاف أكثر الشيوخ، كان الشيخ فالح بكرة حياة المدد. ومن
البادر أن يروى بعدد أو العمارة. إلا أنه كان يملك بعض الأحيان ليلة أو
ليلتين مع أقاربه بالقرب من البحر وأكثرها لدى عمه محمد، الأخ الأصغر
لمحمد وهو سخي جداً على الرغم من كونه فقير الحال من بين أسرته.
لذلك كان حذيراً بيل إحترام ومحبة الناس.

كان عناصر من محمد، السيرة الطويلة، البدن الجسم البائع من
العمر عشرين سنة ابن الأخ المصطفى فالح.

وبما أن فالحاً كان يصطاد السمك في البحر فأتتحت لي الفرصة في
نمصبة عدة أمسيات مسلبة مع محمد.

كما يذهب بعد تناول انشاء في المصيف إلى عرفة خاصة في السبت.
وكان أناعه عبارة عن عدد من الصبيان يملفون المال بشكل استثنائي عن
عائلهم ورفضهم. وإعتاد أحد الصبية شكل حاص على التمثيل بحركات
حسنة نسلى الموطنين المحليين في أوقات فراغهم إلا أنني وجدت هذه
الحركات شيئاً مبالغاً به أكثر من المألوف.

وهناك هور بالقرب من دار محمد وهو أفضل مكان لصيد الحمازير
في فصول معينة حيث كانت هذه الحمازير تدمر حقول الشلب ليلاً وتلفها.
وقمت أنا وفالح نعضها رورق صعب، نسير به على امتداد السواقي التي
نعرض منابت الفص.

ففي أحد الأيام فتلّت (٤٧) حنريرا ثم فتلّت (٤٥) أخرى في مناسبة ثانية. وهذه الحنازير من الأصناف الموحودة في أوروبا والهند من ذكور الحنازير الوحشية غير أنها تنمير بحجم استثنائي. وفست خنزيرين من الحجم المعتاد وبلغ عرض الواحد منها من الكتف إلى الآخر مقدار (٣٧) عفة. وإني أسف جداً لأنني ما فست حجم الحنازير الكبيرة أبداً

وفي النهار نأوي هذه الحنازير إلى أوكارها المشعة بالماء وتكون عادة مسة على الصفاف المنخفضة التي نحط بهذه السوافي. ويكون «تول» الوكر أحياناً مقدار (٦) أقدام وهي عبارة عن أكوام كبيرة من أشجار الأسل

ومن الممكن أن تكون الحنازير قد فطعت الأنسان وفلنها بواسطة حراطينها إلى مسافة باردات من العانة



وحبما يرتفع مسوب الماء يست النضار تنفل هذه الحنازير من الأهوار وتضطجع في سانبين الحبل، وهي الأحراش على الأكثر وهي أشجار حبل نمو من دون رعاية وعناية وهي أشجار الشوك البرية النامية شكل متفارب جداً وقد رأيت في إحداها دناً وثلاثة دروح صغيرة

كنت أما ومالح منطى الحبرير الهانح الرامس في مكانه دون أن نخرش به أو نخرجه من مرمسه وسوفه أماما إلى الغراء ثم يقوم بمطارده ونحن على ظهور الحبل، نطلق النار حتى يصطاده

وأخيراً، بحث أن أعادر الأهوار لآسي حظظت بأن أنفل في ذلك الحرب في حبال باكستان الشمالية فأمصبت الليلة الأخيرة مع فالح في فربته وبصصني كل من عمارة وسبني وياسين وحسن الدبي عرفوا الآن بأنهم رحالي

وفي المساء خرجنا جميعاً من المصيف، نلنمس البرودة فحلننا على الحشيش.

انتهت في هذا الوقت فترة هبوب الرياح الأربعبية التي تهب طوال شهر حزيران وذلك قبل بضعة أيام، لذلك أصبحت الريح ساكنة جداً الآن وبعد أن تغيب الشمس ويحل الظلام تبدأ نبات آوي بالنباح من أماكنها خلف الهر المنحدر.

وعندما يبرغ القمر ترى الحفايش تحدر وتدور فوق رؤوسنا.

أكلنا الطيخ والعنب من بستان السيد ثم شربنا الحامض.

جاء عبد الرضا من المضيف يحمل دلة القهوة بيده وقال لي «ما راح تشرب قهوة مثل هاي وير ما تروح. إشرب شويه زايد إذا تكدر». ثم قال فالح: «لا تطول عينك عنا كثيراً».



مركز توثيق ودراسات
مركز توثيق ودراسات

١٦ - وفاة الشيخ فالح

حينما عدت إلى مضيق الشيخ فالح بعد عياب طويل دام سبعة أشهر تقريباً حيث كنت قد غادرته في الأسبوع الأخير من شهر حزيران سنة ١٩٥٢، شاهدي ابن عبد الرضا الصغير فاندفع إلى داخل المضيق وأخذ يهر أحد الأشخاص النائمين فائلاً له: «كوم، الإنكليزي رجع». روح واخر فالح أما أروح أحبب أموي» إذ كان غافاً عن الأشخاص النائمين على الحصران قد بدأوا يهصون الواحد بعد الآخر ثم أخذوا يرتدون أعطية رؤوسهم وعباءاتهم ثم نفذوا إلى الأمام بحوالي مائة ياردة وقد تمكنت من تمييزهم جميعاً، فهم من أتباع الشيخ فالح، مرححاً يا صاحب. مرححاً، هذا أسعد يوم عندنا. بقيت مدة طويلة بعد عاباً

عدت في الحقيبة أوائل شهر شباط سنة ١٩٥٣ عصراً. وقد غبت عنهم مدة طويلة كنت خلالها قد عرت مضابلي عالية من حلال الثلوح التي نعطي جبال هندوكوش وأنا أتجه نحو محبرة كورمسار ذات العباء الزرقاء الباردة حيث تظهر الأنهار ذات الألوان اللورية.

نظرت إلى الحارج عبر واكاند Wakand من مضيقه بوركل Borogil ولمحت من مسافة شتياً بلمع وعرفت أنه نهر أوكسس Oxsus. وكنت قد سمعت على نهر الحلبند الذي يقع أسفل جرد من جبل نبريك مير Tirick. وفي الظلام أريت إلى البوت الغدرة المنتشرة بين بساتين النوت Mir.

حيث المكان الذي يعيش فيه الكفار السود على حدود نورستان Nunstan .
والآن أعود مرة أخرى إلى مصيف دلخ الواقع على حافة الأهوار وأنا
أشعر بأنني قد عدت إلى بيتي .

دخل عبد الرضا مسرعاً إلى الداخل وهو رجل ذو أسنان مفرقة وظهر
محدودب وقال لي «فالح جان بحيجي بذكرك لبله السارحة . ما يعرف
أشوكنت نرجع قبل بوم چان صدام هنا حاء من فاب واثنيهم جاموا
ذكرك . مرحباً مرحباً . اليوم يوم عيد»

جلسنا حول الموقد الذي نُعَذ فيه القهوة ولما أتى الشيخ فالح
ودخل المصيف بهض الجميع ثم تقدم بحوي وبدأ بحصفي وفلني في
المحدود ثم سألي عن أحوالي ثم قال «لبش طولت الغيبة عا؟ . چنا تنوفع
محبنتك في الشهر الماضي . موش هيج با عبد الرضا؟ . وعلى كل حال ،
دين شوقك واضح إلها الآن . الحمد لله نحن حو عندما يسمعون أحارك .
عمار و سبني بسألون دائماً أشوكنت نعود . اح بحون حالما يسمعون أنك
وصلت» .

مرآتية شكريز بروج سدر

ثم إنفقت نحو أحد رجاله وقال له «أنت حاسم ، حد حواش
الصاحب إلى هناك»

كان بيته بدور واحد ، من الطائوف الذي بنم صعه في الموقع . ولما
وصل البيت قال لي . «هذا بيتك مرحباً . أدخل» . دخلنا إحدى العرف
وشاهدت على الحدران صورة الإمام علي وهو على ظهر فرسه وصورة
الحسين .


إيهما إماما الشيعة . والصورة تُظهر بأنه شيخ رأس حصمه إرماً إرماً
وسط بركة من الدماء . كما شاهدت صورة كبيرة للشيخ مجيد في إطار
ذهبي .

كانت الفرش معطاءة بقماش سلكي أحمر أو أخضر مع وسائد

ومحذات بمختلف الألوان وهي مخروشة على طول حدران العرفة

كان المظهر بدل على الثراء والراحة. وهذا يختلف تماماً عن
الدewanة والتي فيها نبتت محصوراً شعص الوقت.

هذه البيوت هي دور ضيوف عبر مريحة، مبنية من الطابوق، ساها
الشيوخ الأثرياء في السنوات العشرين أو الثلاثين الماضية حتى يسكنها
الموظفون العرافيون والزوار الأوروبيون.

تكون هذه الدور مغلقة حينما لا يسكنها أحد عرقها ملبثة عادة
بالعباءة أما أرضية العرفة فهي ملبثة بأعقاب السيكابر، ونجد حول حدران
العرفة كراسي ذات بدات مربعة الشكل وثقبلة الورد وهي من الطراز الذي
يستعمله العرافيون. والكراسي مصنوعة بأعقابها المخملية السوداء. وهناك
فاصلة بين كل روح من الكراسي نوصح  مع الرواق مبعا بقى كل فرد بعداً
دات الفصان يتحدث الشيوخ بحدية مع الرواق مبعا بقى كل فرد بعداً
على مسافة ويفت بإحلال واحتراف

كان عباس، ابن عم فالح الذي يحبه كثيراً، موجوداً في داره بمكث
معه وكان ينوي للعودة إلى دار أبيه مانفرد من المحر التفت فالح إلى
وقال «راح نحي ويا ما باجر للصيد موش هيج؟ راح نحرب صيد البط
على امتداد حافة الهور. بلكي نشوف عدد من الحناير وهسه يا عباس،
ما نكدر نروح والإنكليزي عندما ويريد بطلع للصيد ويا ما. حلي أذ قد
واحد للبيت وبحب وباء سدفيتك. تكدر نروح إلى بيتكم باجر بعد العصر
لوبيش هل المعحلة؟ موش راح ننزوح». وتسوء الحظ، اتنع عباس بكلامه
ورضى بالبقاء

تناولنا فطورنا المتكون من بيض مغلي وخمر من طحين الأرز وحليب
جاموس مغلي ثم حرقنا في ذلك الصباح البارد الصافي وأتينا إلى مريض
الحبول وكان فيه ثلاثة أفراس عربية أصيلة رمادية اللون، كل واحدة منها

ملفوفة بغطاء وفوائدها الأربعة مفيدة ثم عرجنا إلى المضيف حسب العرف الجاري وبعدها خرجنا إلى المكان الذي ينظرنا فيه موقية الزورق الرامقون بالقرب في طرادة الشيخ فالح وقال حبيبا وصلنا هذا المكان «رين داير» راح بروج لصيد البط عند مصب الحراء» وداير هذا رجل مسن فد وعط الشيب شعر رأسه وهو أكثر الناعين ثقة إنشم اشماة عريضة.

«الله يعلم» ملكي مشوف عدد قليل من البط يظهر أنها راحت من مدة قليلة. مسوب الماء في بدي يرتفع، لازم نشوف عدد كثير من طائر الغزة المائي» ركا الطرادة. أنا وفالح وعباس بيما ركب عبد الواحد من فالح في الزورق ثم إطلقنا وسرنا حبات المحرى نارليس

كان عباس يجلس وسط الغارب بيبي وبير فالح وكان فد وضع مشط رصاصه في الكيس أمامي. ولا حست وجود عدد من الحراطيش عليها الحرفان [إل حي] موشاة كيفما التقى فقال بأن عبد الواحد كان قد أعطاه إياها حتى يملأ الفراغات الموجودة في المشط. قلت له. «هذه الحراطيش نستعمل لصيد الخنازير فقط» فاستعملها لصيد البط وإلا سقتل شخصا ما». ودمسناها لأسرهن أفوالي، فنحت إحدى الحراطيش وأربنه الكرات السبعة ثم ألقيتها في حبي. وافترحت على فالح بأن يحذر ابه من هذه المسألة، فععل.

ولما وصلنا حافة الأهوار، انقل كل واحد منا إلى زورق صغير ومعه رجل يجدف له ثم اطلقنا إلى داخل القصب أما الآخرون فابهم ذهبوا في اتجاه واحد للبحث عن البط. وسرت أنا في انحاء آخر لعلي أحد خيريراً لاصطاده

ولأن مسوب الماء مرتفع فمن الواضح أن الخنزير سينرك الهور وينحه نحو الأرض اليابسة، وبوسعني، من مكان هذا، أن أسمع صوت إطلاق الآحريين، عدت إلى المشاة التي سبق أن عبتاها، فوجدتهم

موجودين هناك. وبظهر أنهم لم يعثروا على البظ بل اصطادوا عدداً من طائر مائي آخر بسمونه العزة. وسألني فالح عما إذا كنت أرعب في مواصلة الصيد أو أنظر لتناول وجبة العداء. فقلت له لا رأي لي في ذلك، فانظر ماذا ترى. فقال: «عندي تسعة طيور عزة أريد أسويهن عشرة. القدا راح بطول قد ساعة، خلّي نسمر بالصيد».

وفي هذه المرة رافقهم

إنظمنا في صف واحد، والمسافة بين رورق وآخر سبعون بارداً جديداً ونحن نسير موازاة الشاطئ من خلال أشجار الأسل المشابهة والمنشرة في هذا المكان وكان فالح وعاس إلى يساري شاهدت طيور العزة عربصاً وهي ترتفع وترعرع بأحدها فوق رؤوسا منحفة مع الريح

أطلقت النار عليها فسقطت إحداهما ثم توقفت حتى النقطها فسمعت صوت إطلاقه مانحاهي. مزت الإطلاق من يميني فصحت قائلاً «حاطر الله. شوف المكان اللي نرمي عليها» وعلى مسافة بعيدة قليلاً شاهدت رورق فالح ثانياً وسط المياه المكشوفة وعلى بعد (٥٠) بارداً عن منابت الفص.

نظر الشخص الذي يحذف زورقي نحو رورق فالح وصرح قائلاً: «فالح محروح» ثم بدأ يحذف بشكل حويي نحو الزورق.

ولما وصلنا رأيت فالحاً ملقى إلى الأمام مستنداً إلى دابر، عيناه مغلفتان ويبدو أنه فاقد الوعي، وشاهدت نفعني من الدم في القسم الأمامي من دشايشه البيضاء. فأمرت الشخص الذي يحذف زورقي بأن يحمله بحاسب فالح احتبنت ومسكنه من رسته فوجدت نفعه صعباً جداً. ثم فككت دشايشه فتدق الدم من فوق حلبة ثديه من خلال ثقب أرورق دائري نتيجة لإطلاقه ذات كرة كبيرة. وفي هذه الأثناء وصل عبد الواحد واستعصر عما حدث فقال له دابر «عاس هو اللي رمى» فالحا لأول مرة وهو يومي

مرآسه إلى مناسن قصصة فربية. فنشت المكان ولم أجد أثراً لأي شخص
أما الأشخاص الأربعة الآخرون فاعجروا بديون وبولولون ويكررون القول
«أبويآ. آه - يا أبويآ» وكانت الرواوي الثلاثة نهضت كأنها أطواق صعبة
نلعب بها الرياح والنمط إليهم وصحت بعض «إسكنوا! ماكو فابدة من
البقاء هنا وأنتم نولولون لارم بحرجه على الساحل. أنت دابر - إمسكه
وحس نجذب من كلا الحاسين وسحب رورفك» فتوقفوا عن العويل فجأة
واطفوا نحو الساحل الذي بعد مفدار (٣٠٠) بارد. ومن هذه المسافة
أمكسي مشاهدة فربة صغيرة، وفضل عليا دابر ما حدث فقال: «كنا نحاول
الافتراق من بعض طيور العزة ما شفتنا أي شيء معدين طار». مالك
الحرين من بين الفص. كان عباس في الحاب الآخر من الفص وأطلق
النار بانحائها وأصيب فالح وسمعته بصيح (عباس فتلني) ومعدين شفت
عباس يهص من بين الفص وصاح (الله! ما كنت أعرف أنت هناك)
ومعدين ما شفت عباس للتالي



كان عمق الماء كبيراً ولم يمكن دابر من إبقاء الرورق منتصباً
على الماء حينما أصيب فالح بطلقة ناربه لأصح عند ذلك من عداد العرفي
بالتأكيد ولما وصلنا الساحل وحذا الشخص الذي يحذف زورق عباس
فقط وسألناه «وين راح عباس؟»

«طلب مني إزاله بهل المكان نزل وراح يركض»

كان فالح لا يزال فاقد الوعي، بهصه ضعب حدأ بالكاد أشعر به،
عليها أن يعود بأسرع ما يمكن إلى داره ثم يأخذه إلى المحر ومنها إلى
البصرة أو العمارة بالسيارة لكي تحري له عملية نقل الدم.

أرسلت الشخص الذي يحذف زورق عباس بسرعة إلى الفرية حتى
يُحضر فارياً كبيراً. ثم حطر بيالي أن أمقي فالح دافئاً، لذا أرسلت شخصاً
آخر إلى القرية لحلب الفراش أما عبد الواحد فقد بقي ساكناً يحذف إلى

أبيه المغمى عليه، لا بدري ماذا يفعل، ثم سأل مرة أخرى وقال: *هل يموت يا صاحب؟ هل يموت؟*

إرادة الله. إنه سيعيش، لكنه محروح حرجاً حطراً جداً.

واندفع عبد الواحد كالمدحون وهو بصبح *وبس راح عاسر؟ وبين راح؟ والله إذا فالح مات راح أفنله صاحب أنت صديق فالح. لارم نساعدني حتى أعثر عليه وأفنله. وبين راح هل الملعون؟* ثم بدأ ينتحب وينشج طهر صبيان من مكان ما وكانا حائضين بشكل واضح وفما سوبة على بعد قليل وهما يرافقان نادبت على الأكبر وفلت له بأن يسرع إلى القرية ويعجل بحية الفارب. فركض كلاهما مسرعين

ثم بكى توسعي أن أفكر بأي شيء آخر أفعله بل إنما سطررت نحو فالح وأنا فافد الأمل من نجاته ثم نظر نحو دابر الذي كان لا يزال يمسكه، كانت دموعه تنهمر من عينيه وتسيل على وجهه.

بدأ الرجال والنساء بنفطرتهم كصوف عبر الحفول ثم وقعوا على مفرة ما على شكل مجموعات صغيرة

أحسرتي أحدهم بأن الفارب الكبير فادم من القرية. ولكي يوفر الوقت، افترحت بأن نأخذ فالح مروراً إلى مصب المجرى

وبدأ شحسان بسحان الزورق وهما بحوصان في المياه الصحلة وأحبراً النقيباً مروراً آخر وإرتحت لروزيته لأن هبه المرش والمحادبد بالإضافة إلى وجود سجاد مفروشة في وسطه. وعندما بدأنا برفع فالحاً فنج عيبه وقال بشكل واضح *شوقوا السدفة محشوة بإطلافة* ثم أغمص عينيه مرة أخرى واصططح ساكناً

نقلنا إلى الزورق الآخر بعناية. جلس دابر في الحلف وأسد رأسه ثم لنفقاء بالسجاد وتناولنا عدد من المرحودين عاءانهم.

نسلق أحد الرجال إلى مؤخرة الزورق حتى يوحىها. وشدّ رجل آخر حبلاً في مقدمة الزورق بينما بدأ رحلان آخران بسحبات الزورق بعكس المحرى. سرّياً وراءهم على الساحل وكان معي عبد الواحد نسبر بحذر من كثرة الأشجار الشوكية البائسة والمحصنة، وكما قد تركنا أخذنا في الطراد وكانت أقدامي لا تزال صلبة بعد سوات طويلة من السير حافي القدمين في الصحراء، غير أن عبد الواحد الذي لا يسير أندأ بدون حذاء بدأ يعرج ثم أخذ ينحلف عني في المسير.

فتح فالح عبيه وحاول أن يتكلم، وأمرت الرجال بالتوقف وحلست راحتيّ بحانيه. وقال هامساً: «وين عبد الواحد؟».

«راح بحي»

«فل له فل له عن لاسي، صاحب لارم بأخذ عباس وبودبه إلى أموه ما لارم يتركه وحده إلى أن يصبح بامان عند محمد. ما أريد بحري عليه أي شيء. لارم يتأكد بنفسه من بحري شيء إلى عباس. هاي هي أوامري فل له حلي يروح هناك فيكون يروح سحر»

أغمض عبيه مرة أخرى وأشارت للرجال بأن يواصلوا السير المفروض أننا سنعثر على عباس أمامنا وهو يركض بشكل بانس متوحهاً إلى بيته.

انتشرت أخبار الحادث عبر الريف في الوقت الذي كنا يسير فيه ببطء بعكس. نوحيت نوحنا مجموعات صغيرة من الناس من مختلف القرى وهم صامتون. ولما وصلوا اندفعوا إلى الماء ثم بدأوا بصرخون وبولولون وبصعون الطين على رؤوسهم ويكون الماء على ثيابهم أما النساء فيدآن بمرفن ثيابهن ويصررس على صدورهن وهن ثعلن «فالح. أبويا. أبويا» ويواصلن السير حلفاً

أما فالح فقد كان ممداً وسط الزورق، يوحىه الشاحب جداً إزاء

دشداشة دابر الداكثة. حدث كل هذا الشيء في مدة نفل عن (٢٤) ساعة، وكان فلها يرحب بمقدمي عدما أنبت إلى داره.

إلى الآن كنت فافد الحس والوعي ولم أستوعب ما حدث. أخذت أحدث نفسي قائلاً بأنها حادثة أصيب فيها فالح حرج بلع. أما الآن فإني مفتنع بأنه سيموت. فإذا تكبت عنه مثلما يكون فسيعلم الذين هم من حولي إنه سيموت. لذلك، ضيقت نفسي ومعناها من البكاء، ووجدت نفسي أما الذي كنت أشاركهم في السراء والضراء، عاجزاً عن التعبير عما يحبس به صدري من الألم في مثل هذا الموقف الحزير.

أخيراً، وفي ساعة متأخرة من بعد الظهر، وصلنا إلى قرية فالح. جاءوا بهيكل سربر ورفعتاه لمصمه عليه ثم نقلناه إلى داخل البيت وسط الحشد المنجم اللاواعي

دخل أكثر ما يمكن من الناس داخل العرفة وبفوا صامتة. أما في خارج البيت فقد ارتفع العويل وطلعت الحجة بصرب على صدورهم العارية بأيديهم فنسمع صوتاً كأنه صوتهم وهم يصرخون

فتح فالح عينيه وحذف في سقف العرفة، نظرت إلى وجهه الذي استبشرت فيه علامات الحياة فأرأته باهناً وشاحباً جداً من كثرة الريف وكأن وجهه فباع من الشمع لا حن فيه ولا حراك. ورجائي الناس بأن أعطيه الدواء وأتوا أن يصدقوا بأنه ليس يومعي أن أفعل أي شيء. فحيت بعد الواحد جانباً وقلت له بأن الأمل الوحيد هو أن تأخذ فالح إلى المكان الذي يمكن فيه من إجراء عملية نقل الدم. وأن كل لحظة ننصي نقل من فرص حياته. وافقني على رأيي ولكنه لم يفعل أي شيء. ووقف أناس آخرون حول العراش وهم يقولون بصوت مسموع «راح بموت». «نعم هو ميت تقريباً». «والله، فالح ما يستحق الموت بهل شكل».

طلب فالح الماء همماً، ولكن حينما حاووه به لم يتمكن من بلعه فسأل حول ذوقه ونبلت دشداشته

وفي هذه الأثناء وصل ابن أخيه الآخر المدعو حطاب. ومن حسن الحظ أنه كان شخصية لها وزنها وبطبعه الناس على الدوام. فتولى فوراً المسؤولية، فنقل فالح إلى طرادة واطلن به إلى قرية أبي حمود الواقعة في المحر.

نعمته بقارب آخر، لكنه كان ثقبلاً وبطيشاً فانتعد الطراد عما مسافة كبيرة. وعندما وصلت إلى المحر كان فالح قد نقل إلى الدبوانبة التي تعود إلى حمود ثم ذهب لينصل هاتياً بمجيد الحليفة في بغداد.

التفت بالطبيب المحلي حيث وجدته بين الحشد في الممر وسألته عن رأيه. هز رأسه وقال، أحشى أنه سيموت. وانفق معي في الرأي من أن الأمل الوحيد هو نقله مباشرة إلى البصرة. لأنه أقرب مكان لإجراء عملية نقل الدم.

ثم صاح أحدهم قائلاً: «ابن هذا الكليري». فلما دخلت العرفة قبل لي بأن فالح قد طلعي فدهست سبيل برقد حرك عينيه وبطر إلي، لكنه لم ينبس بسنة شفه. وكانت ~~أعينه~~ ~~تقترب~~ ~~من~~ ~~فالح~~ فترددت أولاً ثم دخلت ونفيت واقفاً بحاجب سريره.

انتظروا طويلاً، وقد بدأ الظلام يزداد عنمة من الخارج فحلوا فانوساً ووضعوه في إحدى الزوايا فأضت العرفة بصوه حات.

عاد حمود وبدأ لأعبتنا كأنه داخل، إدا لا بد من إبلاغ الشيخ مجيد بالخبر الذي سبب أعضائه «بحب نقل فالح إلى بغداد حالاً هذه هي أوامر الشيخ مجيد. أرسلت لإحضار ثلاث سيارات»

وكنت موفياً من أن فالح لن يشفى على قيد الحياة أنداً في رحلة كهذه على طريق وعمر حداثاً طوله (٢٥٠) ميلاً في مثل هذا الوقت الذي حل به الظلام. فلت لحمود «حدوه إلى البصرة» ثم راحوه كثيراً قائلاً «بإمكانك أن تأخذهم بالطائرة من البصرة إلى بغداد من النصاح. وإذا ألخ مجيد، أنوسل

إليك أد نأخذ إلى البصرة. إنها مجرد ثلاث ساعات من الوقت يمكن أن
بأخذ هناك الدواء الذي يحتاجه. لا تذهبوا حتى إلى العمارة. إذهبوا رأساً
إلى البصرة».

لكن حمود أجاب ببساطة «راح نروح إلى العمارة أولاً ثم نتدبر الأمر
بعنده» وصلت السيارات الثلاثة فنزل فالح مرة أخرى إلى المقعد الخلفي
لإحدى السيارات. دس جميع أفراد أسرته من وحد له مكاناً في السيارة
نساء ورجالاً ثم انطلقت السيارات. أما أما وداير فقد عدنا بجذب الزورق
مازلب مع النهر في الظلام إلى قرية فالح

تكلمنا قليلاً، ولكنني أنذكره بقول «حدث هذا الشيء بكل ساطعة،
راد برمي دحاحه ماي أخرى. حياء فالح من شأن دحاحه ماي أخرى».
نوفس داير عن الكلام لفترة ثم استنطق وقال «هاي مكتوبه يا صاحب».

وبالمسلة لي، مدا لي أبيضاً أن الحوادث مذبّر، وليست الصدفة
وحدها، وإلا، لماذا نحلط عتاي الجراطين ويملا نذيقته بحرطوشة ذات
كرات كبيرة نسنعمل لصيد الطرائد الكثيرة ويطلق النار في الماسمة الوحيدة
بانحاء فالح؟ وإلا، لماذا نصبه الرصاص في المكان الذي أصابته وهو
على بعد سبعين يارداً؟

ولما برعت ملاسي في دار فالح، رفدت في العرفة نفسها التي كنت
فيها قبل ليلة، في الصباح وأنا أرندي ملاسي وجدت في حبي الخرطوشة
التي قطعنها وبها سبع كرات كبيرة.

حرجت مكرراً ونوحجت إلى المجر، واستأخرت سيارة إلى البصرة،
وهناك سمعت بأن فالح قد نُقل بالطائرة إلى بغداد وسمعت الناس يقولون
عنه بأنه أحسن حالاً وأن لهم الأمل في شفائه. فأررفت برقية إلى صديقي
في بغداد بأن ينظري في الصباح في محطة الفطار. ولما حان موعد حركة
الفطار كنت في المحطة وأحدث مكاني في إحدى صالاتها.

ولما وصلت بغداد، التقيت مصديقي في المحطة وركبنا السيارة
 فأصدين مدينة بغداد تبحث عن دار الشيخ مجيد الحلبي
 سألت الشرطة فشرحوا لي موقع داره ثم قال بعد تفكير «لكن مجيد
 راح إلى الجف ليدفن ابنه الذي مات يوم أمس»
 هذه هي القصة التي سمعتها عن موت الشيخ فالح مجيد الحلبي



مركز تقيتكميزا مركز

١٧ - مراسيم العزاء

عدت مرة أخرى أبحث عن دار الشيخ محبّد الحليمة بعد أن عاد من المحفّ الأشراف ودهس ولده فالح هناك وحدت الدار بكل سهولته، وهو عبارة عن (قبلا) في ضواحي بغداد صعقت الجرس الكهربائي فحامي من فادمي إلى الداخل. رأيت عبد الواحد وحلماً، الأح الأصغر لمالح، حالسين في العرفة حينهما ثم انظره عكس النسيج محبّد الذي جاء من دون ناخير



رأيت عبته الحمراء وير من كثرة الضحك، ووجهه الكئيب من شدة الحر والخصاب الأبيض. وبعد التحايا الرسمية دعاني بأن أجلس بحانه على الأريكة. ثم سألتني عن أحوالي وعن الوقت الذي وصلت فيه، وهي أسئلة تقليدية تطلبها عادات العرب

عبّرت له عن حرمي الشديد وهذمت له التعاري فالتفت إليّ وقال ببساطة «صاحب. أعرف أنت صديق فالح» ثم جلسنا صامتين. وبعد فترة دخل علينا أحد الخدم وبده دة الفهوة. ولما أكملت شرب الفهوة سألتني مرة أخرى عن أحوالي ثم سكتا.

مرّ في ذهني خاطره، شعرت بأد حلوسي بحاب هذا الشيخ الكهل والمصاب يده اللوى التي قصت على آماله وطموحاته بموت ابنه إنما هو شيء أكثر مما أنحمله بتبت فترة ثم طلعت الإذن منه لأعادر المكان.

فقال لي «مع السلامة» وأجبت «إني في حفظ الله». ولما حرحت من الدار بدأ المطر بهيم واستمر هطوله طوال النهار بأسره.

وبعد بضعة أشهر، صادفت طبيباً إنكليزياً، إحتصاصياً في أمراض القلب، مستخدماً في بغداد من قبل الحكومة العراقية. كان في القصرة حينما جاءوا بمالح إلى المطار ولما سمع بالحادث ذهب من تلقاء نفسه إلى المطار وفحصه وأراد أن يجري له عملية جراحية فوراً حتى يزيل ضغط الدم المتخثر حول قلبه. لكن، قبل أن يأمر الشيخ محمد فد أصدر أوامره بنقل إسه إلى بغداد، وحاول الطبيب أن يشرح لهم بأنه هو الطبيب الإحتصاصي في القلب لدى الحكومة في بغداد، وهو الطبيب الوحيد بالمدينة. وأكد لهم بأن العرضة الوحيدة لإبفاذ حياة فالح هي السماح له بإجراء العملية فوراً. رفضوا طلبه. ثم قال لي لا شيء في الحقيقة يمكن أن يقدح حياة فالح. وأظهر التشريح الطبي بعد الوفاة بأن الكرات الكبيرة قد أثقلت القلب، وفطنت الأعصاب الكبيرة، فطمت الرئة.

إن أشد ما أدهشه هو أنني لم أكن أعرف فالح جيداً طوال هذه المدة الطويلة ثم استدرك وقال لا بد أنه كان فوياً بشكل استثنائي.

وبعد ثلاثة أيام ذهبت إلى قرية فالح لأشارك في الحزن والحداد. وصلت القرية وقت الظهر نفرياً. وكنت أسمع عويل النساء وضربانهن الإيقاعية على صدورهن وأما لا أزال بعيداً عن القرية. ولما وصلتها رأيت زوارق كثيرة راسية على الساحل وحشداً كبيراً خارج المصبف ورايات عشائرية عديدة موضوعة في المدخل وكانت طيائنها الحمراء والنفوش العصبية على سارياتها تلمع مقابل جدران الفص تحت أشعة الشمس البراقة. وكان الجميع جالس سكون داخل المصبف الذي كان معتماً حيث جلس الرجال، وعاءانهم منقوفة حول أحاسمهم، على طول جدران المصبف وهم لا يبدون حراكاً، ولما دخلت همس أحدهم بأذني فائلاً: «الشيخ محمد حارس هناك» فعبرت العتبة وحيبته وصافحته ثم بحثت عن

مكان لأجلس فيه. أفسح الرجال لي في المجال كي أجلس. عرفت بعض الأشخاص في المصيف ولكن لم يكن عدد الذين عرفتهم كبيراً ورأيت عدداً من السادة وعلى رؤوسهم الفماش الأخضر وعدداً من علماء كربلاء أو النحف الأشرف وهم بملابس سوداء مع عصامة صعبة محكمة اللق بقمماش أسود أو أبيض، وشيوخ العشائر، كلهم جاءوا مع أتباعهم من مسافات بعيدة مثل الكوت والبصرة، كما جاء أيضاً محذرو الفري وشيوخها ورجال من أبناء المدن والنجار من المحر والعمارة والبصرة كما كانت هناك أفارب الشيخ محبد وكل رجال العشيرة.

وضع أحد الصبية على سحابر أمامي ثم بهض عند الرضا من حانب الموفد حاملاً بيده دلة القهوة واقترب مني وأعطاني مبحان فهوة. وبعد لأي قال لي أحد الأشخاص الحائسين بخاني بهدوء: «ماء الحبر صاحب». ثم حفت الحركة وكان أحد الأشخاص يقول بصع كلمات من حين لآخر بصوت حافت مع من بحواره لكن الأصوات كان يسود المجلس في أكثر الأوقات ولا نسمع سوى صوتي بخاني الحائسين بخاني الذي يسمعون بها أو بدحون السكاير

بهض ستة أشخاص ونوجهوا نحو الشيخ محبد وسلموا عليه ثم عادوا الغرفة ثم جاء آخرون ودخلوا الغرفة

بدخل شخصان أحبائاً أو ثلاثة سوية وأحبائاً عشرون شخصاً مرة واحدة. وكل من بدخل يتقدم نحو الشيخ ويسلم عليه ثم يعود ليجد له مكاناً للحلوس ثم يأتي من يقدم لهم القهوة والشاي والسكاير.

وقبل أن تغادر كل جماعة، يقول أرفعهم مقاماً بصوت مسموع «المانحة» فيقرأ كل من يسمع ذلك السورة المذكورة من القرآن الكريم وأكرمهم مفتوحة كمن يطلب الدعاء من الله حلت قدرته.

كان بوسعي وأنا جالس في مكاني أن أسمع صوت الفوارب وهي

نرسو أو بنم دفعها لترحل لأنه لا يفصلنا عن الساحل سوى حدار مصنوع من الحصير، كانت العسايف ترفرف بين أفواس القصب العظيمة في السفن ولا نبالي بوجود الحاصرين

ثم بهض عدد كبير من الجالسين وقدم غبرهم أقل منهم عدداً لذلك ظهرت الفجوات الواسعة بين الجالسين حول الحدران

وكنت قد اعتدت الجلوس على الأرض من حراء نجوالي لسنوات طويلة أجوب فيها صحراء الحريرة العربية. لكسي الآن بذات أشعر بوحدون ألم في حسي من حراء نصلب العسلات وما أن بهض الشيخ محبد من مكانه وغادر المصيف ونهباً الآخرون لتأدية صلاة المغرب حتى خرجت من المصيف أبحث عن دابر. ولما رأيته سألته عن المدّة التي يحب أن أبقي فيها فأجابني قائلاً: «يعرف الكل أنك صديق فالح أعتمد بتوقعون منك أن تسقى بومين أحرس نعال هسه ويأي وأجلس مع بعض أصدقائك». ثم فادني نحو سفينة طويلة من القصب كان قد أقيمت خلال الأيام القليلة الماضية. وكنت قد خرجت من قبل مع الشيخ محبد فالح إلى هذا المكان حينما أردنا الذهاب للمصيد وكانت الشمس مستفزة في كبد السماء أمامنا على شكل كرة وهاجة برتقالية اللون، وذلك قبل إقامة هذه السفينة.

رأيت في داخلها عدد من أنواع الشيخ فالح وهم جلوس حول موفد النار الصعير وأعطية رؤوسهم مصبوعة باللون الأزرق الداكنة كعلامة للمحرر. رخبوا بمقدمي بأسلوب لطيف وقدموا لي القهوة بكثرة. ومن الأمور الحسنة أن العرب يصنع فطرات منها في المصجان حينما يقدمونها للصيف أما أنا فقد شربت عدداً لا يحصى من الفناجين في ذلك اليوم.

وفي هذا الوقت، بعد أن حل الطلام، بدأت نبات أوى بعدائها المسائي من الساحل الكائن خلف النهر، كلها بصوت واحد، مرة بعلو

وأخرى يحفض ثم يعلو ثانية. وكانت أصواتها تهتز ولها رنين عبر الأرض الساكنة ثم نخفضت بالتدريج حتى يصح الصوت كالزغب المصحوب بالعباب.

سألت عما حلّ بحاس فأجاب داير باستهزاء قائلاً: «هرب إلى قلعة صالح ودب نفسه في أحضان الشرطة طالباً الرحمة. بعده لا يزال هناك. الله يدمره».

«ومحمد أبوه».

«هو الآخر راح إلى قلعة صالح وطلب المساعدة من الحكومة. ويقال أنه كلف أحد المحامين»

«محامي» قال أحدهم «المحامي ما يكدر بسوي قد شيء. مجيد في عاية العصب لأنه راح إلى الحكومة عطفه على شيء موزين تماماً»

«معم» أبدى الآخر ملاحظة لا تليق بالمرحبة وياه عباس وبسلمه إلى مجيد، إن كان هو الفاعل، ومحقق لا يتسول من يخلصه من همة حنماً راح بفنله». وقال داير استمراً للحديث

«هذوله أغباء حذاً. راح نصير مشكلة كبيرة» ثم قال أحدهم:

«هسه مجيد يكلول بأن عباس رمى فالح متعمد بسبب النزاع حول الزراعة».

وأجاب داير على هذا الكلام قائلاً

«أنا أعرف راح بسويها»

عدت إلى المصيف فوجدت ما لا يقل عن ثلاثين شخصاً. لم أعرف أحداً منهم. عبر أن أحدهم سألني قائلاً: «هل أنت الإنكليزي صديق فالح؟». وعندما أجبت بالإيجاب قال: «مرحباً مرحباً بصديق فالح» سأل آخر عما إذا كنت معه حينما أطلق عباس النار عليه وماذا حدث. وبينما

كنت أفضل عليهم الخمر، حيء بالعشاء فأكلنا عصمت كما هي العادة ثم أخذنا نتكلم بعد ذلك إلى أن جاء الخدم ومعهم العرش وبدأوا بربوبها حول جوانب الغرفة.

ولما أصبح الصباح، كان المصيف في هرج ومرج، فبدأ المائمون بهضون نباحاً ويسلون أيديهم ووجوههم ويعصيم يئوضاً حتى يؤذي صلاة الفجر. جلسنا على طول الجدران ولف الخدم العرش ثم رفعوها هبأوا القهوة وبدأنا بشرها ثم جاء صبي بحمل طعماً كبيراً مملوءاً بأفراص أرغفة من الخمر وألقى واحداً أمام كل شخص منا. فبدأنا نأكل الحبر وشرب فذحين أو ثلاثة أفداح من الحليب المعلي

وجاء الشيخ محب فهصا إحلالاً واحتراماً لمقامه وكان بصحه إيه الأصفر حلف وان فالح عبد الواحد وأخرون من أسرته

حبانا ثم جلس في المكان  الذي كان فيه قل يوم وجلسا بحس أيضاً في أماكننا حول الجدران

بدأ الناس يدخلون المصيف بالتدريج حتى أكنط بهم ورافقت الشيخ محبداً فرأيت متعماً حذاً، محطم الفلب، مملوءاً بالأمس والحزن. لحبته رمادية اللون عبر مخلوفة وكرشه الكبير بتدلى أمامه وهو رجل عحور. أخذ بتكلم بعف وغصب ويقول «لبش يكون الموت لفالح؟ لبش فالح؟ يا رب، هسه ما بني عندي أحده» ونذكرت أن ولده الأخير حريبط كان قد قُتل قل ثلاث سنوات.

وحاول من كان بحابه نهدته فقال له «عندك حلف وعبد الواحد».

لكنه صاح «لا. لا. ما عندي أحد هسه ما عندي ولد. أوصي إيش راح بصبر بها لما أموت؟ أبش راح بصبر لأرضي هسه بعد ما مات فالح».

وفي هذه الأثناء وصل عدد آخر من المعربين ودخلوا المصيف وحبوا الشيخ محبداً فردّ على نحبهم ثم غاص في تفكير عميق.

وفي هذه الأثناء، حدث صبح عالي على الساحل، ارتفعت أصوات الرجال واشتدت صريرات المحاذيف إبه جماعة، أنت للتعربة، وهي نحمل ساددها. نزلوا من الفوارب وشكلوا رنلاً مفرداً وراء رجل طوبل القامة، بحسم صحم، يرتدي عاءة مطررة بحبوط ذهنية مصبوعة من أجود حبوط الوبير.

همس أحدهم من أثناء الصرة وقال «مو هذا الرجل؟»

«هذا سليمان بن مطلق» أحاب الشخص المحاور

كنت قد سمعت عن سلمان، الشيخ البار من عشيرة الأبرج، رراع الشلب وأراضبهم محاور لأراضي الشيخ محبّد ولكسي لم ألتق به أبداً حينما روت عشيرته



كان وجهه شاحباً، إلا أنه مقلّي الحسم، تدو عليه علائم رقبّة من حراء السوات التي عاشها مراحاً، وأمضى معظم أوقاته في بغداد، شأنه شأن الشيوخ الآخرين من أمثاله.

جلس بحباب الشيخ محبّد وجلس أناعه في أماكن كل حسب منزله ويحمل كل واحد منهم تحت العاءة حنجرأ وصف رصاص منقاطع مملوء بالعناد. قدّمت لهم القهوة والشاي ثم ساد المجلس سكون رهيب ثم قال سليمان «الفانحة» فقرأ هو وأناعه سورة الفانحة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين. إياك بعد. وإياك ستعين. إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين». آمين (صدق الله العظيم).

كنت آمل أن يقدموا العداء في الحال حتى أتمكن من مذ سافي ولكن على العكس سمعت صوت إطلاقات ناربة عربية وعوبلاً بشكل جنوسى وهذا يدل على قدوم جماعة أخرى. ولمحت من خلال محاز الباب رابة عشائرية وحشداً من الناس وقد لطفوا رؤوسهم وملابسهم بالطين. وقال أحدهم للشيخ محبد «هذوله من قرية فاب» وكان معهم ما يقرب من (٤٠ - ٥٠) شخصاً من قرية يومبقات

نوجه الكل برنل مررد، الواحد بعد الآخر، نحو محبد، بقبول هذه ثم يعودون ليجدوا لهم محلاً في المصيف عرف معظهم. ثم سمعنا بعد فترة وجيزة صوت إطلاقات أكثر عرارة وعوبلاً أشد. إنهم من قرية العكار

والآن، مضى على الطهر وقت طويل ووصلت في هذه الأثناء ثلاث رابات عشائرية أخرى تعود للعشائر القادمة للتنزية فل أن نحمر الحامد الشيخ محبد من أن العداء جاهر



كان ينهض في كل مرة ~~لتنزيتهم~~ ^{لتنزيتهم} بنحوهم نحو السفينة التي كنت فيها في الليلة السابقة وبنالول الطعام من صواني كبيرة عليها كوم من الأرز وهوفا لحم الضأن

وعندما ننهي كل جماعة من أكلها بملأ الحدم الصواني بالأرز ولحم الضأن حتى نأني جماعة أخرى وهكذا بنالول الجميع العداء، داخل المصيف، وخارجه.

ثم نهضوا من أماكنهم وبدأوا بالهوسات وهي رفصة الحرب ضد العشائر. وكانت كل جماعة تردد مقطعاً من قصيدة بلغها أحدهم في مدح الشيخ قالح كانت شادغم مرفوعة فوق رؤوسهم وبصربون الأرض بأقدامهم يهززون ثم يدورون حول الرابة القرمية

والرجال الذين يمسكون الراية هم رؤساء الأسر الذين نسمح لهم

حقوقهم العرفية بحملها في المعركة وكان هؤلاء ينزولون أعمدة الرابات حتى تحدث أصواتاً تزيد من حماسهم. ويستمررون على هذه الحالة بضربون الأرض بفقرات وينشدون فصائد المعركة ويسداون بإطلاق الرصاص من بنادقهم بشكل متعرق في البداية ثم يهجم الرصاص كالظفر من الحشد بأمره بحيث أنني لم أسمع مثلها إلا في الحرب

إن رافعة البارود تدخل في خباشيمهم فتتهجمهم وتزيد من حماسهم فيبدلون جهداً أكبر. وما زالوا يمارسون الهجمات حتى صاح بهم الشيخ محجد «كفاية» فاندفع حذمه بين هذا الحشد وهم يصيحون «كفاية» الشيخ يقول «كفاية». فنوفوا وهذاوا

دخلنا المصيف مرة أخرى.

وبعد مصي عدة ساعات، غادر الشيخ محجد المصيف بعد عبات الشمس، فخرجنا من المصيف

كنت أنحدث مع جماعة من الكنائس ونحن على شاطئ النهر، إذا نصبي بمر من أمامنا مسرع ويصيح بكلمات لا أفهمها وانطلق عدد من الرجال إلى دورهم مسرعين. وأنا أعلم أن القوم لا يرالون في هباحهم ولكن مع ذلك سألت قائلاً «ماذا حدث؟»

أجابني أحدهم قائلاً: «در محجد بعض الرجال حتى يقتلوا محمد».

فقلت: «لكن محمد هو في فصه الحكومة في قلعة صالح».

«لا». يقولون أنه عاد إلى داره في المحر».

شاهدت من خلال النصباء الباهت زورقين بسلاط يعكس المحرى محملين بالرجال المسلحين لبأخذوا ثار فاج

وكنت أسمع في هذا انوفت عواء سات أرى من الحجاب الآخر من الساحل كأنها ترفض مثل هذا العمل

صبيكون محمد في أمان طالماً لا يرال واحد من قلعة صالح.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

١٨ - الأهوار الشرقية

نصحتني دابر بأن أبقى يوماً آخر. فاستأذنت في اليوم التالي من الشيخ مجيد وعادرت إلى قرية قباب مع عمارة وسبني اللدبي كما كنا معي في المصيف في الليلة السابقة. وحدثهما في عاية التأثير والحزن بسبب وفاة الشيخ فالح. كانت الدموع تنهمر من عيون عمارة حينما كنا بعدداهم الطرادة وهو يقول «هو أنوما. كان يسمى صديق الصديق وحبهما بأنني إلى قربتنا يطلنا لبستصر عن أحوالنا»



ومن حلال نحوالي في السنة الثانية أصبحت الناس في أماكن بعيدة نفع على الحدود الإبرابية وأماكن نفع على نهر الغرات بالقرب من الناصرية يذكرون وفاته بأسى عميق. وكانوا يسألوني «هل أنت صديق فالح؟» وكانوا يرحلون بي ترحباً حاراً. وما كنت أدري أنه معروف بهذا الشكل وأن له شهرة واسعة وأنه رجل محترم

حفظنا بأن نقصي الأسابيع الستة التالية في الأهوار الشرقية. سنا ليلة واحدة في مصيف فالح حيث قام ولده الصغير بواجب الصباغة. كانت قرية قباب أيضاً تلبس ثوب الحداد فيها. حل قليل من الناس إلى المصيف ولا يمكنون إلا فترة قصيرة ثم يخرجون

وفي صباح اليوم التالي، التحق بنا ياسين وحسن فذهبنا جميعاً إلى قرية البوحيث وهي قرية صغيرة من قرى الأهوار وأمضينا فيها ليلتين

فضبناها بالعمل الدؤوب من التطيب ثم رحلنا. وبعد أن عبرنا من نحت عارضة حسر بحر من فوقه طريق الأليات من البصرة إلى العمارة ويغداد، وصلنا إلى نهر دجلة نحت مدينة العرير ثم جدها بعكس المحرى وعمرها مزار عررا ذي القبة الخضراء وأجرها الأزرق.

بقي العرار بين أشجار النجيل الباسفة وهي حواشيه غرف منداعية لنوم الزوار.

والعرير نفسها مدينة فدرية، ينوقف فيها سائفو اللوربات والحافلات للاستراحة. وهناك محرفة للطاوق، نعد بصعة أمبال خلف القرية وهي قائمة في هذا المكان كأنها مذابح الفرائس في الكنائس

وإن مثل هذه المحاري هي التي كان البابليون بحرفون فيها الطاوق لبسوا دورهم منها. أما الآن فإن الطاوق المستخرج من هذه المحرفة يستخدم لساء الدور ذات الطابق الواحد في ضواحي البصرة.

قطع بأسبب علي تمكبر في حبيما قال لي «بفولون بأن الكوسج مسك رحل في التفتين في الرحلة». وأنا أعرف أن الكوسج بهاجم الناس أحياناً حبيما يستحمون في شط العرب في البصرة. أما العرير فهي بعيدة إذ تبعد عن البحر مقدار (١٥٠) ميلاً وعن شط العرب (٨٠) ميلاً. وعندما أظهرت نعتي، أكد رفافي الصبيان بأن العرير هي أسوأ مكان للكوسج. وفي المرة الثانية، عندما كنت في العرير، أحترني أحد الغرويين بأنه في أيام زمان صادف والده سمكة ضخمة سذت النهر، في مكان فيه مياه صالحة ولم يتمكنوا من التخلص منها، إلا بعد نطبعها في مكانها، ولما جدها في امتداد النهر، سألت عما إذا كان يوجد الكوسج في الأهوار. أحاب حس بأنهم كانوا بصيدون الصغار منها بالرمح قبل بضع سنوات. فاطعه عمارة قائلاً لي «هل سمعت بأن ضيع مثل شخص بعبابك؟». كان نائم في العراء خلف المحر ونهش وجهه. وجدوه ميت ونعرف عليه من ثبانه»

كنت قد شاهدت صيغاً مخصصةً قبل ثلاث سنوات وأما الصياع
المرفطة بفتح واسعة فتواحد في أفريقيا

كانت الأسود نعش في هذه المنطقة قبل أربعين سنة من هذا
التأريخ. ولكن العشائر قصت عليها بعدما حصلت على بندق حديثة خلال
الحرب العالمية الأولى

أخبرني مرة أحد خدم الشيخ فالح، وهو رجل كبير السن، كيف أنه
شاهد ثلاثة صياع بالقرب من المجر وشرح لي رجل آخر كيف يصطادون
الأسود حيث اشتبك هو في صيدها في مكان لا بعد كثيراً عن مدينة
العمارة وقال شخص آخر كنت قد صادفته بأنه شاهد شلب حطى بهما
جماعة من المعدان فأحدوهما إلى شيوخهم ويذكر الرجال المسنون أنهم
كانوا يسمعون زئير الأسود لئلاً



نحولنا في سبيلنا إلى مجلس مياه عريضة بقودنا إلى الأهوار الشرفية
صادفنا قارباً كبيراً ذا صاربنين مهيكلين بالحصران إلى ارتفاع عال بدفع بجهد
كبير نحو نهر دجلة، ثم مررنا بعد ذلك بقفوف كبير مصنوع من الفصص
البابيس، طولها (٤٠) قدماً وارتفاعه (١٠) أقدام وكان حائلاً في الماء
ومهجوراً موفناً وعندما برز مسوب الماء، نطقوا هذه الأطواف من
الفصص ونسبر مع المحرى وربما تصل إلى الصرة ثم نمكك ونباع.

أمصينا الليل في قرية بصات الوفل، وهي أكبر قرية شاهدتها في
الأهوار.

ونألف هذه القرية من (٦٤٠) بيتاً ولا يوجد فيها أي مصيف. وكانت
مجموعات البيوت المختلفة مبنية على امتداد حافات الأرض الباسية،
تفصلها المياه. وفي بعض الأحيان يحب الماء حينما ينخفض مسوب نهر
دجلة فيعادر الوفل فراهم ويصون الحجام على امتداد النهر مع جيرانهم من
«السوعمام» الفاطنين في الشمال ومع السوحت الفاطنين في الجنوب.

ويعملهم هذا بكونون الشدة. وهي فحد صعب المراس من عشرة
 النومحمد. يرمي النوقل الحواميس. عبر أنهم يعتمدون في معيشتهم على
 حياكة الحصران حيث يصدرونها بأعداد كبيرة فتأتي الفوارب الكبيرة كالتي
 شاهدناها من قبل وتأخذ الحصران حينما يرتفع منسوب الماء حتى يسهل
 المرور به. وكانت المياه في هذه السنة عالية بشكل استثنائي.



من الأهوار الشرقية

مكثنا عند المختار و تناولنا طعاماً رديئاً فتصابفت من ذلك لأنني كنت
 قد عالجت عدداً من أفراد أسرته وأعتقد أن الفرويس عموماً حشو الطباع
 فرحلت من فرينهم دون أن أشعر بأي أسف على الفراق وشاركني في
 شعوري هذا رفاقي فكانوا يندمرون ويقولون بأن مضيقنا لم يقدم لنا الحليب
 في المطور بل إنما اكتفى بتقديم فدهيس من الشاي محلي بسكر قليل شربناه
 مع الحمر

وقال ياسين باردراء: «اللعاب ما يسيل على مثل هذا العطور». وعلى أية حال، كان ذلك النهار لطيفاً جداً وانعشنا كان الهواء معشاً وصافياً، بهيب السيم العليل من الشمال والشمس نعت بأشعتها الذهبية ونحمل النهار دافئاً غير أن هناك عيوماً دائرية الشكل منتشرة في السماء الزرقاء الباهتة. حدودا الطراد في قنوات صنفه متواصلة ثم اعطفا عر سهل مكشوف مغلي بالبردي المنسافط.

ففي الأهوار الوسطية، ما عدا في الأهوار التي فتكون بالمناسيات، بنحدد محال الرؤيا إلى حد يصع باردات لوجود مبات القصب. وهنا في هذا المكان بإمكاننا أن نرى لمسافة عدة أميال

كانت الأرض باسة طوال فصل الشتاء. لذلك مراها الآن كذلك كالصغار لأن المياه لم نعرها وكانت رمادية اللون. أما في الأماكن الأخرى فقد عطلت المياه المرنعة الأرض على نضع عند ذلك كان لونها كالطين أشبه بالشوك، لانه المداية.



منطقة شوكية كبيرة

وبمسيرنا هذا هبنا كثيراً من الطيور المائية، فمعصها طار بمفرده زاعفاً وبعضها الآخر على شكل مجموعات كبيرة، نندفع في الجو ثم نسدبر فوق سطح الماء والبردي الأبيض اللون. وعرفت بها طائر الكروان والعبوب والبططوي الأحمر الساق والمحفص والمائي ذا العنق الأحمر والطائر السكات والطائر الطول وأوعاً أخرى من الطائر الرفراف كما كانت ننشر أعداد كثيرة من الط طارت فل أن يصل إلى مسافة نكود فيها صمن مدى الرمي. وهناك مائك الحريس وأبو المسجل والثلثون الأبيض والطائر أبو ملعفه ومرة شاهدت من مسافة بعيدة مجموعة كبيرة من طيور الكركي.

كان حسن نندفع باستمرار نحو كل طير يعتقد أنه صالح للأكل لكنه لم يفتر أبداً منها نحبث بنمكن من ربه. لذلك كان يعود في كل مرة

مخفي حين وينلفى الانتقاد اللاذع لأنه لا يقع كصائد للطيور البرية. وكان بأسين وسبني في عصون ذلك يسيران على امتداد الساحل ويدفعان الطراد بواسطة المرادي.

كان محرق الماء واسعاً يكفي لسير الزورق ويعطف أحياناً بشكل حاد على شكل زاوية فاسحة ولكن الحداقر نمكوا في النهاية من تسهيل استدارتها لأن زورقنا كان بطول (٣٦) قدماً. ولهذا السبب رأيت أنه يجب أن نعود. ارتدبت الدشداشة مثل رفاقي فإذا نوحب عليّ النزول إلى الماء لمساعدتهما أثت الدشداشة حول حصري وكنت أرتاب دوماً من أولئك المسافرين الذين يرتدون الملابس المحلية دون سبب يستوجب ذلك بل هي عادة لديهم حتى يلقنوا الأبطال إليهم. والملابس العربية ليست سهلة الاستعمال إن لم يكن قد اعتاد المرء عليها. وأما أنا فقد اعتدت على ارتداء الملابس العربية طوال حملتي. حينما كنت أنحول في القسم الحربي من الجزيرة العربية حتى أظهر كواحد من العرب وسخلاف ذلك سأكون شاداً عنهم



مركز توثيق التراث الحضاري والحضاري

أما في العراق، فقد اعتادت العشرات العراقية على رؤية الملابس الأوروبية فتراها مقبولة لأن جميع الموطعين الحكوميين لا يرتدون عبر الملابس الأوروبية، وارتدبت الملابس الأوروبية حينما ررت الأهوار لأول مرة ثم لما شعرت أنني سأكون مقبلاً لديهم إذا ما ارتدبت الملابس العربية. وصعدت الكوفة على رأسي ثم ارتدبت سترة فوق الدشداشة الطويلة. وأصبح هذا الري مقبلاً حتى عند المعدان. وعندما كنت أجلس في الزورق أو أمتطي ظهر الحصان نكون الدشداشة قد حافظت على سيقاني وأقدامي من لسعات الذباب والعوص لكنني كنت دائماً أعبر هذه الملابس وأرتدي الأوروبية قبل رباتي للموظفين أو الذهاب إلى المدينة.

كنا نعر جزءاً من العويسج، وهي عبارة عن امتداد من الأرض بعوص في المياه عند الفيضان فقط. وهذا يفصل نهر دجلة إلى مسافة (٢٠)

مبلاً أو أكثر كما تفصل المستنقعات إلى محيطها في أماكن أخرى اعتباراً من هور العظيم وإلى الشرق ولما كانت هذه الأهوار عميقة بشكل عام فإنها تشكل أحسن مكان للحواميس، لذلك يسيل المعدان إلى ساء فراهم على امتداد العويسج أو على مصبات الكحلا والمشاريا إلى الشمال. وفي فصل الخريف يمر بدور ربعة المربحات نهر دجلة مع قطعان هائلة العدد من الحواميس ويصون حياهم ويفصود فصل الشتاء هالك. أما في فصل الربيع فيعودون عبر نهر دجلة ثم يعقبون فرع الوادبة سبطاً منحهب نحو الشمال ويرعون حواميسهم على حقول محاصيل الشعير والحنطة وهم في طريقهم إلى المجر حيث يسمح لهم بهذا العمل محاباً مقابل السماد الذي يحصلون عليه منهم. ثم ينتقلون إلى العرب إلى (جندالا Jindala) حتى يفضي فصل الصيف في هذه الأراضي الصالحة للرعي والتي لا مثيل لها. ويمر العشب حالماً نحسر الماء عنها، ولكن من أجل هذا، عليهم أن يدوموا للشيوخ أموالاً باهظة



كان عمارة ينتمي إلى ربيعة فها أن يحل أفره في أبو لبلى وهي أكبر مخيم شتائى لهم، يقع على مسافة قريبة منا ولما افتربا، رأينا قطعاناً من الحواميس بحرسها عدد من الصبيان وشاهدت بين هذه القطعان حاموساً أبيض اللون قريباً وعدداً آخر من الحواميس المرفطة باللون الأبيض والأسود. ولما كان حجم القطيع قد أثر في ذلك سألت عن عدد ما تملكه الأسرة البدوية الاعتيادية من الحواميس.

فأجاب عمارة قائلاً: بين ٢٠ - ٣٠ جاموساً غير أن حسن أخذ بصري في قوله بأن معظم الأسر تملك أكثر من هذا العدد بكثير. وذكر اسم إحدى الأسر من ربعة كدليل على صحة قوله بأنها تملك (١٥٠) جاموسة. ثم سألت. «في أي عمر تلد الحاموسة؟»

«عادة، تبلغ الرابعة من العمر» قال عمارة ثم استنرد في الفول «مدة الحمل أحد عشر شهراً، والحاموسة الجديدة تلد إلى حد خمسة عشر

«محللاً». ولما كثرت اعرف أن المدور يقتلون عادة ذكور الإبل عند الولادة حتى يحصلوا على حليب أكثر لأنفسهم. لدل سألت عما إذا كان المعدان يفعلون الشيء نفسه مع حوامبهم.

«نعم. ما لم يكن الرجل يمتلك عدداً قليلاً. ويحتفظ عادة بعجل محل حتى يبعه حينما يكبر فإذا دبغ العجل فإنه يمسح عادة في المحال للأخرى بأن ترضع كما بكثير عند ذاك حليب الأم وينحس، وتراء يمسح الوحل. من الوليد الجديد معاءة ثم يربدها حينما يريد أن يحلب أمها. وإذا مات العجل فبضعون أمامها حلد محل محشواً إذا أرادوا حلها».

«كم يدفعون ثمناً للجاموس الواحد؟»

«كانت الجلابة يدفعون خمسين ديناراً تقريباً للمحل الواحد إلى الشهر الماضي و(٣٥) ديناراً للمحل»



والجلابة تزار حاصون، يتجولون في المعدان، ينزرون الحوامبي

وتذكرت أن الأهالي في المنطقة يستعملون كلمة الجلابة لتجارة العبيد فقط. ويشترى هؤلاء التجار حلود الحيوانات التي نموت خلال موجة الشتاء المسمى تربف نعر الدم فبذلك القسم الأعظم من الفطيع. ويعرف سكان الأهوار بأن هذه الحلود تحمل معها العدوى ولكنهم لا يمتنعون من شربها ولو أنهم يحنحون بعصب إذا ما حلب الناحر معه مثل هذه الحلود إلى فرائهم.

وبهذه المناسبة قال حسن «قبل بضع سنوات حدث مرض الفلابة، فأصبحت معظم حوامبها بهذا المرض حتى أنها أصابت الخنازير البرية. وكنا نحد الخنزير الذي لا يستطيع السير أنه مصاب بخدمه بشكل سيء بفعله عن السير».

أخذ محري الماء في «أبو لبلى» بنسج بحيث يصح عرضه (٣٠) بارداً

تفرياً فكنا نشاهد الجواميس غائصة في الماء وعبرها واقفة على حافة الماء. كما شاعدا روارق عديدة، معظمها كبير ومسحوب إلى الشاطئ. ونرى الأطفال يحدفون حولها على أطواف صعبة مصنوعة من أعصان الأسل. ورأينا الببوت منتشرة على امتداد الصنعتين ويبلغ عددها ما يقرب من مائة بيت.

كانت بيوتهم صعبة الحجم، فيها خمسة أفواس فقط وهي فعلاً تبدو صعبة إذا ما فورت شقائق الجواميس الملحقة بالبيت والذي يسمونه (سنره) لأنها بطول (٤٠) بارداً تفرياً

والسنره على خلاف البيت نفسه، مصنوعة على شكل حبة ولا تعطى بالحصار. يصم سبقان الفص إلى بعضها البعض حتى تشكل الحدران، ونجعل مائلة إلى الداخل وتثبت دعائم يثبت فوق الرؤوس ثم يكتم السداد والحشيش على امتداد الحدران من كل الجانبين ثم نرص بالأقدام.



نوفنا في إحداها وهي تعود إلى من عم حواره. وهو صبي طويل الغامة هادي، إسمه بادي. ولما رأته في ذلك المكان وكنت إلى صدره بحرارة لأنهما أصدقاء فل أن يكونا أقباء ثم حلب البسط والوسائد

جلسنا تحت أشعة الشمس في مدخل السنره الذي ينود المرء إلى الحلب مثل الفلق إذا ما أراد الذهاب إلى البيت

كانت روحته وأخته ندقان لثلب في طمحه لعدائنا. وكان والد بادي قد توفي فل مساوات كثيرة، لذلك أصبح رئيس العائلة التي تتكون من الأم والزوجة والأخت وأخوين صغيرين كانا حبيداك خارج البيت برعبان الجواميس. كانت علاقة بادي سيئة معائلة أخرى تسمى وضوي الذي يعيش في محبم قريب. وكان حسن أحد أولاد وضوي في عرام مع روحه بادي وبأمل أن يتزوجها.

ولكن، بما أن بادي هو ابن عم الست فهو أحق من غيره برواحها

عرفاً ونقابيد. لذلك حينما طلب حسن يد هذه البنت كان يادي له بالمرصاد
فاستعمل حقه هذا وأصر على رواجها ولما نروجها يادي، أضمر حسن له
الحقد وأقسم بأنه سبأحد روحته حتى إذا انقضى الأمر ارتكاب جريمة.
وفيل وصولها بعدة أسابيع، نشاء الصدق، أن يتلافى حسن ويادي فيها
بالعراك حتى ندخل الناس بينهما وذهب كل منهما إلى حال سبيله. ولما
سمع الحاضرون هذه القصة أعطوا الحق لادي وحطأوا حساً.

ثم سمعت رجلاً طاعماً في السن يقول «حسن بن رصوى، الإس
على سر أبيه، كلهم حارحون على القافون وباس موحوش. موش رضوى
قتل شخصين لما نلاقي معهم»^{١٩}

وانتهر عماره فرصة وجوده فأراد أن يصلح بينهما لذلك طلب بأن
يرافقه ثلاثة رجال من كبار السن للقيام بهذه المهمة ولما ذهبوا وأمضوا
النهار هناك لم يفلحوا في مهمتهم فعادوا في المساء بحقي حين وقال
عمار يارداء «ما بكدر أحد بسوي شي بياهم حتى السبد سروط نفسه
ما بكدر بسوي شي» أشرفين في الليل بطلق يادي روحته والاً
بتحمل العاقبة». ثم أحد بكدر يادياً فأنال له: «لا نروح قريب منهم حلبي
سدفتك بأيدك خصوصاً بالليل. هدوله يريدون مشاكل»

عانت الشمس، وهب الهواء المارد، وبدأت الحواميس المناخرة
والأكثر سواداً تعود من السهول الأكثر عنمة إلى القرية وكانت العيوم
الشفافة، معلقة في السماء، لا تشد ألوانها، نمر في السماء أماماً، والبط
يطير على شكل مجموعات صغيرة متعاقبة متجهة نحو الغرب

دخلنا العرقة نفسها وامتلاً العمر الطويل نطبع الحواميس ذات
الأحسام الصلبة نحمل في رؤوسها فروياً سمكة ومفوسة.

ينتهي عماره إلى هذه العشيرة المدوية من الفريجات. ويكفاله
وأدويني التي يشهد بها الجميع دخلنا إلى مخيم آخر، فرحبوا بقدمنا. أما

عشيرة الربيعة فهم أناس يتميزون بالعباد والمحروج على الفانود لذلك نراهم مدحجين دوماً السلاح، لا يرتطرون مكان، فهم أحرار ينتقلون منى بشاؤون وأين ما يشاؤون

واعناد هؤلاء الفوم على حرق القصب الذي يعتمد عليه (نوفل البصات) في صاعة الحصران وذلك ليؤمنوا من سانات جديدة كعلف لحواميسهم ولهذا السبب هم مكروهون من «نوفل البصات».



في الأهول الشرقية

وهؤلاء الفوم هم أيضاً في عدااء مستمر مع السويد المعدان. وهؤلاء أيضاً هم أناس خارجون على الفانود ويسكنون بالقرب من الحدود الإيرانية.

وهذه العشائر يسرق كل منها حواميس العشيرة الأخرى حينما نحين الفرصة.

غادرنا الفريجات وتوقفنا في قرية طراه Turaba وأمضينا الليل فيها وهذه قرية كبيرة، نعلم على صاعة الحصران مثلما نعلم البصات عليها ونسكنها عشائر البوغنام

وكنت قد كتبت نفسي حينما كنت بين المدو على أكل الأرز والحليب. وهنا في هذا المكان كنت أنوِّع أن يديحوا لنا على الأمل دجاجة، لكنهم لم يفعلوا ذلك. وعندما حلّ المساء وجلسنا لنمصبة الوقت مع مضغنا رأيت أنه بدأ في سب المريحات ويلعبهم مما حدا بي لأدافع عنهم بشكل مرط.

وفي صباح اليوم الثاني، طلب منا أحد الرجال من منطقة الكحلا أن نحمله معنا في الرووف قريبا ذلك لأنه سيرشدنا في سبنا من خلال مانت القصب الكثافة أمامنا لأن بأسس كان قد سألهم في مسار اليوم السابق بعض الأسئلة ليحصل منهم على معلومات وافية عن الطريق الذي سنسلكه فأحانوا بصرورة وحوذ أحد الأولاد معنا وإلا سنوه كنا سنسلك طريقاً يمر من خلال القصب العالي وعبر بحيرة صغيرة، بصعب علينا نمييره. وإسي أنذكر جيداً بأنني سمعت لأول مرة صوت الطائر الواق في هذه السفرة. أمضينا أربع ساعات في سبنا حتى وصلنا إلى قرية دس Dibin وهي القرية التي نفصدها ونفع على مصيبي الكحلا كان رفاقي ماهرين في تذكر الطريق واكتسوا معلومات كثيرة عن الأهوار خلال السنوات التي أمضوها معي بحيث لا بدائيه فيها أحد. وكانوا عربزياً، بهندون إلى الطريق الصحيح حينما يكون في أماكن لم يصلها من قبل أبدأ. وقد لاحظت خاصة هذا الشيء حينما كانوا يبحثون عن الطريق الصحيح بين القصب والجرر الصعيرة الواقعة على إمتداد حافة البحيرة حتى يحدوا مدخل مصب النهر الصغير الذي لا يمكن نمييره من بين مئات المجاري الأخرى المؤدية هناك

وهؤلاء الناس يكتسبون المهارة في إيجاد الطريق منذ طفولتهم حينما يتعضون أثر حنيرير يسبح في الماء. ويمقدوهم معرفة نوع السمك من الأثر الذي يخلقه أو معرفة الرووف من أول لمحة يرويه فيما إذا شاهدوه من قبل، وعلى أنه حال، أقول من العرب أنهم لا يندكرون الأسماء وأما

أيضاً كنت أعاني من هذا الشيء. وكنت دائماً أغضب حينما لا يندكر أحدنا نحن الأربعة ويعرف اسم آخر مصعب تركها عبده.

كنا نسنم في الحذف وإذا أراد أحد من رفاقنا أن ينوف، يصبح علينا بالنوف فنترب من الردي وينفع سافه الحديث النمو حتى نأكله ويكون مثل هذا الساق طرياً، ماهت اللون، يسمو بالغرب من الحذور، ويظهر أن هناك أنواع معينة من الردي تكون صالحة للأكل، وكانوا أيضاً بمصنوع من حبس لآخر سبباً معيناً من الفصص كما لو أنهم بمضعون نصب السكر

وفي الربيع، نجمع نساء المعدان رؤوس البردي ويصنع في ظلها
الحرق فيصبح بلون أصفر ويكون صلباً، يشبه الكبك المحمص عبر أبي
وحدث طعمه غير مستمتع. أمضينا نضع لبالي في قرية دس، نطلق في
صباح كل يوم حتى سنكتشف أهوال الخويزو. وحذا بحبرات واسعة مثل
بحيرة (زكري Zikri) محمية وراء مابث الفصيح الواسعة الانتشار.

كان دليلنا بحسبنا على الحق في حمل رسالتهما ونكون في حالة الاستعداد وذلك حينما كنا نحذف في طرف مائة بصعب تحديدها بحيث نلوح لأعيننا بأنها سوف تنتهي أمام جدار صلب من الفصم . وكان يكرر القول «إن اللصوص سوف يقتلوننا هنا دون أن يعلم أحد بنا أبدا»

نصح هذه الحبرات ملاذاً طبعياً لجميع أنواع الطراند بحيث لم أحد في أي مكان آخر مثل هذا العدد منها، وهذه الكثرة جعلت المياه الصالحة تظهر بلون أسود فاتم. كما أن هذه الطيور كانت تحدث صحباً لا مثيل له حينما يطير فسم منها من المكان الذي نجعت فيه.

ونشعر هذه الطيور في هذا المكان بأمان أكثر ونعيش عيشة هادئة لعدم وجود أناس في هذه المنطقة ما عدا أولئك الأشخاص الذين يعيشون على التهريب فيسلكون هذا الطريق إلى إيران، ومع ذلك، كان عدد البط والأوز يتناقص في منطقة الأهوار سنة بعد أخرى

ففي سنة ١٩٥١ كنت قد شاهدت البع وهو يطير عند غروب الشمس بإعداد هائلة كأنها أسراب حراد حتى ثغثات على محاصيل الشلب بالغرب من سيكال. وعندما عادت الأهوار في سنة ١٩٥٨ لم تكن فيها أعداد كبيرة كالسابق. والسبب في ذلك هو أن الصيادين كانوا يصيدونها بواسطة سادف الصيد بأعداد كبيرة بالإضافة إلى إصطباحهم أعداداً كبيرة أخرى بواسطة الشكات. وكانوا يدععون المال للشيوخ للسماح لهم في استخدام بعض البرك فصعوا الحبوب فيها حتى تتجمع مثل هذه الطيور.

وهناك أعداد كبيرة من البرك الصغيرة حول مدينة العمارة

والسبب الآخر هو أن عملية إستيراد الحراطيش كانت تجري على قدم وساق مما سهل على الصيادين الحصول على ما يريدونه من الحراطيش لإشباع رغباتهم في الصيد.

إعتاد الور البري على المشي في الأهوار في شهر تشرين الأول. ولهذه الطيور سببان رمادية وصلبة وهي تأتي من الشمال عائدة من الأرض التي نفقس بيوضها قتيلاً في سجنها وقدمها بسحر الأماكن الرية. ويطير الوز البري في السماء ويتخذ تشكيلات بدبغة نسر الباطرين

راقبت يوماً طيراتها خلال النهار وفكرت في ذلك اليوم الذي فصي فيه على آخر ور مري كما فصي على الأسود في أربفبا.

كما يستعير أحياناً (كنلي) في كل صباح قبل المعادرة للامتكشاف، كما كما تستعير عدداً من الأقذاح والأطاق لشرب به الشاي فيرودا مضيئاً في (دس) بهذه الأشياء. ويشتري حن الشاي والسكر والملح والدقيق من النقال.

وعندما نشعر بالجوع نتوقف عن التحديق ونسحب مكاناً ملائماً على حافة البحيرة ويدوس على القصب حتى نعبه كرصيف بساعدنا على الوقوف فوق الماء وبعد في هذا المكاد وجبة الطعام.

كان حسس بشوي الظور الي صطادها موما كان نوعها ويحز سبني
 على جحرات البار أفراس الحمر ولم يحس حبرها لأنها نفى بدي ومليئة
 بالرماد. ثم نهى من بعد ذلك الشاي وشربه حتى ينتهي السكر الذي
 حوزتنا. وكما نراف من مكاننا هذا الط في البحيرة أو طور الفاود التي
 تنقص على السمك.

وشاهدت في إحدى المرات زوجاً من ثعلب الماء، بلعبان سوية على
 بعد مائة بارد عنا. ولما أراد حسس أن يأتي بالسديفة لصطادهما شاهداهما
 بهريان بعداً لألهمما اكتشعنا. وبعد فترة طهرا من مكان بعيد عنا وبدأ
 بطران إلينا ثم بعوصا ويحتفيا. وقد سري حداً ألهمما رأياها وإلا كان
 حسن بصطادهما لا محالة. ولخلود هذه الحيوانات فبما إذ بيع الحلد
 الواحد بدينار. وقد اصطاد عمه في قرية بومبيات في إحدى المرات (٤٠)
 ثعلب ماء خلال شهرين.



وأحزني حسس بأن ثعلب الماء تتواجد كثيراً حول بحيرة ركزي حيث
 تنكسر في الحرر العاتمة ^{ويذكر ولادتها أحياناً في شهر كانون الثاني}
 وعلى الأكثر في شهر شاط أو آذار

وبعد ثلاث سنوات أي في سنة ١٩٥٦، صحت إلى العراق كبش
 ماكسويل Gavin Maxwell وكان برعب في ألطف كتاب عن الأهوار وكما
 ننحول صوئة في طرادني طوال سبعة أسابيع وكان على الدوام برعب بأن
 يحصل على ثعلب ماء حتى يربه كحيوان أليف

وأخيراً وجدت فرحاً صغيراً من نوع ثعلب الماء الأوروبي، لكنه مات
 مع الأسف الشديد بعد أسبوع من انتهاء زيارته. كان في البصرة، ينهباً
 للسفر إلى الوطن حينما وفد وفضت بالعنور على ثعلب ماء آخر وبعته له.
 كان لونه فائماً وعمره مقدار ستة أسابيع ويظهر أنه من أصناف جديدة.

أحد (كيش) معه إلى إككترا ثم سميت هذا النوع باسمه تبعاً به.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

١٩ - بين السودان والسويد

كان المصيف الذي مكث فيه بنع فوق مرتفع في قرية دس، بحيطه الماء، ومعه نستطيع أن نرى على امتداد بصرنا بانحاء القرى وأشجار الحبل الشامحة على طول نهر الكحلاء. كما نعود من استكشافاتنا مساءً، وعندما نستقر في المصيف بدأ عماره بالمزاح بفول «لارم ناورع نرزة با صاحب. الزائرة تنظرلك».



قرية من قرى السودان من الاهوار الشرقية

هذه الأراضي تعود إلى ممثل الشيخ محمد العربي، وهو رجل مسن ومرريض، ينفق مصطحاً على فراشه ويشكو من آلام الكلية التي فست عليه في السنة الثالثة له أربعة أولاد كبار ولكن لا حول لهم ولا قوة، تركتهم أمهم على الهامش وهي دائرة كبيرة السن وحليقة العظام.

نراها تروح وتغدو داخل المصيف بسرعة وهي مرندبة عددًا من الملابس الداكنة أو تراها تستقر داخل المصيف وتصدر أوامرها ونوحياتها من مكانها.

كنت أنصاف من كثرة ندخلها في أعمالي وكنت أسمعها وهي تدي النصائح لي وهذا أمر بركتنا جميعاً أحياناً كما أن تصرفها بهذا الشكل كان يحرر شعوري ولا بد من التحنن منها

وأثناء وجودي في قرية دس حين بولد مشلول من حصره إلى الأسفل لأنه كان قد أصيب بحمى قبل سنة وأُقيمت إلى إصابته بالشلل، وكنت قد شاهدت عددًا في مثل هذه الحالات وهي شلل الأطفال ووجدت رجال العشائر يعاملون أمثال هؤلاء القوم على كطف وإفا فارتأ المصائب بالعجز تدباً مع أمثالهم في البلدان الأخرى من العالم نحد أن عددهم قليل

ووجدت في هذه القرية ولداً أعمى لكنه يتنقل بكل حرية ويسير بمشجوفه بمفرده إلى مسافة قصيرة لجمع الحشيش

وصادعت خلال سنوات مكوثي في الأهوار عددًا من الأولاد وهم صم وبكم. كما صادعت رجالاً مثلهم لكنهم كانوا فرحين، يحبون الصداقة ومندمجين في المجتمع بشكل جيد. ثم عادت هذه القرية فاصداً أخرى نفع على السر الرئيب ووصلتها بعد ظهر أحد الأيام كان الشيخ غير موحود، حرج لبغفد مزارعه، فنادا أحد الصبية إلى المصيف.

كان هذا الصبي برندي كوفية وعقالاً وعشاء وقد تمنطق بالبحر

فدّرت عمره د (١٥) سنة. له جدبنتان جعلته يبدو أكثر حملاً
 كان المعدان في الرمس الماضي كلهم على هذه الشاكلة، لهم جدائل
 كما يفعل أولاد البدو إلى الآن



بني عشيرة السويد المعدان اطول ممسوعة من البردي

أعدّ لنا هذا الصبي القهوة، وبعد أن فذّمها لنا عاد إلى مكانه.
 سألتني عمارة قائلاً: «هل عرفت أن هذا الصبي هو مسرحل؟»

أحبته بالهي وقلت له: «أنت قبيح جداً، حبيبي، ولكنني ما
 صادعت أحداً منهم قبل هذا». فقال عمارة: «المسرحل هو امرأة بالولادة.
 نأى أن نبقي امرأة لها قلب رجل لذلك نعيش كما يعيش الرجال»

«هل الرجال يرضون أن يعيشوا معها؟»

«بالتأكيد. نأكل معها. يمتكها التحلوس في المصيف. وعندما تموت
 يطلق النار من بندقها إكراماً لها. لا تفعل مثل هذا الشيء مع النساء. توجد
 إحدى المسترحلات في قرية الشبح محببة فأنزلت مشحاعة صد الحاج
 سليمان»

«هل تكون شعورهم على شكل جدائل على الدوام؟»

«يحلفون شعورهم عادة مثل الرجال».

«هل المسنرحل ننزوح
فعلاً؟».

«لا بهامون مع النساء مثلما
تفعل نحن»



من بني عشيرة السويدي المعدلي

وعلى أية حال، كنا مرة في
إحدى القرى بسبب الرواح، كانت
العروس في الحففة مسنرحلاً. وهذا
ما أدهش الجميع ففي هذه الحالة
توافق على ارتداء ملابس النساء
ونسام مع زوجها على شرط أن لا

يطلب منها أن تقوم بواجبات المرأة المسنرحلات لكن محرمات جداً
وأقرب المعادلات لها هي مسنرحلات الصور القديمة التي تبعد مهن
خلال السموات النائية فحاشي أحد الرجال حال ومعه ولد قدّرت عمره بـ
(١٢) سنة، كان يعاني من مشكلة وعلمنا أردت أن أحصه قال لي
الأم «إبه مسنرحل» وفي مناسبة أخرى ذهبت لأعالج أحد الرجال وهو
مصاب بكسر في الحمضة كان قد نشاحر مع مسنرحل أعزوه وأصيب
بهذا الكسر في رأسه.

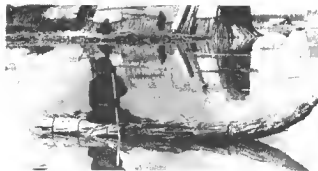
ومن قل، ربما كنت أمكت مع حمود، أخي الشيخ محبد الحليفة في
الدبائبة، دخلت علينا امرأة حريثة، متوسطة العمر، نحر قدميها حراً، لفت
نفسها بملابس سوداء اعتيادية وطلبت مني العلاج. كانت حذاة ولو أن لها
وحه الرحل. وعندما رفعت ثوبها طهر لي عصور رحل بحجمه الكامل
الاعتيادي ونوصل بي فائلاً: «تكدر تكسر هل العصور وأصير امرأة؟».

يجب أن أعترف بأن العملية هي فوق طائفي. ولما غادرت قال لي
عمارة نشي من الشفقة: «ما بصير يسوي العملية في البصرة؟» نصرافاته

نصرفات امرأة ما عدا هذا العضو وهذا شيء مؤسف».

كنت أرى هذا الرجل نفسه فيما بعد مع النساء على صفة النهر،
يعسل الأطفال. ولا تمنع النساء نوحوده معهن ثم أراه يجلس معهن أكثر
الأوقات في البيت. وهن يشغفن عليه كثيراً أكثر مما تشغق بحر في
محتمعنا على مثله. وعلى الرغم من ذلك، لم تكن بشرتهم لينة ورفيفة
كشرة النساء

وفي إحدى المرات، بينما كنت مطلقاً في إحدى أعماله اليومية،



صبي من عشيرة السويدي المعدل وحوله الطوفان مصنوعة من البردي

طلبوا مني أن أنصوي إلى حسم فناء صعيبة عرفت في النهر ولما عدنا في
المساء رأيت الحثة لا تزال طافية فوق سطح الماء. وعندما افترحت عليهم
حلبها بواسطة لوحة خشبية رفص رفا في مندرعين بأمة لا يمكنهم لمسها أو
حتى وضعها على بطن الطرازة خوفاً من انتدبير. وقال ياسين: «لأرم نغسل
سبع مرات وعلى كل حال. هاي الحثة مو حثة بيتنا» وكل ما يمكننا من
عمله هو أنهم دفعوا الحثة إلى ساحل النهر ثم رفعوها بواسطة المجاذيف

وهي مرة أخرى، وصل مبد كبير السن بصحة ولده البالغ من العمر

نسع سنوات، كان قد جرح يده جرحاً بليعاً أثناء قص الحشيش، جاءه لأعالجه، فوجدته شاحب اللون من حراء فقد الدم. تأثرت لحاله وسألت أباه بعصب عن سبب عدم مساعدته الطفل، اعترض قائلاً: إذا ما ساعدته تلوث ثيابي بالدم ونصح عبر ظاهرة

ومن حسن الحظ لم أشتمه لأنني تذكرت أنه سيبد. وهنا بحسب أن أعترف بأن بعض المسلمين أقل نزماً من هؤلاء، ولا يطرون إلى مثل هذه الأمور بنظرة هؤلاء.

بترك نهر الكحلاء نهر دحلة تحت العصاراة بصعقة أميال ثم يتدد مياهه في الأهوار بعدما يقطع مقدار (٢٥) ميلاً. وأما القرى الواقعة على الدلتا التي أمصبتا فيها بصعقة أيام بعد أن غادرتا قرية الدين، فهي مسكونة من قبل عوائل تنتمي إلى عدة فئات إضافة إلى عشيرة التومحمد وهم يديون بالولاء لشيوخهم



والفرويون يربون الحوام على شاطئ النهر، وعلى مسافة بعكس محرى النهر، تسكن عشيرة التومحمد في قرية عديله متعافيه على إمتداد فروع النهر العديدة وفنوانها الكثيرة. وهم يشتهرون بمراعاة الحبوب والشعير. فيدرونها من شهر تشرين الثاني ويحصلون المحاصيل في شهر نيسان ومايس ويبنونهم على الكحلاء، على خلاف البيوت في المحرى متنصّة بشكل بارز على إمتداد ساحل النهر في أرض حائفة. أما القرى في الكحلاء فهي منشرة داخل سائير النجبل، والأشجار المثمرة وأشجار الصفصاف الكثيفة. نحولنا بين هذه القرى ونحس سنفل عكس المحرى على أحد فروع النهر ومع المحرى على فرع آخر. نكثر السداد الترابية على هذه الفروع، بفهم الشيوخ هذه السداد لترويد مزارعهم الشتائية بالماء. فعند فتح فتحة صغيرة تتدفق المياه بشدة على شكل نبار قوي فتشكل نبارات عكسية ودوامات إلى مسافة (٣٠) يارداً مع المحرى، لذلك يسعى أن نتعلب على مثل هذه العوائق التي نعبر سبيلنا.

كان رهاقي بشقون طريفيهم بجهد نالغ وكفاح شديد فيتقدمون في سيرهم خطوة بعد أخرى وأحياناً إجحاً بعد إجح

واصلنا السير وفتحنا فتحة أخرى في سد آخر فتدفق الماء بسرعة شديدة وكثيراً ما كنا نجد المحاري في القنات الصغيرة مسدودة.

واصلنا السير حتى وصلنا إلى سدة محدودة، بلغ ارتفاعها أربعة



صبي من القنات

أقدام تقريباً، وهما لافيا

صعوبة شديدة فلا يمكننا

حمل الطرادة لنحنا السدة

لأنها ثقيلة جداً. وما كان منا

إلا وأن نرش السدة الشرايبة

بالماء حتى نجعلها زلقة ثم

بدأنا سرفع مقدمة الطرادة

وسحبها إلى أعلى المسحفر

حتى وصلنا إلى قمة السدة

ثم دفناها فانزلت بسهولة من

الطرف الآخر للسدة حتى

وصلت النهر

كان الشيخ محمد العربي أعني الشوح من اليوم محمد وأكثرهم سلطة

في الكحلاء. وهو رجل محرم جداً، طاع في النس. يعيش معظم أوقانه

في بغداد أو العمارة ناركاً إنه المحبوب والشاب المعتمس في المملدات

مسؤولاً عن إدارة عقارانه

ويعيش أفاربه الآخرون في صلك من العيش، على إيرادات حقول

صغيرة كان قد حصصها لهم في مناطق أقل حصوة. مكثنا مع عدد منهم

ووجدناهم كرماء جداً ومتواضعين

وبعد أن تركنا الكحلاء، عرما هوراً بعج بالحازير فأطلقت النار على عدد منها ثم وصلنا إلى فرع المشاربة وهو نهر بنرك نهر دحلة شمال الكحلاء في وسط مدينة العمارة فحضر الآن في وسط عشيرة السودان. وهي إحدى ألطف العوائل وأكثرها نعاسة.

كانت في الماضي ذات قوة وسطوة وشراء، لكنها تفرقت الآن وأصبحت أراضيها مهجورة. ويعزى السبب إلى انخفاض منسوب المياه إلى درجة كبيرة بعد بناء سد الكوث على نهر دحلة. ولكي يواصل الشيخ زراعة أراضيها أقام عدداً من المصحات المائية. ولكن عندما توفي باع ابنه هذه المصحات لبسدد بشعنها دبوته على مائدة الفمار التي استندائها في الصرة

وفي طريقنا بدأت أحصي عدد الحنازير التي كانت تفتات حارح إحدى مبات القصب فبلغ العدد (١٠٠) وأخذ الناس ينوسلون إلى بأن أطلق النار عليها وأفتلها حتى أحلهم من شرورها لأنها تدمر محاصيلهم القليلة من الحنطة والشعير الذي أصبح على وشك النضوج

والشيء الذي لاحظته هو أن الحنزير يادراً ما تدخل حفول الشعير إذا ما وجدت حفول الفمخ بجانبها وفي هذا الفصل كانت الحنازير تفتات ليلاً في الحفول ونصطرح فيها نهاراً. وكان الفمخ في بعض الأماكن بارئعاً أربعة أقدام تقريباً نحبث نحمل الصيد فيها خطراً للعابة وخاصة حينما نحرك الرياح مبقانها. وفعلاً طرحني مرة أحد دكور الحنازير على الأرض في مثل هذه الظروف من السنة الماضية

ففي تلك المناسبة، كنت قد قتلت اثني عشر خنزيراً أو ما يفارب هذا العدد وذلك بعد أن أطرد الحنزير الحائم داخل الشجيرات والعلبفات الكثيفة النامية على امتداد سواقي مهجورة. ولما نحرك إلى العراء أطلق النار عليها وأردبها فنبلاً

وحاءني أحد الصبية وأحسرتني موحود خنزير في مكان ما بالقرب من
 حفل الفصح، وأشار إلى مكانه الصحيح كانت المنحة التي أشار إليها في
 داخل الأرض المروعة بالفصح تُرى بوضوح حتى من مسافة بعيدة، غير أن
 الفصح كان غالباً، يصل إلى صدري فحال دون رؤيتي ما في داخلها ما لم
 أكن على مسافة قريبة جداً. ووحاء شاهدت حركة الأذن. رأيت الخنزير
 مصطحعاً في الظل وطهره نحوي. فأطلقت النار عليه وأصبته في رقبته فني
 هامداً في مكانه ثم التفت بمصيفي الذي قال لي:

«خلينا رجع. طربضا طويل»



ماصي صبي من عشيرة السويد
 رافض ماهر

وبسما كنا نعاد المكان، حاء
 الولد راكضاً مرة أخرى وأحسرتني
 بووحود خنزير آخر فقال لي راحباً
 «تعال وافتل هذا الخنزير. صاحب
 هذا بحرب كل محصولي». فأطلقت
 عليه ولبت رجاءه، وحاول مصيفي أن
 يمسني من الذهاب، لكنني قلت له
 «س هل الخنزير ويعدهن مروح
 سوبه» وبدأت أحطو بمفردي بحذر
 نحو الحجة التي أشار إليها الولد
 وبطرت من فوق سيقان الفصح فوق
 نظري على عبه الواسعه، ولا رلت
 أتذكر لمعان أنباه البضاء. وصل أن أصوب عليه السدفة وحدث نفسي
 ملني على طهري على الأرض على بعد عدة ياردات في المكان الذي كنت
 أفق عليه. وسقطت بدقيتي من يدي

ثم هجم الخنزير مرة أخرى وشعرت بثقله جبسا داس فحذني ورأبت
 شفنيه وعببه العائننين فوفني، وشعرت بنفسه على وجهي ثم اندفع إلى

الأمام على صدرى مع أبيه

اعترضت سبيله بالعريبة بصره فوية بأحمص بدفني فولى عني .

بهضت ونظرت إلى سدفتي فرأيت حفرة كبيرة على حاصنها وأصببت إحدى أصابعي شق حينما مست العطف الذي كأنه موسم خلافة وبدأ الدم ينرف منها . ملأت البندقية ووفقت فرأيت الخزيبر يسير بعيداً عني . كان ضحكاً . صرخت صرخة التفت على أثره فصوت سدفتي إلى صدره ثم أطلفت النار فسقط في مكانه . كنت أما المسؤول عما حدث لي لأنني كنت وحيداً . ثم التحق بي رفاقي الأربعة ومعهم جمع من السودان فرموا جميعاً داخل الحقل وسننا نلقاً فيه أكثر مما يفعلوه عدد من الحمازير . كان عماره مسلحاً بسدفتي الأخرى ومن بيت النار إطلاقاً . وأن حسني يحمل مسدساً من عيار ٩ ملم براونيك كنت قد جلسته معي في تلك السنة أما سبيني وباسين فكانا مسلحين بالخنجر



و بعد أن قلنا عدداً منها وبخوفنا
مرتين ممشقه، أفتعت الفرويس ناسنا
سبسطاد بشكل أفصل بين كبتنا كبتنا
الردى المغمورة بالماء وهناك فنلنا
(٣٦) خزيبراً بواسطة المسدس أطلقنا
النار على رأسه وهو يسبح ووجهه
نحونا ونكون الحمازير ضواك مدة
بقائها في الماء بدون قوة فلا نستطيع
إبذائنا . ومرة، فمز باسبين إلى العباء
العميفة بالمرب من ذكر الخزيبر الكبير
وأغرفه بيديه .

أسعد السودان حينما عادواهم

لمرأة من عشيرة السويدي الرحل

لنزور عشيرة السويدي .

وفي طرفها عر أهوار كثيرة، غربا رابية حرداء، سوداء اللون، ترفع
(٣٠) فدماً عن الفصص

كانت هذه الرابية في يوم ما مكاناً لمدينة مسية منذ عهد بعيد.
ونعرف الآن من قل المعداد باسم (وقف عشان Ishan). ثم إصطحبنا
السويد فيما بعد إلى أماكن أبعد نفع داخل الأهوار وأروا رابية أخرى
كنلك الرابية ونسمى (عريه) وكانت حسب تغديري بارتفاع (٥٠) فدماً
وأذكر بأسي شاهدت حيوانات الشمس نعدو عليها

مكشاً منذ أسوع مع مختلف الشيوخ على الألسنة الواطنة من
المشاربة ولم يجد أحداً منهم ذا ثراء ولكن كان الجميع كرماء وشاهدا
رجلاً كهلاً، شبيهاً بأبهاء الصبر، يُعرف باسم «أبو الضدبل» لأنه، برشد
عابري السبل في كل يوم جمعة - يوم عطلة المسلمين - إلى مضيقه تتعلفه
المصاح على العمود



كان هؤلاء الشيوخ يحبون الصدقة ويعاملون الفرويين معاملة عادية،
وكانوا عندما يأتون بالطعام يكتفون بكل من يتواجد في العرة بالبقاء
ومشاركتهم في الطعام واعترف كل من رغبني عمارة وحسن، وهما من
عشيرة الفرنجيات، بأنهما يكرهان عشيرة السويد وأن شيوخ السويد هم أكثر
كرماً من شيوخ الومحمد. وعلى أية حال، عندما انتقلت مرة في مصيف
عشيرة أخرى شيوخ الومحمد وقلت بأنهم أقل كرمًا وسحابة غُثت على
أفواالي هذه وقالوا لي «فل ما نشاء عنى شيوخنا أماما نحن نقول نفس
الشيء. معظمهم حقراء، لكن لا ننفذهم أمام عشيرة أخرى»

نعمت من إحلاصهم لأنه لا ينسب أي منهم إلى عشيرة الومحمد.

وعندما كنا ننال الطعام مع السويد، كنا نطبق عاداتهم وهي أنهم
يدهون إلى حافة السهر ويغسلون أيديهم واعتاد رفاقي على اتباع عادات
البدو غير المعروفة في هذه الأجزاء من الأرض

كانوا ينهضون سوية عندما ينتهي بحر الحمسة من تناول الطعام.
وحببنا سألناهم أحياناً فائلبير. «هذه هي عادانا» وكنا على الغالب
ننحدي الشيوخ وأناسهم من بعد الطعام بالرماية بيذفة الهواء المصعوط
وأحياناً بيذفتني ومسدي.

أصبح عمارة رامياً مارزاً وكان ياسين وحسن أفضل من الكثيرين في
الرمي إلا أن مسبني لم يكن رامياً جيداً على الرغم من أننا بذلنا جهدنا
لتحسين رميه فلم يفلح في معانا.



صبي من عشيبة السود الرجل

فقال له بعضهم على شكل
مزاح واستهزاء «صوب على
هذالك المصيف هالك بمكر
بطريقة الخطأ أن نصب
الهدف». عبر أن سبني ما كان
ببالي أبداً بأفوالهم ولا بغيرها
أية أهمية. وكنا بعد ياسين يولي
كثيراً إلى إحداث المشاكل إلا
أن عمارة لم يكن مثله بل كان
يبدو كثيراً أما مسبني فكان أكثر
رفافي لطفاً وشعفة نحو الآخرين
وبرعى خفوفهم، وهو شخص

ذكي وعافل جداً ومنزول ويتصف حلز دمث. ونهدا السب نحن مدينون له
جميعاً. كنت أغضب أحياناً من رفاقي الآخرين ولم أكن أعصب من سبني
إلا نادراً. وكنت أشعر بالخجل حينما أعصب منه.

غادروا شيوخ السود وفلوسا معمة بالأسى على هذا المراق. إنعظما
في سيرنا نحو الشرق فاصدين الحدود الإبرامية وكنا نسير الطراوة بالمردي
من خلال المياه الصالحة بين سانات الردي التي نسمي منات الفصيص

وحافة الصحراء كان ياسين يتخذ مكانه على الدوام في مؤخرة الطرادة ويجلس أمامه عمارة. أما حسن فيستغل مقدمة الطرادة ووراءه سبني.



السويد الرخل يفتحه بيوتهم يستعدون للرحيل

ومن المعارفات أثناء سيرهم أن حسناً أصبح عما في قلبه في هذا الوقت وقال بأنه إنشرح كثيراً من رفضات صبحي بدعى (ماصي) حينما رفض قبل ليلة أمس، وكان يحدث أمشاء الناس إليه. فنهض بصوت مسموع وقال «ماصي! أه، ماصي» فصحك الآخرون على نصرته هذا واقترح ياسين بأن نتركه على الشاطئ، حينما يرى حماماً.

وفي هذه الأثناء مرنا في قافلة تابعة لإحدى قرى السويد، ننزل إلى مكانها الحديد. والقوارب الكبيرة تحمل بيوتهم المصككة والحاجيات الأخرى، وأما الزوارق الصغيرة فإنها تحمل الصبيان رعاة الحواميس ومعظمهم عراة كانوا مشرحين، يعمون ويصبحون بأعلى أصواتهم وهم يسوقون حواميسهم المرفطة.

لا يمتنع السويد مهنة الفلاح، لكنهم يعبثون في الأسمار مع

فقطاعهم ويمكن نمبيرهم عن سواهم من العشائر من عطاء الرأس الذي هو عبارة عن كوفية صفراء أو مدهية على خلاف ما يصعه أثناء عشيرة القريجات البدو. ثم طهر وراعا عدد كبير من الزوارق من بين الفصص. فسألت أحدها عن سب مثل هذا التثفل فقال لي أحدهم بأن المياه إرذعت بصورة إستثنائية فاصطروا إلى ترك أماكنهم الشتائية في وقت مكر فمل المواعيد الاعتيادية، لذلك تراهم يرحلون إلى أعماق الأهوار.

ثم استطرذ ذلك الرجل وقال: «طل وبانا هذه الليلة - صاحب راح نبي فرايا في الأرض الباسة هالك».

وبعد أغل من ساعة من بولهم إلى المر ثم نصب أول بيت.

كانت حرم الفصص التي تشكل الأفواس موضوعة الواحدة مقابل الأخرى على حطير وكل حرفة تعبيل إلى الحارح. ثم ينسلق أحد الرجال فوق القصب ذات الفوائم الثلاثة ليرتفع فوق الحرم بعدما يسحبها الرجال الآخرون وبسم هذا العمل يسولة لأن الحرم كانت مقوسة سابقاً وعندما ينهون من وضع الأفواس الحفصة في أماكنها يجري تثبيت الأضلاع الأفقية ثم يرمون الحصران فوقها، ويرمون أحبالاً حصيرة واحدة سمبكة على الهيكل ثم يرتطونها في أماكنها وكل حال الرط في من الفصص.

وببما كنت أنمشى محوار البوت التي بتصوبها، أرافت الطربفة التي بنم فيها نصب البيت وتفرع الروارق من حملونها دعائي ذلك الشخص الذي نعرمت إليه حديثاً إلى بيته وحيما دخلنا وحذنه مقروشاً. وقد أعد لنا الشاي ووضع القدر على النار حتى بهي لنا وحة طعام العداء. وكان أصغر أولاده يبلغ من العمر نسع سنوات، عازي الجسم وفي رفته فلاة فيها فص كبير أرزق.

يجمع هؤلاء الناس من عشيرة السويد السردى والفولان [Scarpus Brachy Ceras] وهو نبات السعبدى الذي يعطي معظم الأهوار الوقية وذلك كعلف لحواميسهم

ربما كنا نراقب كيفية إطعامهم حوامسهم النعت ياسين إلي وقال
 بأن حوامسه الكاتنة هي يومضيات لا تأكل مثل هذه النباتات.

طلب مني عدد كبير من أهالي اسويد أدوية، لذلك مكثت يوماً آخر
 ثم زرنا فرى أخرى نعود إلى عشيرة السويد، نبعد مقدار بضعة أميال، تقع
 داخل مهابت الفصص وحدت هؤلاء أقل حكمة من كل المعدان والشيء
 الذي أفسد صحتهم طعم الماء الذي كان كريهاً على إمتداد حافة الصحراء



السويد الرجال يصنعون فراهم على أرض بليسة

ويصنع أهالي السويد المنح وذلك بتسخيرهم المباء في قدور فلبله
 العنق

وأخيراً واصلنا سفرنا حتى وصلنا الحدود الإبرائية، وبعد أن أمصبتنا
 الليل في مركز شرطة عرافة صغيرة عدا إلى الأهوار الوسطية مرة أخرى.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

٢٠ - عائلة عماره


طغت مياه المصباح على عويسج وعادر المربحات أماكهم حينما عدنا إليهم ولما سبنا الطراوة سجد وقوة من حلال حفول البردي المعنمة، عثرنا على صلح سرجيل رمادي اللون باقي حتى نضع الطيور ببوضها فيه فنذكرها الطيور المائية الكثيرة العدد في أشهر الشتاء

كانت الساعات البامبة حديثاً في أمكنة مرور الفصص على امتداد نهر العرات عالية تظهر بين هامات القصب البامبة بينما عطت ساعات (قدم الغراب) المياه المكشوفة وحركة قصبها تظهر كأبها طفات من الثلج المنساقط

ولما وصلنا العزيز نركب الفارب هناك وأحربا مباراة لتغلنا إلى الصرة حيث كنت أذهب إليها بشكل عام كل شهرين حتى أجمع الرسائل الواردة التي وأستحم وأشفري الأدوية. والمكوث بصعة أيام في دار مريح بعشر تعبيراً بريح المرء ويجدد من نشاطه وكان أصدقائي في الفصيلة لطفاء معي ومع أصحابي على الدوام

عدنا إلى العزيز مرة ثانية وركبنا طرادنا حتى نعود إلى فرى الأهوار فقال لي عماره. «هسه فالح ميت. لارم تغى عندما. نحن ما نملك شيء كثير، مثل ما نعرف، بس كل شيء نملكه هو لك. نترك باسين وحسن مع عوائلهم ونرسل وراءهم كما يكون مستعدين للسفر مرة أخرى».

وبعد أربعة أيام دخلنا الفناء انني نفوذنا إلى قرية الربعية وهي القرية
التي يسكنها أهل عمارة. كان النبار قريباً والرجال يقضون الأرض الواقعة
خلف السدود ويرمون كميات كبيرة من السمات حتى تغطى على سطح المياه
وتتحرف إلى الأهوار. وكانوا يشعلون وأقدامهم غائصة إلى الركة أحياناً
وإلى الحصر أحياناً أخرى. وفي هذه الأثناء امدع صبي طويل القامة نحونا
وقد وصح دشداشته حول رفسه. ولما وصلنا حياناً وقال عمارة: «هذا
أخوي رشك في العاء الماضي ساعد الأحرار في محاصيل الشلب. وهل
سنة عنده أرض حاصر له» عمل الصبي الطين الثعالي في قدميه وساقبه
وألغى بنفسه إلى وسط الطرادة بحارب عمارة ثم بدأ بفسله وبلتقط المردى
بيديه

ولو أن رشك يبدو نظيف المظهر وينسج بالحبوبة والشايط ودا خدود
معتلة فإنه ليس مثل أحبه عمارة الذي يسير بحفة الروح والمرح فهو
أصغر من عمارة سنة واحدة وطوله  طول أحبه إلا أنه هربل الحسم،
لكه قد يكون أكثر قوة من أخويه بعدما يكبر
م أحياناً شقير عليم سدي

وبعد أن نحطبا البيوت الأولى والأطفال يركضون جلسنا على امتداد
المساحل، شعرت بأن مضرباً أشبه بمطر عارف المرمار. وبعد أن توقفنا
عن السير، كان جمع كبير من الناس قد جمعهم حتى يساعدونا في نقل
أمتعتنا. فقال عمارة لأخذه «حسراً أركض وفل للوالد بأن الصاحب
سيحصر كضيف» ثم التفت نحو رشك وقال له «شوف غلبي الفروح
بحيون كل شيء للبيت لا نس المرادي»

مكث ياسين وحس عدة أيام في يوميات. أمّا أنا وعمارة فذهبا
إلى بيت والد عمارة. الذي كان خارج القرية وجاء بصحبنا سببني وصي
آخر كان قد أتى معنا.

تركنا الحفول المروعة بالشعير وراءنا وشرى أمامنا الآن على مسافة

مجموعة من أشجار الخيل، وكان والد عمارة رجلاً كهلاً، اسمه ثغب، غُيرت سجنه نقلات الطفس، له عينان هادئتان. وكان يبردي دشدشة ببصاء نظيفة وعلى رأسه كوفية، واستقبلنا باحترام هادي. وقف مستصباً ثم مشى ببطء كأن جسمه متنبساً وأرانا الطريق إلى داخل بيته الذي كان صغيراً، وسفنه مخفصاً. وكان كل فوس من الأفواس الخمسة بصم عدداً فلبلاً من القصب وأرصبة العرفة معروشه برولية فاحرة فوق حصيرة ممزفة ثم وضع فوقها وسادتي.

حببتنا امرأة ذات حيوية ونشاط، متوسطة العمر، ذات وجه لطيف فائلة «مرحاً صاحب مرحاً بك في بيتك أنت مو أبو عمارة» الله ببارك فيك.

وكان يصف حلمها طفل وصبيان صغيران وفناء تلعب من العمر (١٥) سنة، نحوي نصف وجهها.



أرسل عمارة رشكاً حتى يهيئ لنا الشاي وأرسل سيني إلى دكان والده ليحلب الشاي والسكر ثم كحلنا في مسكنة أحونه الصغار وأولاد آخرين أن يمسك ديكاً كبيراً بالنس وبعد أن هرب الديك من بيت إلى آخر وفار حول القرية وهم يتبعونه محدثين الصحيح، نحاً إلى إحدى الروابا لبحني. فأمسكوا به ودبحوه حتى بعدوا لنا طعام العشاء. وجلب عمارة سمكة غير طرية نفوح منها رائحة. ولكن لا يباي أي فرد في هذا المكان فيما إذا كانت السمكة ذات رائحة أم لا. ولكي يأكل السمكة حزت لنا أمه المسماة (ناله) في الثور. لاحظتها كيف نحير فرأيتها تلصق فرص العجبر على بطن الثور ثم نحرحه بعد أن يتحمض وفي الر الرئيسي، يمكن أن نرى أمام كل بيت مثل هذا الثور أما في الأهوار، تطح النساء الطعام ونحيز على نار وهو فيها طبق من الصغار. والآن جاء (حليب) الأخ الأحمر وهو عائد من الأهوار وهو صبي هادي، فوى الجسم، كان برعى الحواميس في الوقت الذي كان فيه عمارة خارج البيت. يشتغل من المحر

حتى عشق الليل، ويحصد الحشيش ويحلبه إلى البيت على الرغم من كونه صغيراً لا يتجاوز الاثني عشرة سنة

رأيت رشكاً يساعده في نفل الحشيش من الزورق إلى البيت. وكانت الجواميس تربط بالحبل الممتد في وتد أمام البيت. لأنه لا يمكن إيقافها سائبة لبلأ لأنها تنحول في المزارع وتقصي على المحاصيل. وانقطع بتألف من حاموس فحل وثلاثة من الإناث ومن عجلة وعجل، وكان (جلب) مثل أخيه عبارة بحب الحواميس. وبعد أن حلبها قال لي وهو يربت على الحبل «سوف هذه هي حبيبتك حذاً وحامل اشترينها بالفلوس التي أعطيتها لي في السنة الماضية. راح بصير عدنا فصيح مناسب إ شاء الله»

ومن جهة أخرى، كان رشك مولعاً بمحصول الشلب وكان يتدمر حينما يساعد أهله في رعاية الحيوانات في وقت فراغه. وهو حاد الذهن، لا يحرم الكبار كثيراً ويعتبر بالسنة العشرة مع عمر أقرانه وحشياً ولا يتحمل المسؤولية لكنه، عندما يعمل في الشلب، يقوم بأعمال الرجال بحماس شديد. وعندما يعود مساءً يحترق نكهته كالحقن فلا يتدمر ولا يستان. وكان حينما يتحدث عن محصول الشلب وكيف يعمل يمثل بأصابعه ليرينا كيف يشغل في الطين.

فقلت نفسي أنه سيكر بعد سنة وسوف يعطي الشعر سابقه ويصاب بالحكة خلال الصيف لأنه يمشي دوماً داخل المياه ولا يد أن يلاقي الخنازير أثناء عمله في المياه الصالحة.

يعاني زراع الشلب من الحكة فيبدأون يحك سبافهم حتى يسلخ الجلد. والحكة تدوم مدة (٢٤) ساعة وأنا أعرف أنهم يتصرفون كالمحانين لأنني كنت أصاب بها حينما كنت أصيد الخنازير. الأشهر العربية فمرية فيحسب الفلاحون الفصول السوية مثلما يحسبه فلاحو حصرموت حسب ظهور وأقول بحرم معينة، مثل نحم الكلب ونحم من

مجموعة الثريا. وفي بداية كل فصل يبدأون بتأشير الأرض على كلا جانبي الفتاة تحت الرقبة بواسطة عبدان من الفصص على شكل قطع صغيرة متساوية العرض وبحري الفلاحون الفرعة عليها. ويشكل عام بحصل الفرد على عدة قطع من الأراضي الصغيرة في أماكن مختلفة. وعند ذلك، عليه أن يشارك الآخرين في العمل أو يزرع الأرض نفسه أو بمساعدة أسرته

وفي السنة الاعتيادية يقطعون الأرض في شهر نيسان ويررعون الشلب في أواسط شهر أيار (مايو) حينما يهبط مسوب المياه. وإذا بقيت المياه فائضة من بعد ذلك التاريخ، نمو عبد ذاك الأعشاب في الأرض المتظفة وتعيق نمو الشلب. وفل يدر الشلب تنفع النور في الماء لمدة خمسة أيام ثم توضع تحت حصيرة ثقيلة لمدة يومين آخرين تحت أشعة الشمس حتى نبت. وهم يميزون بين محصول الشلب الذي يزرع بطريقة الدر وبين الشلب الذي يزرع بطريقة الشنلات.



والطريقة الأولى هي عبارة عن شلبي الدر في الأرض والطريقة الثانية هي عبارة عن نقل الشنلات من مكان زرع إلى مكان آخر. والجمعان في الأهوار يزرعون الشلب بطريقة الشنلات بينما يزرع أهالي الأبرج الدبس تكون أراضيهم بعيدة عن الأهوار مقداراً قليلاً من الشلب بطريقة الشنلات ويزرعون كميات كبيرة بطريقة الشر. أما هنا في قرية الرقبة، الكائن على حافة الأهوار، يزرع الفلاحون الشلب بكلتا الطريقتين. فعلاً يزرع (رشك) بمعددة أربعة أحماص أرضه بطريقة الشر لأنها تتطلب مجهوداً أقل لكنها تعطي نصف ناتج الشلب المزروع بطريقة الشنلات في نفس المساحة من الأرض. والشلب المزروع نثراً يتم حصده في منتصف شهر تشرين الأول وأما المزروع بطريقة الشنلات فيتأخر حصده مقدار شهر آخر

وفي ١٩٥٦ والمفروض أنها سنة جيدة، زرع (رشك) أربعة فالان بطريقة الشر وفباله واحدة بطريقة الشنلات. والفباله هي عبارة عن (٦٢٪) من الفدان. وهذا يعطيه حاصلاً مقداره (٣٥٠٠) كغم من الأور. فيعطى

للشيخ مجيد ربع الحاصل وثبتي كمية كافية لإطعام أسرته في السنة القادمة
وبيع ما تبقى بمقدار (٣٠) ديناراً.

ويتم جمع حصة الشيخ مجيد بشكل عيني في القرية من جميع
الفلاحين. وبأخذ الشيخ مجيد أحياناً ثلث الحاصل ويبلغ ما يأخذه الربع
وفي هذه الحالة يشت المقدار حالما يعرف مستوى المياه في تلك السنة
وفيل لي بأن نخمبانه نكون على العمود صححة ويرحب رراع الشلب
بحدوث العضاة، مثلهم في ذلك مثل أهالي الأريح الذين يرعون الشلب
على الأرض ويسفونها من الأمهار لكنها تكون سببة بالسنة للمعدان لأن
أراضيهم تفي معمورة. وعلى العكس من هاء، فإن المياه الواطنة نمكن
المعدان من ررع الشلب بشكل واسع إلا أنها تكون كارثة بالنسبة
للأحرار.

ففي ١٩٥١، وهي السنة التي كان ارتفاع المياه فيها مخفصاً جداً،
زوع المعدان في قرية سبكال والعكار والفري الكبير من الأهوار المعبدة
من مصب نهر العبدل، مسطحات شاسعة أكثر من المعتاد. ولكن لسوء
الحظ، سقطت أمطار غزيرة في فصل الخريف فدفعت مسبب المياه
فاكتسحت العلال قبل حصدها. وفي لواء العمارة، نزع العشائر الشلب
على أرض مغطاة بطغمة من القرب الجديد فقط ويررع بعضهم الشلب على
نهر العرات أسفل سوق الشيوخ من بعد حرافة الأرض المحصنة للشلب
وهنا يرعون أحياناً الشلب تحت أشجار النخيل في عصر الأرض التي
حصدوا منها نواً الحطة أو الشعر

وحسن، هو صبي عمره سبع سنوات، أحد أحوة عمارة الأربعة،
جرح يده في الليلة الأولى التي قدمها فيها إلى بينهم فحاء حتى أضمد
حراحه ثم اتزوى بعيداً وبقي ساكناً في الطرف البعيد من الغرفة وما
لاحظه إلا بصعوبة وهو على خلاف أخيه الأصغر (راصي) الذي كان
حالماً بجاني وينحدث إليّ ولاحظت أنه مصاب بغر الدم التبدد فقالت

لي أنه بأنه يشكو دوماً من التعب وفقدان الحيوية. ورأى الدم المتدفق من مكان الحرح بلون الماء الناحط ويصعب نمييره على حذو الأسمر الذي لصحنه الشمس. أعطينه راحة من الدواء المنوي ثم مضى شهر ورأىته فما تمكنت من نمييره. وحده سعبداً. فرحاً فأحسه لأنه ولد محبوب.

كانت طموحات (ثقب) مفنصرة على ريادة مدينة المشهد، فأمضى وقتاً كبيراً في الصلاة والدعاء. ورضى بأن يترك شؤون العائلة إلى عمارة الذي كان كثيراً ما يستشير أمه عندما يستعصى عليه الأمر. وفي السنة التالية، استشاري عمارة حول إرسال أخيه حسن إلى المدرسة إذ قال الازم يكون عندما واحد يعرف بقرأ ويكتب في العائلة. فوافقت على رأيه ولو بشيء من الربوة فأرسلنا حسناً في صباح اليوم التالي إلى المدرسة التي كان يحضرها ستة طلاب من القرية ونعد مقدار مبلين عن محل سكناء وعلى المحرق الرئيسي لشر الوادى. وهناك مدرسة أخرى واقعة على نهر العدل تحت قرية الشيخ محيد. ولاشجلا المدرسة داخل الأهوار

كان حسن في غاية السرور عندما كان يسرع في مشبه عند الصباح مع أقرانه وكان يربى واحاته عند السماء وهو يهرج فرحاً واعتداداً نفسه

وعندما ذهب في المرة التالية إلى المدرسة، استغربت له حفيظة كتب مدرسة ودقائق وأفلاماً ملونة وفلم نادلان ومحيرة ومسطرة وأدوات هندسية وفرح حسن فرحاً شديداً بهذه الأشياء وأكد لي بأنه ليس لديه أي فرد من أقرانه أي شيء من هذا النوع

ومع ذلك شعرت بالقلق لأنه يتوجب عليه مواصلة الدراسة لمدة (٥ - ٦) سنوات بمصيفا وهو جالس على المصطبة داخل العرفة يتناول عند الظهيرة وجبة غداء حاص وفماً للعليمات البوسكو - حياة سهلة إذا ما فوررت بحاة (جليب) الذي يعمل في أرض القصب أو مع حبة (رشك) الذي يعمل في حقول الشلب. ولكن سيكون له مصيب في العمل في أرض

الفصص أو في حفول الشلب إن نفي في قرية الرقعية من بعد تركه المدرسة.

وكنتم أنعمى بأن لا بحرف فيما بعد ويصبح شخصاً منسكعاً في إحدى المدن. وكان الشاب يتوسلون إليّ دوماً فانيّن «حدي معك إلى البصرة. صاحب شوف لي شغل ريب ما أريد أبني يهل المكان لأننا نعيش مثل الحيوانات - هل مكان ريب إلى ابوي وأمي وأخوتي. أنا متعلم». إذا نفي أمثال هؤلاء في فراهم فإنهم سيقولون ساخطين ونافسين ويقاسون المرء لأنهم يحملون في مخيلتهم فكرة بأنهم لو استطاعوا الخروج من فراهم هذه فإنهم سيقولون السبط هذا سوف يحصلون على كل ما نصلو إليه بنفسهم وهذا اعتقاد خاطيء يدعو إلى الإشفاف لأنهم لا يدركون بأن هناك مئات من آلاف الشبان الآخرين في العراق بالمؤهلات نفسها وفي الحقيقة، إذا ما تركوا بيوتهم وذهبوا إلى المدن فإن حياتهم تنتهي على أكثر احتمال بفاهمهم **سبع الحرات** أو مع مشروب الكوكا كولا في بغداد أو البصرة إضافة إلى غيابهم بارتكاب جرائم السرفة من السيارات أو اشتغالهم كحياة لدى سائقي السيارات حتى يؤمنوا لهم دوام العيش.

وجدت جميع الآباء متلهفين لإرسال أطفالهم إلى المدرسة، غير أنني أتذكر رجلاً عحوراً يسكن في قرية تقع على نهر امدل قال لي «إني صار عنده شغل ريب وبني الحكومة في البصرة. نحن فقراء مثل ما نشوف، صرفت عليه فلوس كثيرة عندما كان يدرس في العمارة مدة عشر سنوات في المدرسة وبعدين، كنت أظن واح يساعدنا ويدبر ماله علينا. هسه لا يساعدنا ولا يفترب منا. كنا سعداء لما كان طفل يعيش معنا لأنه كان إيتنا الوحيد. هذا التعليم هو شيء موريب صاحب نسرقي أولادنا»

ورأيت في مكان آخر امرأة عحوراً بالقرى من قرية فساب. كان زوجها قد طلقها. وجدت لها، على أية حال، عمل نكتب منه مالاً في مدينة العمارة. نعمل كحارس لبلي لم نكن نملك عدم مساعدة ابها لها

كان يزورها طيلة مدة دراسته في العمارة. يرتدي عند الذهاب إلى المدرسة سروالاً مرفعاً برفعة كبيرة عند المنعد وسنورة. كان يفضل شعر رأسه بدهن لناع ويعرفها على الطراز الأوربي. وبعد زيارته لأنه الذي قد ندوم يومين، كانت أمه تقول لحارائها باعتداده عندما يعادها. «إسي منمدن. بأكل بالملعقة ويول وهو واقف».

وفي إحدى زياراتي الكثيرة لقرية فباب، دعانا (داخل) لحضور حفلة عرسه. تذكرت حاله حينما أرسلته إلى البصرة في السنة الماضية للمعالجة وكنت أعتقد أنه لن يعيش. لكن عاش بعد أن نشأى وأراه الآن أمامي بصحة جيدة. وكنت ألتقي به صدفة في مناسبات عديدة بين العرطوس وفي قرية العكار وأحبراً في فباب. وكنت مولعاً بهذا الصبي الحبيب الروح الذي يحب الحذل والحزل نوعاً ما. وكنت أشعر بأني مسؤول عنه لذلك ساعدته بالمال. أما الآن فقد أعطيت خمسة وسبعين ديناراً لبدفها مهرأ لعروسة.



كان معروفاً بأحت صديقه وأدبى ~~وكانت~~ ^{وكانت} ~~تسكن~~ ^{تسكن} ~~في~~ ^{في} ~~بالي~~ ^{بالي} ~~منتهى~~ ^{منتهى} ~~فبروحها~~ ^{فبروحها}

وصلنا قرية فباب عند الظهر قبل يوم من حفلة العرس. وكنت في عاية السرور لأنني وصلت قبل الموعد. كان الجو حاراً جداً، والممرات المائية التي تسير فيها بين مابيت الفصص المينة حارة جداً وكان العرق ينصب من جسمي ومن جسم رفاقي إلى درجة تثلث ملابسهم فكانهم قد خرجوا من الماء. الذي لم يكن نارداً بل كان قانراً

سقطت عباك كثيرة صغيرة داخل الطرادة ونكاثر العوض حولنا كما نكاثر الذباب وكان نلسعنا بدون رحمة من حلال ثباتنا ولو أننا كنا نراها عبر مؤذبة.

ولما وصلنا القرية وجدناها هامدة، لا حركة فيها، فكانها مهجورة، يبعث منها البخار من تأثير أشعة الشمس في ذلك الصيف الحار. لم نجد

صدام لأنه كان قد سافر ليزور الشيخ مجيد ولذلك كان (داخل) يسكن الدار المحاورة مع أسرة من عشيرة العروس وكان منهيماً في توسيع داره وذلك بإصافة قوسين آخرين. ولما أنهى من توسيع الدار، نصب باموسبة حمراء داخل البيت ليعطي مصحح عروسته

وفي اليوم التالي، سمعنا أصوات عواء، وأصوات الدراك من الطرف البعيد من القرية. حيث المكان الذي بدأ فيه (وادي) احتمالاً بزواج أخته. وانطلق رفاق (داخل) عند الظهر ليراهم له العروس بطرادني. فأخذ عمارة معه بدفئة الصيد ونمطن حش بالمدس وذلك لكي يطفئوا النار استهجا بهذه المناسبة.

وكما هي العادة عندهم، كان (داخل) ينتظر عودتهم إلى بيته وما أنه ليس له أسرة رحامي بأى معنى

جلسنا وبحر صمعي إلى الأصوات القادمة من بعد توقف العواء ثم استأنف مرة أخرى وقال لي بأنهم معناه أنهم تركوا من الطراداة وأن وادي يولم لهم الآن وبعد أن نطفئ النار من الخوف، والشمس أحده في المعبب، أرفادت أصوات العواء ارتداداً ثم سمعنا أصوات اطلاقاف متفرقة


فقال لي داخل «هسه العروس تركب الطراداة بأحدوها بعددتين وبدورون حول القرية وينفقون أمام كل بيت حتى يرفصوا إلى أن يصلوا هنا».

وأخيراً قدم الموكب مرأيت العروس حائلة في الطراداة وقد لفتت نوتها الحديد حولها وتحيط بها عدد من المشايخ. رأيت الرجال واقفين على ظهورها وهم يمشون أثناء خدمتهم بحوا.

كانت العرش والسند والمجاديد مكدسة أمام العروس. تلك العرش التي رودها بها وادي حتى تأخذها إلى بيتها الجديد. وما أن وادي رئيس

العائلة فله الحق أن يصرف ما يشاء. كثيراً أو قليلاً، من مهر العروس ويحتفظ بما يشاء من المهر. فقد سرى جداً نصرفه في جهاز أخته، فقد أعطاها الشيء الكثير على الرغم من كونه فقير الحال

ولما حرحوا من المرور وبلوا إلى البر، أطلقت عدة عبارات بارية من بندقيتي. وأما عمارة وحسن فإنهما كانا بظلفان النار أبصاً، أحدهما من المسدس والآخر من بندقة الصيد. وهما يسيران نحاب العروس إلى أن وصل الجميع إلى الصفحة الكائنة أمام البيت

وفعوا قليلاً فارتحل (عحرم) بيتي من الشعر وأحد يرددها ثم علت الهوسات بين الحشد سردهد هذين البتين وهم يفعرون على الأرض ويدورون حولاً ويلوحون سادقهم ومحاديقهم وحاحرهم فوق رؤوسهم وكنا نطلق النار بفترات حتى يريد من جماسهم وضوا على هذه الحالة حتى معيب الشمس فذهب كل منهم إلى  دانه جنى يأكلوا

نحمتا من بعد ذلك مرة أخرى (داخل). وبدأ الصبي (حلو) ومعه عدد من الشباب بالعباءة ~~وكانوا يمشون في ساحة~~ أما داخل فلدا بوزرع المسكاير والشاي على الحاصرين. دام الاحتفال إلى منتصف الليل وافترحت عند ذاك على عمارة بأن نصرف حتى يفسح في المجال إلى داخل بأن يدخل على عروسه وسوف يكون مسروراً بعملها هذا. غير أنه أحاب فائلاً هل كل شيء ربي مروح لما يكون داخل مستعداً. وبعد فترة استعار داخل بندقة الصيد مع إطلاقه واحدة ثم اختفى. استمرت الحفلة ونحن مدمجون فيها بحور وبعد فترة، سمعت فجأة صوت إطلاقه من الطرف البعيد من الغرفة وما كنت أنوقع هذا الشيء. فانبسم الحاصرون ابتسامة عريضة لأنهم كانوا ينتظرون مثل هذا الشيء. ويظهر أن هذه الإطلاقة هي إشارة نذل على أن العريس دخل على عروسه ثم ظهر مرة أخرى ولم يكن مظهره الحارحي كما كان في السابق. وكانت دشداشته مفرقة وعفاله غير موحود. ثم سأله ياسين عما إذا كانت عروسه قد برهت

على أنها أصيلة فأجابه ساحطاً وبشيء من الهرل: «مو سمعت صوت
الطفلة!».

وفي صباح اليوم الثاني زرت داخلاً وأدخلني إلى غرفته، حيث
المكان الذي يجب أن نفي فيه عروسه، حسب عادة العشائر، سبعة أيام
أخرى. جلست بجانبها فوق كومة من البسط والمخاديد وجدتها نشه
أخاها في الشكل لها وجه لطيف، ممثلة الجسم لم تكن خجولة جداً.
وبللت ملابسي سوع من العطور وأطعمني الحلوى بينما ابهك داخل في
إعداد الشاي.

وبعد انتهاء هذه الأيام السبعة، سى داخل له بيتاً صغيراً في القرية
واستقر فيها. كانت العناية هادئة الطبع، كدودة في عملها، متقصدة في
مصرفها وهي صفات جعلت منها امرأة جيدة.

ولدت له في السنة الأولى  وفي السنة الثانية طفلاً وكان
داخل بأني بهما حبسا كنت أزوره وهو في حابه الاعرار ونصع أحدهما في
حصي ولم أكر أبالي بالأطفال.

وعند عودنا إلى قرية الرقبة، توقفاً في قرية كبيرة من قرى المعدان
بالقرب من مصب نهر العذل. وقبل وصولنا عدة أيام كان أحد الرجال
المستبى قد خرج من بيته وترك الطفلة الصغيرة مع أمه العجوز والعمباء
ودهب إلى الدكان. ولما عاد وجد الطفلة قد سقطت في الماء وعرفت
فأقام لها مجلس الصائحة على روحها في بيته. وما أنني كنت أقبم في بيت
بجوار بيت هذا الرجل المصاب بفقد طفله وحب عليها مشاركتي في
العزاء.

كنت أرى الرواريق تروح وتعدو وهي محملة بالنساء أو الرجال يأتون
ويروحون من بيت هذا العجوز. والشيء الذي جلب انتباهي هو أن الزورق
لم يكن محملاً بالنساء والرجال بشكل مختلط لكن بالنساء أو بالرجال
فقط. وكنت أسمع عويل النساء. بعنو نارة ويخفت أخرى. وقف بجانبنا

صبيان وأحدا يتحدثان إليها وعرفتهما إذ كانا يصحبنا حينما اصطدنا حزيراً في السابق. جلس هذان الصبيان يتحدثان ثم قال أحدهما للآخر: نعال مروح هناك». فترحلا وسلما عليهما وأروبا في مكان بعيد ثم أحدا بيكبان وبتنحان على مسمع منا. تذكرت مناسبة سافدة حينما كنا مع عشيرة الفرطوس، وأحدثني فالح وداود وحنبال للصيد في الأهوار، نعد قليلاً عن فربة حاسم صادها رورفاً فادماً من فربة فعرفت أن أحد الصبية من أصدقائهما قد مات في ذلك اليوم. واستسلم الصبيان الثلاثة للعويل والكاء بشكل حسيبي إلى أن قال لهم فالح أحبراً «كافي» فأفلموا فوراً عن الكاء والتفتوا محاذبهم.

قلت بحب أن يعزّي هذا الولد المصاب بفقدان طفله فدهسا للنعمة. ونظام العائنة لكلا الحدين ^{منذوم} سبعة أيام، يقوم خلالها الفرويين بتأمين وحة العناء بالشاوب وبشرى الناس من أهالي الفربة الفهوة فقط ولا يشربون الشاي أو يدخنون السكاير في العائنة وينزكون ذلك إلى الزوار. واقترح عمارة بأن أبدأ أنا بقول «العائنة». لكنني رفضت وقلت له من بأن يقولها هو بدلاً عني لأنه من الصعب على غير المسلم أن يعرف ما سيفعله من التعابير الدينية وما بحب أن لا يقول في العوائج والأحاديث الكثيرة التي تدور في العائنة هي كما يلي: «الحمد لله» و«سم الله» و«إني في حفظ الله ورعايته». وما يقال في العوائج من الكلمات الأخرى هو على كل حال من وأحب المسلمين. مثلاً. يصيب المسلم حينما يسمع يذكر اسم السي محمد ﷺ. أما أنا فما كنت أذكر اسم السي عبد التحدث بل إنما أقول «نسكم». وكنت أحلس بين الشيعة خلال الأيام العشرة من شهر محرم في محالّس العزاء على مقتل الحسين إظهاراً للحزن والناسي. فاستمع إليهم وهم يقرأون قصة مفنله من عند تناول العشاء فأنصرف كما ينصرفون. أنهض حينما بهضون وألعت إلى البمين أو إلى اليسار حينما يلتفتون.

كانت العرفة مزدحمة بالناس حينما دخلناها سلمنا على الوالد، وهو رجل كبير السن وأعرج ينبعج لشرح أصيب به من جراء إصابته بإطلاقه، دعاني إلى الجلوس بحابه ثم قدمت لنا القهوة والشاي والسكاكر.

وفيل (١٢) سنة، اكتسب هذا الرجل شهرة في معركة حرت بين الشيخ محمد الحليفة وبين والد زوجته الحاج سليمان ولم أكن قد نعرفت أبدأ إلى السبب الحقيقي لهذا القتال ولكنني عرفت بأن اسم الحاج سليمان قد قُتل في الوقت الذي كانت فيه زوجة الشيخ محمد.

وبعد عدة سنوات قُتل حبيبته أكرم أثناء مجده. ويقال بأن مقتل حبيبته كان جزءاً من نفس المعاناة. وفي تلك المعركة هجم رجال الشيخ مجيد عمر حفول الشلب المكشوفة واستولوا على قرية الحاج سليمان أضرموا النار فيها




كان أبو الطفيلة المبرور بن الحارث بن عبد الله بن مسعود
حميها بعد إصااته تحت أسوار الحصن المحمية. لذلك أحفظوا في
احتلالها

جلست بحاضره كما بينت مدة نصف ساعة أُشرب إلى عمارة موحوب
الدهاب فقرأ «الغائبة» ثم عضا وغادروا العرفه
كانت العدة أن ساهم في المصاريف بُدلك حينما أوصليا هذا
العجوز إلى الباب وصعت في يده نصف دينار

٢١ - فيضان سنة ١٩٥٤

كان شتاء سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ شتاء فاسباً جداً. وكان نهر دجلة فائضاً جداً بسبب هطول الأمطار العريضة في الشتاء وذلك عندما عدت إلى العراق في أواسط شهر شباط. حدث هذا الارتفاع على الرغم من أن الثلوج الهائلة على قمم الجبال الإيرانية لم تبدأ بالذوبان

التي في عمارة وسيلي في  القبة وأمصبا بضعه أيام فيها مشري الأدوية والحراطين والملاسن ثم عدنا من بعد ذلك إلى القرية. وأمصبا في طربقنا ليلة واحدة في مصيف فالتح الذي كان ولده عبد الواحد يقوم مقامه

كان عبد الواحد شاباً لكنه لم يعد لا بدري ماذا يفعل لأن والدته الشديدة والمحبة كانت مسيطرة عليه فتدخل في شؤونه. وكان لا بد وأن يفق أنواع فالح الكبار السن بحايه لكنها تحلصت منهم حتى نوفر المال. فقد ترك دابر العمل كما عزم عبد الرضا أن يترك العمل أيضاً. وكان يتردد على المصيف في هذه الأيام عدد قليل من الناس، فكانا نحلس معظم الوقت صامتين وهذا من شأنه أن يدخل السأم في الفلوب

كما قد تركنا طرادتنا في هذا المكان ووجدناها غير صالحة ننسرب العمياء إليها. فقلنا لها رأساً على عقب وبدأنا بسد الشقوق بصورة موفقة إلى أن تعبد تصلبها ونحديدها لذلك فرزنا عبور الأهوار والنوحه إلى الهوير

حتى يقوم الحاح حميد نفسه بحسبة التحديد. كان النبار فوباً جداً، ومسوب الهر غالباً بحيث يصل إلى حافة الضفاف. وفي طرفنا، شاهدنا عدداً من الرجال على شكل مجموعات وهم يعملون بحد ونشاط في نفوية السداد وذلك قبل وصولنا إلى الربعية، تلك القرية التي مكثت فيها مع عمارة الذي وسع بينه الآن فأصبح فسبحاً ودا بناء جيد كما كان أثناء البيت حديداً من سحاحيد ووسائد وعمر ذلك ويعرى سبب نحس حالهم العاليه إلى كون إخوانه يعملون بحد ونشاط مما يدرّ عليهم ثابجاً جيداً. فمثلاً أخوه رشك بذل جهده في حفلة والحواميس أحست عحولاً وبدأوا يحلون اثنين بدلاً من واحدة

فرحت جداً لعودتي إلى الربعية ولمست أن أهل القرية كلهم مرحون بعودتي. ولما نزلت من الرورق مشي الصبيان ورائي مكأهم بحرسوسي حتى وصلت إلى بيت (نقب)



وهناك طلب الرجال الكمار في الحس من عمارة بأن بصرف الصبيان فقالوا له: «رغم هدوله المروخ تخشع من حكاياها» ما أسهل القول وما أصعب التنفيذ. أسي هؤلاء الصبية الانصراف وأجاب أحدهم ولا يتجاوز عمره سبع سنوات بوفاحة «حلونا وحدنا هو صدينا مو صديكم».

لم أشاهد مطلقاً رجلاً بصرب صبيّاً صغيراً ولا يشفق عليه أحد كما لم أشاهد أبداً نشاحر الصبيان مع بعضهم البعض إلا في مناسبات نادرة جداً.

والآن، ناشد رشك هؤلاء الصبيان بأن يساعدوه في مسك بعض فروج الدجاج واستباحوا لطلبه فاندفعوا يطاردون فروخ الدجاج وهم ينتظرهم هذا أشه مجموعات صغيره من فروج الكلاب. والدجاج هنا ملك لـ (مطرة) أخت عمارة التي كانت تذبج عدداً منها كلما بقيت عندهم وكانت أحببناً تبيع عدداً منها للمشتريين الذين يأتيون من المدن وينجولون في

الفرى لهذا العرس. وكنت قد اشتريت لها ملابس سلكية راهبة حضراء من البصرة. إختارها عمارة بنفسه، لذلك شعرت هذه المرأة بأنني عبر مفضّر مقابل مروح الدجاج.

كانت مطرّة فناء ححولة، هادئة الطبع، ربيعة، حلوة السمائل ولها وحه حميل. وسألنا مرّة عمارة عما سيفعله هو ووالده إذا ما طلبها الشيخ لينزوحها فأجابا بأنهما سيرفصان طله.

«إذا الشيخ يريد بنزوحها ما عندي قوة أحبها»

بإمكان الشيخ أن يروح كل فناء نعهه ولكن لا يمكنه لست الشيخ إلا أن يروح أحد الشيوخ ويطلق الشيء نفسه على الساذة. ويحق للمسلم أن يروح أربعة ساء ولا يحق لأي أحد أن يتجاوز هذا العدد. وفي فناء رأيت صدياً وشخصين آخرين فقط يمشون وحينئذ كنت في أول الأمر، أفترض بأن نسبة عالية جداً من الأطفال يجب أن يموتوا في سن الطفولة. ففي إحدى فرى عشيرة المرحومين التي كنت قد ررتها من قبل، كان قد مات خمسة أطفال من مرض السعال الذي في مدة أسبوع واحد وهذه في الحفنة نسبة قليلة ومن أجل المقارنة أحدث عشرة أسر في قرية فناء بشكل عشوائي فكان مجموع الأطفال ثمانية أطفالاً

ومات منهم ثلاثة عشر طفلاً بعمر أقل من خمسة عشرة سنة. ومن أولاد (ثقب) النسعة لم يمت إلا طفلاً واحد. وأخوة وأخوات سبيني السبعة كلهم أحياء فتعجبت من ذلك كثيراً فكيف يمكن مقارنة هذه الوفات مع وفات الأطفال في إنكلترا

مكثنا في قرية الربعية يوماً آخر قبل أننوحه إلى قرية يوميفات ولما نحرنا في اليوم المقرر لسعرا، بدأ المطر بهمر خلال الليل ولما أصبح الصباح وجدنا السماء ملبدة بالعبوم تُندّر بمسقوط المطر ولما وصلنا إلى مسافة يمكننا فيه من رؤية بيت حسن بدأ المطر آنذاك بالانهمار واستمر

انهما راه طوال النهار بأسره ولذلك تلبثت ماء المطر قبل أن يتمكن من إخراج حاجبائنا من الزورق لإدخاله إلى البيت.

كان البيت ذا ساء جيد، له سقف بحتوي على عدة قطع من الحصران السمبكة ولم يجد حسن نفسه في البيت بل إما كان قد خرج إلى الصيد. عبر أن عفرأ والدته رحلت بنا وأوقدت النار حتى نحفب ملايسنا. وعفرأ هذه هي امرأة ضحمة الجسم، لها عيان واسعتان رماديتان مائلتان إلى الخضرة بصرف الطر عن وجهها المربع الشكل. لها عود على أهل القرية، كرسيت حياتها من أجل إنها نحد من أسرة شهيرة هي مكزي وكانت نرندي ثياباً مقلمة

ولما سمعت بهذا الاسم لأول مرة، توفعت بأني سألتفي بمعص الناس ممن يحد من جماعة من الأكراد وهذه الأسرة هي في الحقيبة من عشرة الفريجات ومن مثل لا يرى إليه لستك

كان حد عفرأ قد سمعنا به كيري بسماع باسم رجل اسكونلندي كان قد صادفه في الحرب العالمية الأولى وأعجب به

جاء حسن وهو مثل حتى حله وقد امتلأ رورقه الصعير إلى نصفه بالماء المتساقط من المطر وكان يحمل معه عدداً من البط الهري كان قد اصطاده بطلقة واحدة.

وحكى لنا كيفية إصطياده فقال بأن البط كان وحشياً جداً إلا أنه تمكن من الافتراب من هذه المجموعة المؤلفة من (٤) فقط وذلك بالنفاطه باقة من الفص ووضعتها أمام عبيه حتى لا نراه وحوضه الماء إلى عمق عفه

وبعد فترة جاء ياسين من مكان منات الغصب. وكان ياسين وحسن منلهقين للعمل معي مرة أخرى.

ويعد أن جددا الطراة في الهدير ، حططاً بأن نعر نهر دجلة من
الفرية ثم نحه شمالاً من حلال حرة من الأهوار الشرقية والتي لم يسبق لنا
مشاهدتها . غير أن صحين قال لنا باصباحاً «لا نغثربوا من بحيرة زكري في
مثل هذا الطقس إدهوا الى الحبوب إلى نهر الفرات من حلال قرى
السوحت . ولاحظوا تلكتي نكثرون ناخذون وياكم طاهر عبيد كدليل معكم .
هذا بعيش على التهرب ويعرف الشرق المانية كلها في الأهوار الشرقية» .

وقال ياسين «نعم . إنفبت به بالعزير في العام الماضي . فإذا جاء
معا فوسعا أن نذهب اين شاء» .


في اليوم الثاني تناولنا طعام العداء في (دوب) مع الرجل الذي كان
كلبه قد هجم على إسه فل ثلاث سوات ولما أردنا أن نرحل ، ألخ الوالد
والولد نفسه بالقاء يوماً آخر ، لذلك أمضينا الليلة عده

كان اللصوص قد سرفوا قبل بضعة أيام عددا من الحواميس من هذه
الفرية حلال الليل . فعندما رجعت الكلاب ، علم أهل الفرية بوجود
اللصوص ، فبدأوا بمطاردتهم وإطلاق النار عليهم فأصابوا صباً في صدره
فقلوه في الحال . وكنت أعرف العصي المبيت فذهبت إلى مجلس القانحة .

وحكى لنا صحين هذه الحادثة في قرية يومقعات والفي الشك على
لص من عشيرة الفريجات الساكن في العوسج . غير أنه ثبت لهم الآن أن
اللصوص هم من عشيرة السويد ونعرفوا إنبهم من أصواتهم لأن بإمكان
رجال الأهوار التعرف إلى الأشخاص الغرباء من لغتهم فيكتشفون العشيرة
التي ينتمي إليها

عشرا على طاهر في البيت حينما وصلنا في مساء اليوم التالي . رأيت
رحلا قوي البنية ، يبلغ من العمر ثلاثين سنة . يمكن تمييزه من الورم الكائن
فوق عينه اليمنى وحجمها فخر حجم الثعيرة . ولما عرضنا عليه الأمر وافق
على مراقبنا

وكان قد مات أكبر أولاده حديثاً ففي له طفلان صغيران فقط لذلك ساعده في الصبابة ابن أخيه لأنه صبي نشيط يبلغ من العمر اثني عشر سنة ويعيش بحوار بيته. وكان هذا الصبي يشبه أبا. وأما أخو طاهر فهو أصغر الأخوة ويشبه طاهراً بشكل عام من المظهر ويعيش هو الآخر على التهرب. وسرعان ما حصر عدد من الناس المرصى أكثر من المعناد حتى أعالجهم جاء بعضهم من مسافات بعيدة فتعجبت من الطريقة التي تنتقل فيها الأحبار بسرعة. ولهذا السبب بقيت يوماً آخر مع طاهر حتى أعالجه هؤلاء المرصى. فوجدت في هذه القرية صبياً قصيبه نحت حصنيه. ولم يسق لي أن رأيت مثله.

وهي طريقنا إلى الهوير أحرباً طاهر من أن معامراته الأخيرة لم تكن ناحية حيث ألقت الشرطة الإيرانية القبض عليه وصادت ما بحمله من أموال مهربة كالشاي والسكر  استحوط حول مصير شرطيين إيرانيين كانوا قد احتجوا قبل عدة أشهر بعد يومين من الصرب بالعصي والتعقبين الشديد ثم بنوصلوا إلى طهران لذلك أغلقوا سراحه ولكنهم حذروه بأنهم سوف يطلقون النار عليه إن أمسكوه مرة أخرى. ثم بأوه وقال «أقدر أدليهم على مكان اجتماع الشرطيين الممفودين أنا اللي دفعتهما نحت حرية عانمة في الهوير كنا نحمل الدبقي فطاردا هذان الشرطيان في الظلام. لكن تركنا ورانا شخصين وكمننا وباعتاحما. وحصل كل واحد على مائة دينار من بيع بدقيتهما. أما الآن أحاول البقاء بعيداً عن إيران في الوقت الحاضر».

تقع الهوير على مسافة قليلة فوق خليج صغير إلى الشمال من مهر الفرات. نحد الدور وعدداً من المصايف منصبة نحت أشجار التنخيل الباسفة فوق جزيرة ذات أرض عالية محاطة بالمور. مكثنا مع الحاج حميد في مضيقه الصغير المحاور لساحة القارب. وحدته بحلاً ذا حيوية ونشاط وهو بمنوسط العمر.

أمر الصبيان بأن ينزعوا القشرة من الطراذة في الحال ثم اصطحبوني لتتجول في القرية. وحدث الناس منهمكين في صناعة الفوارب إما بطريقة مباشرة أو بطريقة عبر مباشرة فالأواح الحشب وكتله وأعواد الخيزران كلها مكدسة في الساحة حلف دكاكبيهم وبيع المغالون في دكاكبيهم المعدات الخاصة لصناعة القوارب والمسامير بالإضافة إلى السلع الاعتيادية. ووجدت العمال يشتغلون تحت أشجار الحبل وهم يصنعون اللمسات الأخيرة على قارب ذي صاريين فل إمراله إلى الماء على حدوق الأشجار. ويعمل معظم أصحاب الحرف في الساحة التي تعود لهم والتي نفع وراء حواجر الفصص. برعوا فيشور الفوارب الصغيرة أو بطلونها بالغبر من حديد أو يصلحون الأطر المنكسرة أو يصنعون فوارب جديدة.

رافسا أحدهم وهو رجل عجوز يصنع رورفاً صغيراً. صمم الطن أولاً من الشرائح الحشبية المعرضة. وخلق كل شريحة نعد عن الأخرى مقدار عقدة واحدة أو ما يقارب ذلك.



ثم ثنت لوحه حشبية طويلة تكفي لعمق الوسط. إنهى من صنع الهيكل وحن بشرب الشاي وكان يختار القطع المناسبة من الأحشاب المكدسة بجاسه. كان يستخدم الفؤوم ومشاراً صغيراً ومثلاً مقوساً موصوعة بحابه فوق الحصير مع عدد كبير من المسامير. كنا نشم رائحة الغبر العذاب حيث تحرف أبحرنا الرياح بحوا من الساحة المحاورة. وكانت أشعة الشمس تنسلط علينا من خلال سعف النخيل. وشاهدت عرابين أرفطين على السعف، بطران إلها ويراقبان كل حركة من حركات العمال.

وأخيراً قال الحاج حميد فحلي نزع هسه لازم حلصوا نزع القشرة من طرادنك. راح أفبرها من بعد العداء بغبر حديد. إن هذه اللبلة حنى نبس عند الصباح ثم صنع لنا محاذيف جديدة وصبيغ ريشنها باللون الأحمر حنى يصعب سرفتها. ولمست أنهم يفرحون جداً إذا ما حصلوا

على مجاديف من صنع الحاح حميد. وعلى هذا الأساس، أصبحت
محاذيتنا منذ الآن مميزة عن غيرها. وكانت تبدو جيدة.

وفي صباح اليوم التالي، عندما أذبحنا، وبدأنا نهدف سوية في الماء
ونحن نسير مع المحرى ومررنا بصفي النهر المعروسة بأشجار السحيل.
وكان طاهر يحلس في مقدمة الطرادة، حيث المكان الذي كان يشغله
حسن وحلّ حسن في محل عمارة الذي حلس قبلني كمسافر. وفل أن
وصل إلى الفرقة نخطباً ورقيب أو ثلاثة نحارية النوع

وحدما حسراً من نوع حسر ياتون مشبداً على نهر العرات في المكان
الذي يلتقي فيه سهر دخله وهو مفتوح لمرور الساطة. وكان منسوب نهر
دجلة غالباً فتناولنا طعام العشاء في مصيب بفع في الطرف المعبد. وكان
ذلك اليوم بتاريخ الرابع من شهر مارس.

تقياً في الحجاب الشرفي من الشهر  الأسابيع الخمسة التالية.
ورنا في البداية العشرات التي لم تكن في السابق مثل الدحبات أو
عشيرة الحلفي Haliki ثم  ثم  إلى أصدقاتنا بين عشيرة
اليوم محمد وعشيرة الفريجات والسويد

كانت الأمطار تهطل في أكثر الأوقات وخاصة أثناء الليل مصحوبة
بزوايع رعدية فانحرفت المياه نحو الأهوار بما في دور نحنوي سفوفها
على أكثر من حصيرتين لأن معظم الدور فيها حصيرة واحدة في السفب.
وكانت الحصران الموحودة نوصع أحياناً في أرضية العرة فوق حاجياتهم
البينة وما كان هذا يمنع من نسر مياه الأمطار إليها. كان الجو بارداً جداً
فكنا ننام على شكل أزواج متعاسم عطائنا. وكان الميضان يرداء ارتفاعاً
على الدوام

حرحنا بعد ظهر أحد الأيام إلى الصيد. وكانت العبوم قد نجمعت
سرعة على شكل كتل كبيرة ندر حدوث رواج رعدية هائلة. وقال ياسين
تلقن «ها رب. امشاء الله ماكو نرد بهل روعة»

ورث عليه الآخرون بدعاء مثل دعائه بدأت الروبعة. وفيل أن يصل إلى البيت كان علياً أن تُقي الطراة عاتمة فوق الماء وكان رفاي بحشون من سقوط البرد، ولهم كل العدر في ذلك لأنه، في السنة التالية صريت الزوبعة التي تحمل السرد قطعة واسعة من السانات الواقعة في النصف الشمالي نماساً من الأهوار، محظمة بذلك أكبر عيذان الفصص ومهلكة عدداً لا يحصى من طيور السجع والأور وابواع أخرى من الطيور المائبة وأنلفت المحاصيل في كل مكان كما فتلنا أيضاً عدداً من الحواميس. وقال عمارة «وفا هل ماي العالي راح بفتل كثير من الحنارير هل سنة» ووعلاً فتلنا عدداً كبيراً منها. وفيل أن يختار بهر دحلة ثابتة كنت فدل فتلنا (٢٠٥) حنريراً. إن مثل هذا العمل مثير وحظر أحياناً وما كنت أصبدها لمجرد النسبة فقط.

نعنر هذه الحنازير أعداء حنازير الأهوار الطبيعية وكان علي أن أثير في نفوسهم الصعبة أو دفعهم لقتل هذه الحنازير وأن لا يشعروا بأسى حينما بفتلونها ومع ذلك، تفيد كل أبيت من الحنازير هنا كما أبيت الأسود فلا بد وأن أصبح مكروهاً ولكن أشكالها الداكنة وهي ففانات علي حافات مابت الفصص عند المساء تعتبر بالنسبة لي حرراً مكملاً لمظهر الأهوار. وأنه من غير النعرض المستمر للحظر من شئ الهجوم المقابل عليها نفدل الحياة هنا كثيراً من نهجتها

ويمكن أن يكون الحنريير حسوراً إل درجة مذهشة ففي إحدى المرات وأنا في أراضي العميرة، أأدل لي الفرويون بأن أحد الحنازير عاد إلى القرية مع الجوايس وأمضى الليل في الدور الحالية، وما صدفتمهم حتى رأيت حنريين بيران في المباءة الصحلة وهما في طرفهما إلى القرية مع مغيب الشمس. فقمنا بمطاردتهما وقتلناهما. ولما رجعنا في الظلام قالت لنا إحدى العوائل حيث كانت المرأة جالسة خارج البيت بالقرب من النار بهدوء وحذر.

«شعقوا اكو بعد داخل البيت» وكانت تشير إلى باب البيت المحاور والذي يبعد مقدار بضعة باردات وحسب في أول الأمر من أنها نمارحنا فنزلنا، على أية حال، من الزورق على الدس وكادت الحماير نقتلنا لأنها خرجت من داخل البيت بسرعة وهائجة وألفت نفسها في الماء.

إنحيا بالطرادة نحو الشمال، وقادنا طاهر إلى العويش، وهي عبارة عن سلسلة طويلة من الأرض المرتفعة قليلاً عن مستوى الماء، تمتد بمحاذاة نهر دجلة. وكانت معظم الحماير غاطسة في الماء نسب مسوب المصباح شكل عبر اعتيادي وعدد آخر كبير منها مصططح على الأرض في ذلك النهار. وكان رفاقي يدفعون الطرادة بسهولة من خلال الترسبات الطيبة في أي إنحاء يريد حتى مصطاد الحرير الذي سعي فتلته وهي أحد الأيام، ومن بعد الظهر، قتلت (١٠) حماير كانت تسير أمامنا الواحدة وراء الأخرى. وكنت أرمي بشكل اعتيادي في ذلك اليوم حيث قتلت حمزيراً واحداً بإطلافة واحدة فقط. ثم عثرتنا على أربعة حماير أخرى وعندما قتلت أحدها، نحصنها الغنية حوله وهي نصرب الأرض بحوافرها وبقيت لفترة بحواره وما أدركت السك فقتلهم جميعاً.

ثم رأينا ذكرى حرير كبير الحجم، وفقاً برافمانا على بعد (٢٠٠) بارداً. فأدار طاهر ووفاه الزورق إلى الجانب ثم وقفوا خلفهما فحلت على الزورق وأطلقت النار فقتلت أكبرهما. بدأ الحرير بالدوران كأنه مزارع ثم وكض مقدار (٢٠) بارداً ثم انحرف ونوجه نحواً رأساً ومن ورائه الآخر. فأطلقت أطلافة أخرى سمعت صوتها حينما أصابته، لكنه لم يسقط على الأرض. فأطلقت أخرى وهو لا يزال يواصل اندفاعه نحواً حتى أصبح على مقربة منا تماماً. فأطلقت النار عليه فسقط هذه المرة على الأرض. أطلقت أربع إطلاقات حتى سقط ميتاً. حشوت السدفة وأطلقت النار على الآخر فأصابته الإطلافة لأنه كان قريباً مني. ولكن لو ففر ففزين أحريين لأصح فوقه إلا أني مادته بإطلافة أخرى فسقط على الأرض.

ونوحها من بعد ذلك نحو الرورق حشوت السندفة استعداداً للرمي ولكنني وحده حثة هامة لا حراك فيها فاحسبت وأنا في الرورق ولا مست يدي أفرها. أما الآخر فكان بعد عي بمقدار قدم أو أكثر.

كنت مركزاً كل همي في الرمي لذلك لم أكر أفكر في الحرف. عبر أن هجوم الخنزير وهو يتدفع نحواً وعدم تأثير إطلاقاني فيه لا يذ وأن بسبب ذعراً شديداً لرفاعي الحمسة الدبر كانوا غير مسلحين لأن سندفة الصبد والمسدس كانا معي داخل الزورق. ولقد كانوا خائفين فعلاً لأنني التفت إليهم ورأيتهم على أهة الاستعداد للفرار على الخنزير والحاجر بأيديهم. فقلت لهم

«ماذا كنتم تعملون لو أن الحزير دخل إلى الرورق؟»

«كما نركب على ظهره ونقتله بحجارة» أجاب عمارة.

وفي اليوم الثاني طارداً حزيراً ذكياً آخر في مياه عمقها (١٨) عقدة. كان بعد عا مقدار (٤٠) يارواً فقط. كما نتقدم نحوه فاستدار وهجم علينا بسرعة وهو في الماء بحيث كان الرذاذ ينشأ بشكل عريض جداً أخففت في إبقائه وأنا في الطرادة التي لا زالت تتحرك وأصبح نحاساً فل أن أتمكن من إطلاق النار ثانية.

وكان طاهر قد استعار رمح صيد السمك في ذلك الصباح فذود الرمح في وجه الحزير الذكر فأصابه وانعرج الرمح في جسمه. أما أنا فأطلقت النار ثانية فأردبته فتبلاً، لكنه صرر الطرادة من العجاب قبل سقوطه جثة هامة بحيث سقط طاهر في الماء ونزل جسمه من رأسه إلى أحمص قدميه بالوحد ثم بهض وهو بنم كلمات سريعة غير مفهومة

سأله بأسس سראה «لش دبيت نفسك بالماء؟» مو جت بأمان تماماً بداخلها. مو شفت الصاحب راح يرميه؟ لم بصحك طاهر على هذا القول.

وقال عمارة «لو تقدم الحزير قدم آخر، جاد بحطم الفارب إلى قسمين. مثل الفارب التي شناه قبل اليوم، التي حطمه الحزير».

كان هذا الحزير أكثر حزير شاهده إلى الآن له شعر طويل وخشن بلون بني غامق. كانت جلود بعض الحنازير الأخرى سوداء تقريباً وبعضها الآخر حمراء. كما شاهدها مرة وحس بسير مجموعة من الحنازير باهتة اللون بحيث حسبتها لأول وهلة أعناماً وعلى أية حال، فإن كثيراً من الحنازير لها عدد قليل من الشعر الخشن على جلودها الأخرى. نلد الحنازير بين شهر مارت ومايس. ونلد الواحدة منها خمسة فروح دفعة واحدة، لها جلود مثقلة ناعمة الملمس، حذابة الشكل

وحينما كنت أصطاد الحنازير، كنت أرى أنه لا فائدة من سوفها مانحاء الريح. وللحنازير بصر حاد ولكن يظهر أن سمعها ثقیل وخاصة عندما تكون نائمة. إذ ناداني من تحت الحنابة من عشيرة بني لام بأن أفترب معهم جهاً كنت أقوم بصيد الحنازير على ظهر الحصان في أحراش نخوي على أشجار الطوباء، وقلت لهم أنني أرى حنازير كثيرة جداً، صخيم الجسم، وهو يعط في يومه داخل الدغل وحس على بعد ياردة واحدة منه

ويؤكد المعداد بأن الحزير يقاتل على الحبة أو المواد الفاسدة وفي العوبسح رأيت فعلاً عدداً من الحنازير التي قتلها قبل أيام وقد أكلت أحراها منها من سات أوى التي ننواحد بأعداد كبيرة في هذه المسطفة وأحس من عرف جميع سات أوى في تلك السنة لأنه لم يبق هناك إلا قطعة صغيرة من الأرض لا تزال عبر معمورة بالنباء التي كانت في حالة ارتفاع مستمر وسنفي على هذه الحال طوال شهرين آخرين على الأقل

وكثيراً ما كنا ننام في غرى صغيرة فوق حدار نحيف من الطين محاط بالمباء. وكنت أنوقع دوماً سفوطها وحس بيا

كانت الزوايح تحدث في معظم الليالي مصحوبة بالرعد والرق وكنا

تقبل بسرعة. وكانت مياه الأمطار تنهمر عليها من السقوف المشفوفة. وفي الصباح الطفيف، كما يحجب ملابسنا وإلا أصابنا بالبرد وأصبحنا في حالة تعبئة.

كنا واصلنا سيرنا عبر مساحة واسعة من الطين الممروح بالماء ونحت سماء مكفهرة بالعيوم. وحيثما وصلنا جبر الكحلاء وحلما الفري الواقعة على مصبها معمورة بمياه الفيضان

فهي إحدى الفري، اكتسحت المياه الجدران الطينية المحيطة بالدار، خلال الليل وكانت الأسر نتلمس طربفها في المياه بحثاً عن حاجياتها. وكاد ضغط المياه على طول نهر الكحلاء قد حطم السدود بسبب تدفق المياه عبر حفول الفمخ والشعير غير المحصورة، وعندما عبرنا مرة أخرى نهر دجلة، لم نزلنا بحاجة حتى نبحث عن حصر لكي نمر من تحت الطريق الرئيسي لأن مستوى المياه المائتة كان بمنزلة حافات السدود.

فهي مثل هذه الحال كما يرمى الطريق النراي ثم يدفع الطرادة فترلى على الأرض الموحلة. وها أنتهت الطريق الذي يبرحنا حتى يتمكن من مساعدة أسرته فقال لنا «راح نرفع المياه هذه السنة ونصنع غميفة جداً بحيث يصعب على الحواميس أن تقنات من الأهوار. راح شنغل رابذ حتى نقطع الحشيش لنأكل».

كان طاهر ينحلي بمراح حسن ويساعد الآخرين حتى في أصعب ظروف المعن وينفاسهم معهم العمل بالنساري على الرغم من أنه كبير السن، يبدو وكأنه أب لرفاته فكان دليلاً في سيرنا في أماكن نمو القصب الواسعة على امتداد الحدود الإيرانية. لأننا كما نسلك طرفاً لا يعرفها إلا أناس ولائ

وعندما بأن بصحبنا في مرة أخرى، ولكن، لما سألت عنه في السنة التالية قال لي أحد الرجال وهو في غاية الاستعراب «ما سمعت طاهر

مات؟. فقله اس أخيه الصعبر في الشهر الماصي* ويظهر أن طاهراً وأخاه
قد فقدوا عقلهما وتعد صرهما حول بعض الأمور الثانوية بحيث أطلق
أحدهما النار على الآخر. فهجم ذلك الصبي الذي لا يتجاوز عمره (١٢)
سنة والذي رأيناه في السنة الماصية حينما كان يساعد أمه. فأخذ رمحاً من
رماح الصيد وطعن به ظهر عمه طاهر. احترقت إحدى رؤوس الرمح ذات
الشوكة الحادة كليته فمات خلال ساعات بعد أن عانى خلالها ألماً شديداً
مترجاً. فقال لي أحد الرجال من كبار السن. «أخوه صار مثل المحبون من
كثرة حره عليه. شتم امه وونحه مع ائمه أن الصبي نفسه كان يحب عمه
طاهراً جداً وبعثه مثل أبيه حقاً إنها مأساة».

وفي هذا الوقت، ونحن في الأهوار، كنا متفصلين عن بقية العالم
تماماً، لا يدري ماذا سيحل بأرض العراق من دمار لأن المياه غمرت
مناطق شاسعة جداً وأصبحت بغداد مغمورة في خطر حسيم ولكن مع
ذلك، لم يقطع طريق البصرة - بغداد قطري تماماً عن معمر بالمياه مما
مرباه عاجلة للبصرة في شهر نيسان. مناحرنا سيارة تاركين الطراوة في
العدير. وكنت قد اشتريت بندقية كوكو (Kokko) مستعملة من محلات ركبي
Rigby لاسي لم أكن أربح أن أحمل معي البندقية الأخرى من نفس العيار
والتي ضعت لي حصصاً قبل الحرب وفي سنة ١٩٥٤، جلست معي، على
أبنة حال، أحسن ما لدي من بنادق أيضاً وتركنا الأخرى في البصرة.
والآن أهديت تلك البندقية إلى عمارة واشتريت بندقية صيد إلى كل من
سبيني وحسن وياسين.

وبعد شهرين، عندما رزنا البصرة مرة أخرى، ركنا الطراوة وسيرناها
بالمراذي، منحنيين إلى الحبوب على امتداد الطريق الرئيسي حتى وصلنا
الفرقة حيث استأجرنا زورفاً بحارياً لبغلاً في اسهر إلى البصرة. وعندما
عدنا إلى قرية قبات في شهر نيسان وحدها المياه بمسنوى عالي بفل عن
مدخل مصيف صدام بمقدار قدم واحد فقط. علماً بأن المياه كانت بمقدار

سنة أقدم أقل ارتفاعاً من مدخل المصبف نفسه حينما ورت الفرية في المرة الأولى وقد كانت تُعتبر تلك السنة حافة بشكل استثنائي. ثم استوحب منه أن يحيط بءاء سجدار فيما بعد

كانت طاهرة المياه المرتفعة غير ملائمة للمعدان بالتأكيد. ومع ذلك فقد كانت الحياة تسير بشكلها الطبيعي فكانت الأسر تكوّم كميات كبيرة من القصب على أرضية بينها حتى تحافظ على أنفسها من اللل.

ومن فرية فاب إطلقنا لثورر عشائر المنعك الساكنة على امتداد نهر العرات ثم ننتقل نحو الشمال بعكس المحرى. فنوفعا عبد مسيربا لدى جاسم الفارس ومكثنا في صباهه يومين. وكانت الأراضي في هذا الوقت من السنة الكاشة إلى العرب من قرى عشيرة العرطوس معمورة دوماً بمياه العبسان. وكذا أن نعرف في السنة العاصية حينما كنا نمر من العوبدية إلى الحفار لذلك أصرّ جاسم بأن يدخل معنا فيه فالحج مع رحلين آخرين من العرطوس في اليوم



عادربا فرية العوبدية يوم تقيّم الكبير يوم سجدار وسرعان ما هب الريح الشمالي العرسي العاصف، والمياه العسبحة كالحجر تحري في أرض مكشوفة. ولهذا السبب، انتقلنا أنا وسبيني وعمارة بامتنعتنا إلى اليوم، وتركنا ياسين وحسناً في الطرادة على أن يتدبرا أمرهما مع ما بئى من الحمل فيها. فاندفعنا إلى محرى الماء ثم سرنا بعكس المحرى مرة أخرى. كان مستوى مياه العبسان لا يزال فوق المستوى بالمسنة للسنوات الاعتيادية، تزداد في الارتفاع طوال شهر آخر على الأقل. ولكن، حينما رأيت معظم قرى الحفار عاطسة بالمياه، أدركت عند ذلك مقدار خطورة الموقف.

فيماكانا الآن الذهاب إلى أي مكان يريد، نحذف الطرادة واللملم الكبير عبر حقول الفصح غير المحصوة وبن حذوع عدد لا يحصى من أشجار الخيل.

كانت جميع القرى مهجورة. والكلاب الصالة تتبع من فوق سطوح الدور ونحن نختارها. وكما ترى من حين لأخر بفرة، وصل الماء إلى مستوى بطنها وهي وافقة على قمة التلة حيث كانت نأكل سعف النخيل التي كانت نصلها بسهولة. ولكن، كان هناك عدد قليل من المصايين والدور الواقعة على أرض عالية أو في الأماكن التي لا تزال فيها السداد قائمه. وحيما كنا نبادل التحايا عند المرور كان المواجهون في الدور يصيحون بنا أن نتوقف عندهم. وكما يهينون النهره جبا نتوقف عندهم كما بعدون الشاي ويدعون الدجاج ليهينوا لنا الطعام. فكنا نحلس معهم ونحدث إليهم

وكنت قد التفتت بعصم في الريارات السافه. وكلهم قد سمع بأن رجلاً إنكليزياً يعيش بين طهريتهم. ولكن، حتى إن لم أكن معروفاً لديهم فابهم كماوا يرحبون بنا لأننا صوبنا.  وحدثنا ثارات الماء السريعة الجريان.

ففي أحد الأماكن، أصغرتهم من حيث ططفه مسوية نطفع الماء من فوقها على شكل دؤامة فبحة المطر. وكما لا تزال تحمل الصناديق الثقيلة من السلم وهي التي زادت من ثقل السلم والأ سصبح انطراده بدونها حبة على سطح الماء. وحتى في مثل هذه الحالة، كنت أخشى من الانقلاب غير أن ياسين كان يعرف بالتوسط واحه فقاد الطراده فبادة حسه بهما كان رفاقي الآخرون يحذرون بكل ما في وسعهم من حهد. ورأبها مدهية سوق الشيوخ أثناء عبورنا معمورة بالمياه

وبعد أن مكثنا يومين آخرين مع آل حويبر، عدنا إلى الحمار ثم رأبنا من بعد ذلك سوق اليهود حالية ومهجورة.

ولما سلق أصحاب الدكاكين الغارب ليتركبوه انهارت الحدران الطبية وراءهم. ثم غلبنا مجرى نهر الغراف سائرين عكس المجرى حتى وصلنا

إلى مدينة الشطرة بعد مسيرنا بصعّة أميال. رأينا المياه قد أحدثت كسرات على السداد في بعض المحلات. وأما في بعضها الآخر فكانت السداد قائمة. كان الرجال يشتعلون سجد وبدون كلل أو ملل حتى يخلّصوا محاصليهم من العرق.

مكثنا في ضيافة محسن في مصيفه الكبير الواسع الذي يتكون من حيمة واسعة قائمة بين عشرة الوصاح.

كان مصيفه مفتوحاً حتى في مثل هذه الحالات أمام الروار يينح يسعاه. ولا عجب من ذلك فهو ابن بدر المشهور بالكرم والحدود.

مكثنا مع شيوخ آخرين من شيوخ المستنك ولكن كما نقصي أكثر اللبالي مع الرعاء (الرعاة) السطاء أو مع الفلاحين، أحياناً في حيام سوداء وأحياناً أخرى مع أساس آخرين في أكواحهم النقصية (النصائب) أو في أكواحهم الصغيرة المسية بالنطين، كلها مغلقة في داخل هذا الحر المحط مصرائفهم وأكواحهم.



وصلنا قرية العويديّة مرة أخرى كما فعلنا عن فالح بن حاسم العارس ورفيقه ثم انطلقنا لثرور عشيرة الروو.

قبل خمس سنوات كنت أما ودوكالد سنبوارت قد تركنا مصاريفهم وركنا الحويل وانحها نحو الحبوب وصرتنا في الصحراء الرملية حتى نصل إلى مصارب آل عيسى.

أما الآن فعدت إليهم عبر الصحراء نفسها في طرادني لأن الأراضي كانت معمورة بمياه الميضان.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

٢٢ - سنة ١٩٥٥: سنة الجفاف

كانت سنة ١٩٥٥ من جهة أخرى سنة جفاف، على نقيض سنة ١٩٥٤ تماماً لأن الثلوج سقطت قليلاً على قمم الجبال في الشمال ولم يرتفع منسوب نهر دجلة في شهر نيسان فوق مستوى الذي كان عليه في فصل الشتاء وكان محصول سنة ١٩٥٤ الالشيقي قد دمر محاصيل القمح والشعير



أحدى المصاريق خلال الفيضان

على نهري العراف والعراف وهي كل مكان آخر. أما في الأهوار فإنه حال
دون فبام الفرويس برراعة ماطق رراعة الشلب الغيبة الواقعة بين هرية
سبكال ومصب نهر العدل وهي الوقت الذي كانت فيه عشيرة الأذيرج التي
نفع أراضيها لراعة الشلب خارج الأهوار، فادرة على مدر بدور الشلب
بعد أن بهسط منسوب مياه الفيضان فيحصلوا على علال وهيرة من حراء
زراعة هذه الأرض الشاسعة عبر المعسورة بالمياه، لأنها كانت في تلك
السة معطاة بطفة كثيفة من العري. أما الآن فإن مسوب المياه المنخفض
استثنائياً من شأنه أن يملك أهالي الهور من تطهير أراضي واسعة أكثر من
المعتاد ليرعوا فيها الشلب ويحصلوا على منوح كبير، وعلى عكسهم
أصبحت عشيرة الأذيرج بأصوار

الأذيرج عشيرة ندرع الشلب ببلغ تعدادها أربعة آلاف شخص،
يعشون على ما تنحه الأرض المستصلحة المعتمدة من نهر البطيرة، وهو فرع
من نهر دجلة، يترك النهر الرئيسي  36 37
بتفرع إلى ثلاثة محار مهمة تليده مياهه في الأهوار في شمال قرية سبكال.

احترا أراضيها في أواسط شهر نيسان ورأينا القرى الرخية الواحدة
بحايت الأخرى ممتدة على طول الساحلين بدون فواصل بقرى. وهذا في
هذا المكان يتميزون بوجود الرعة المستندة على شكل (T) فأحد الأذرع
يستخدم كسكن للعائلة والأخرى مخصصة للتصيف ونوجد حول بيوت
الرؤساء محازر واسعة ومغلقة مصنوعة من الحصران وعلى سفوفها روث
الحواميس الجافة، نصح محاصيل الشلب من حصة الشيع من السة
السافة. ويمكننا حساب مقدار العلال من كثرة عدد هذه المخازن
وأحجامها

ومع ذلك، رأيت القرى نصف حالية عرفت بأن عدداً من الأذيرج
قد هاجر في فصل الربيع لمساعدة الأهالي الساكنين على صفاف العراف
في حصد القمح والشعير وانخرست في النهاية، أن الذين ذهبوا هم أكثر

من العدد المعناد، وسبت افتراضي هذا على كوى السنة رديئة ذات علال
قليلة من الشلب.

وعندما مكثنا بين طهرابهم، لاحظنا، على أية حال، أن كثيراً من
البوت الواسعة المنبة نناء جديداً حالية من السكان.

ولا يحتمل أن يكون أصحابها قد ذهبوا إلى الاعراف للقيام بأعمال
الحصاد لأن مثل هذا العمل، يقوم به الفقراء. وعرفت في الحال أن عدداً
قليلاً من الأبرح قد ذهب فعلاً في هذه السنة للقيام بأعمال الحصاد إلا أن
هذا العدد هو أقل من المعتاد فسألت عما حدث لهم. فقبل لنا بأن أعداداً
كبيرة منهم قد هاجرت إلى بغداد أو البصرة ونسأوى بذلك العبي والفقير.

تلك هي بداية الهجرة في لواء العمارة وهي تمثل الهجمة القديمة
الطراز التي نستوحب نوك عدد كبير من الممرى كلباً أو حزبياً مهجورة،
وذلك سبباً وراء الثراء في محل آخر. وشارع جميع الفلاحين من هذا العمل
ولم يقتصر الأمر على الأبرح فقط بل تعداه إلى عشيرة الو محمد والسويد
وما بقي من أفراد عشيرة السودا

أما المعدان والعشائر التي تربي الأعيان مثل آل عيسى فتم بنأثروا
بهذه الهجرة. وعندما ذهب إلى العراق لأول مرة في سنة ١٩٥٠، لم تكن
حصول النفط في البصرة مفتوحة ولكن، بحلول سنة ١٩٥٥ كانت هذه
الحقول في أقصى اثناحية، والمال يتدفق على هذا البلد. ففي بغداد،
كانت أحياء تكاملها نفوس وبعاد ماؤها من حديد. وكان بحرى سعيد
الطرف الجديدة في كل مكان وبهم إنشاء الحسور ولهذا السبب كانوا
بحاجة ماسة إلى الأيدي العاملة بأعداد كبيرة جداً فكان هؤلاء الذين
تركوا فراهم وجاءوا ليعملوا يحصلون على نفود كثيرة جداً ويرسلونها إلى
دوبهم في فراهم فتكون مصدراً لتداول لذلك هاجر عشرات الأثوف من
الفلاحين في لواء العمارة مع عرائثهم سعياً وراء المال.



داخل المعصف على مهر القرون

وفي السابق، عندما كانوا يذهبون إلى الحصاد في العراف أو في أي مكان آخر، كانوا يستقلون مع حيواناتهم ويحملون كل ما يملكونه. أما الآن، فقد ناعوا فوارسهم وحواميسهم وحسوتهم - ناعوا في الحظيفة كل شيء إلا ما يمكنهم نقله على ظهور الحادلات واللوربات لأنه لم تعد لهم نية للرجوع إلى موطنهم

إنهم لم يتركوا أراضيهم بسبب الحاجة، لأننا نرى الاربوح الذين شكلوا نسبة عالية في الهجرة أكثر من العشائر الأخرى حصدا في الحظيفة

محصولاً وهباً بشكل استثنائي من الشلب في شهر تشرين الثاني. صحيح أنهم قد واحهوا في السنة التالية نقصاً في العلال نوعاً ما ولكنهم كانوا يملكون الشيء الكثير بحيث يساعدهم على التغلب على المصاعب. هذا علماً بأن الذين بقوا في قراهم لم يعانون صك العيش الحففي

وفي سنة ١٩٥١ كانت المياه ذات مسوب منخفض جداً أيضاً، عبر أنني لاحظت فيما بعد أقل ما يمكن من علامات القفر بس الازيرح والومحمد. والصحيح هو أن المسوب المتندي للعباء في سنة ١٩٥٥ هو الذي عخل في عملية الهجرة بالحمة إلى المدن ولكه لم يكن السبب لها

وفي حلال السنوات الأخيرة كانت قد هاجرت أعداد قليلة من الازيرح ومن الومحمد إلى بغداد والبصرة حيث عاشت في أحياء خاصة بها بفتت على تماس مع اقاربها في الخري واتحد بعضها بمدة القالة وانهمك الآخرون في أعمال تجارية صغيرة وحصلوا على الأرباح. وإن حكايات نجاحهم في أعمالهم ما حصل لهم بحسب أي شيء عند سردها. وبالإضافة إلى ذلك كان الشيء القليل من العمل عام هو الشخص القادر على العمل يستطيع أن يجد له عملاً في بغداد وحصل على أجر يومي قدره خمسة دراهم وهذه وحدها كانت تعي ثروة بالنسبة إلى هؤلاء الفرويين

أما السبب الآخر للهجرة والأكثر هجرة فهو السخط الباحم من التعلم. فكان كثير من الشباب من أبناء الملاحين يذهبون إلى المدرسة وأصبحوا نتيجة لذلك في حالة يتفدون فيما الغيم المقولة من حياة القرية انتفاذاً مرأ. كما أنهم كانوا مستائين من سلطة الشيوخ عليهم فكانوا يندمرون علانية من ابتزازهم لمحاصبتهم وكانوا يحلمون بالهرب إلى بغداد، إلى عالم ينح لهم فرصاً عظيمة للعمل وأحرأ كبيراً مع أنواع مختلفة من المعربات. وكان الآباء يحترمون فراءة الكسب لأنهم كانوا أميين لا يحددون الفراءة والكتابة فنأثروا بأنائهم ولكنهم كانوا عبيدين جداً في الامتنابة لطلنائهم وعندما رأى الشاب في سنة ١٩٥٥ بأنه ثم بنى لهم

سوى قسم قليل من الأرض يروا عنه أخذوا عند ذلك يستندون الصعط على الكمار فانتلين لهم «لبش سقى هنا وبهالك أنفسا حتى يزيد من محاصيل الشبوح» لبش لارم نشغل من أحديم» نحن أحرار موش عبد يعاملونا مثل معاملة الكلاب، ما نعيم حق على الأراضي. إذا جاءت حكومة صحيحة فإنها تأخذ الأرض منهم ونورعها علينا. ما راح نصير زراعة هذه السنة. ماكو ماي. إذا بقيا هنا راح نموت من الحوق. إذا رحنا إلى بغداد كلنا راح نشغل. نصير أعياء خلال كم شهر شوف وادي راح إلى بغداد فل سنين ما بملك شيء عبر دشدشته هسه، بملك سبارة وبيت. شوف علي وعساس والرائر حاص كلهم راحوا عام راح بيع حواميسه وروح أبيضاً هبا با بوي. إذا بقيا راح نصير الناس الوحيدبين المي الشبوح بشعلوهم في كل الأعمال حلسا روح قل ما بعثوا وراتا حتى نسي المد الكبير في أبو محل»



والشبوح أنفسهم كانوا في عكازة الفلج من هذه الناحية الجماعية لرحال العشائر لأنها تهددهم بعدم بقاء أي فرد حتى يعمل في حقولهم. ثم إن سلاطينهم أصبحت صعبة على أولئك الذين بقوا وقد تولوا عاجلاً وكان الفلاحون، وعلى الأخص، عبر المراحيب من شبوح الاربج قل معادرتهم إلى بغداد بنحدهون أمام المصيف ويرددون الهازيج والهوسات فالتين «حقال ولا أكمال»

وفي أحوال كثيرة، بحسب أن بنوم الشبوح أنفسهم لأنهم كانوا متعجرون بشكل لا يطاق

وفي سنة ١٩٥٣ صرب أحد عميد الشيخ محيد الحليفة أحبا رئيس العشيرة التي تمسح نوبه الأغنام في قرية العكار. فيحجم الفلاحون الغاصبون على العبد وكادوا أن يقتلوه لأن (القاضي) أي رئيس العشيرة هذا وأمرته كانوا محترمين جداً. فادرس الشيخ محيد الحليفة ممثله فجلد عددا من كبار الرحال من الفلاحين وسبحة لهذا العمل، عادر معظم

الشفانبا فرمة العكار وذهبوا إلى سبكان. وعندما سمع الشيخ بهذا الخبر صاح بغضب علانية «الكلاب راحوا راح اشوف عبر كلاب واخليهم في مكانهم».

ولكن، بحلول شهر تموز سنة ١٩٥٥ لم يتمكن من الحصول على مبعاء سهولة. وعندما سأله عما سيفعله إن عادر نصف هؤلاء العلاحين. فكر ملياً ثم أحاط فائلاً كمن أمن بالفقراء والفرد «لا ما اعتقد راح يرحل بقدر هذا العدد». ثم سأله عما سيفعله إن ترك عدد كبير منهم فراحهم فقال بأنه سينحلي عن زراعة الشلب ويركز عمله على زراعة الفصح والشعير بالآت زراعة

إن الأرض ما نهمه وليس عشرينه. وتذكرت حينما كان يتحرق الألم



داخل المصيف على نهر لفران

في عراء انه ويقول «أرصي! هنه، ولما اموت. شراح بحري لأرصي؟»
 معرفت عند ذاك وأنا أشعر بالأسى والحزن العميق أنه يشع مصلحة أرضه
 فوق مصلحة عشيرته.

احتضت العلائق القديمة التي كانت سائدة بين الشبح وأبناء عشيرته في
 عشيرتي أبو محمد والأريح ولهذا السبب كان كلاهما فقيرتين. أما الرابطة
 بين العشائر التي تربي الأعمام فلا زالت قائمة

حسّ الشبح مريد آل عيسى عشيرته على رراعة الشعيبر طوال سنوات
 في البر الرئيسي، غير أن الظروف كانت غير ملائمة. فأحياناً كانت المياه
 كثيرة جداً وأحياناً أخرى شحها جداً وعمّنهم هذا كان يعتبر محارقة
 بالنسة للعشيرة. غير أن الشبح مريد أعرق نفسه بالدس للحكومة وعلى أية
 حال، لما رأت العشيرة حاله هذه وأنه في عسر شديد جمعت له المال من
 بين أفرادها ودفعت ديونه



ومثال آخر أذكره هنا على نصيب من بعض الشيوخ. تمثلاً للشبح
 محسن من بدر من الوصالح *ترتقن شويتر بوم سوك*

طلب مني صياح أحد الأياد بأن أصطحبه بطرادتي إلى مركز اللواء
 الذي يسعد مقدار ساعتين ويقع شمال العراف ولما برئنا إلى البر، توجه
 نحو الدائرة حيث كان المدير بحري محاكمة لأحد الأشخاص عن إحدى
 القضايا وبعد أن حيا المدير إرحه صوب السجين وقال له بخدة وعصية.
 «روح واركب الطرازة نزة» ثم التفت صوب المدير وقال له «لا تشعل نفسك
 معه هذا ينسب إلى عشيرتي أنا أعالج الموضوع» ثم جلس وبدأ يتحدث
 بشكل مهذب قبل أن يقول لهم سامحوني على كلامي هذا.

وبحلول سنة ١٩٥٦ انتهت أعمال الهجرة الجماعية إلى المدد غير
 أن الأسر استمرت في الرحيل إلى بغداد والبصرة على الرغم من أن
 الأخبار التي كانت تردهم غير مشجعة ولهذا عاد قليل منهم إلى قراهم
 بعد أن تحرروا من أنوهم

كان ربيع الدينار في ذلك الوقت يعني أحراً ممتازاً، عبر أنهم اصطدموا بالواقع لما ذهبوا إلى المدينة ووجدوا هذا الملع بكماي لمعبشة الرجل وأسرته مهما اقتصد في عبثه وفصلاً عن ذلك، فد بنوقف العمل في الأجواء الرديئة لمدة طويلة، فبعدها لا يتفاسى أي أحر طوال مدة بقائه عاطلاً عن العمل. وأن كل شيء في المدينة يتطلب المال، حتى الماء ولهذا السبب قال بعضهم

«س شو العابة من روحنا للمعدن» فالرجل اللي بيفى في بنبه في القرية ويعمل بحد ونشاط في حفل الشلب الذي بررعه يمكن أن پدر عليه حاصلاً بكعبه لطعامه وطعام أسرته لمدة سنة من بعد أن يأخذ الشيخ حصته ويبقى عنده فصله (٣٥) دينار. وهذا الملع له فبمه فهو يعادل ما يصرفه يوماً طوال السنة بمعدل مائة فلس أو يعادل أحره عمل سنة أشهر فقط وفي المواسم الصعبة يمكنه الذهاب إلى حصاد مع أسرته ويحصل على الحبوب محبث يمكنه من بيع أكثر من الشلب. وبإمكانه الاحتفاظ بالجواميس ليحصل منها على اللحم الذي يبيعه الدجاج ليحصل منها على البيض واللحم. هذا بالإضافة إلى أنه يحصل على الوفود ومواد البناء وعلف الحبوب بدون أن يفتح أي شيء. كما أن هناك السمك في الأنهار والحجيرات ويعثر على الطيور العائبة في الأهوار وعلاوة على ذلك، فإن هناك فرقاً قليلاً في هذه القرى بين معيشة العبي والعفير.

والشيخ يعيش بالأسلوب نفسه الذي يعيشه أفراد عشيرته ولكن بشكل أفضل.

أما في تعداد والصرة فيكون الثناي كبيراً وشاملاً فالأحباء الفقيرة المحاورة للمنادق العالية والدور العصرية الحديثة والتي نشيد على شكل أكواخ وصرائف تضم أنواعاً مختلفة من العايات تكون والحالة هذه أكثر فذارة من أبة قرية من فراهه لأنه لا تيسر مساحة حالية بالقرب من هذه الأكواخ والصرائف

من السهل أن يترك المرء الحياة العشائرية ويسكن في المدينة. ولكن من المستحيل له تقريباً العودة إلى منطقة سكن عشيرته إذا ما كان عاطلاً عن العمل.

كث في سنة ١٩٣٦ في مراكش وروث حياً كبيراً يقع في ضواحي الدار البيضاء والمعروف لدى الفرنسيين باسم (بيدونفيللا Bidonville) حيث البربر المعوزون يعيشون فيها في أكواخ مبنية من نكات فارغة. وكانوا قد جئوا في الأصل إلى الدار البيضاء من فراهيم الحبلية خلال سنوات الازدهار الاقتصادي من بعد الحرب العالمية الأولى حينما كان الطلب شديداً على الأيدي العاملة - وقد قل في الثلاثينات من سنة ١٩٣٠ بشكل ملحوظ - ورأيت مأم عبي في ذلك الوقت الذي روت فيه هذه المنطقة هؤلاء البربر يكون الأرض حول مئوعة بحثاً عن فئات الطعام لياكلوها حتى يفوا أحياء لأنهم كانوا معوزين بالعثرات.

وفي العراف، ترك الكثير من المهاجرين حرس فراهيم هرباً من ظلم وطغيان الشيوخ ولكنهم حوّلوا باعدياءات الشرطة في بغداد والصرة وهؤلاء، بعد أن أقاموا صرائفهم من الحصران بين أكواخ الآخرين من أفراد عشيرتهم من غير ترتيب ولا نصب على أرض خالية داخل المدينة يشعرون كأنهم في بيوتهم أو في فراهيم، وانصرفوا إلى مراولة أعمالهم. غير أن الشرطة أحدثت تصانيفهم ونحبرهم على إحلاء المنطقة حسب الأوامر المعطاة لهم بعدا الحصوص.

«وين لازم مروح».

«أي مكان. سن لا ننفوس هنا روحوا إلى قراكم إذا ما نحوس العيش هنا. هيا اهدموا ذلك البيت بسرعة نحن مشعولين».

وهكذا يستقلون من مكان إلى آخر ويسون صرائفهم وما يكادون يستفرون حتى تأتبهم الشرطة ونرحمهم. أما إذا استنفروا في ضواحي المدينة، فعليهم أن يصرفوا المال الذي يحصلون عليه بصعوبة كأجرة

للسيارات لتسقلهم من بيوتهم إلى أماكن عملهم وبالعكس. ثم شعرت السلطات بحظر هذه الهجرة الهائلة فاهتمت بالأمر حتى توقفها أو تحد منها فشجعت الشرطة على ملاحقتهم وإيداعهم والتحرش بهم.

وعلى هذا الأساس اعتبرت الشرطة هذا العمل إزاء هؤلاء السكان من الريف عملاً قانونياً مشروعاً. «شوقي أوراق تسريحك. ما عندك أوراق. لازم تحي وباي لمركز الشرطة».

وفي العراق من المعروف أن يحكم كل فرد إلزامياً مدة سنتين في الجيش. وكان عدد قليل جداً من المارحبين عن قراهم قد أدى الخدمة الإلزامية. ففي إحدى السرايا بينما كنت أقف مع الشيخ فالح إذ بنقيب في الجيش يأتي إلى المصيف ويصطحب عريف وحدياء يحملون معهم أصابير كثيرة. وكان الصابط يدين الجسم ويعبر موسى.

أشعر الشيخ فالح بقدم الصابط وجماعته وطلبوا منه إحضار المكلفين للخدمة العسكرية. كان الوقت في شهر تموز، والحر حار جداً. فقدموا إلى النقيب ومن معه ~~الذين هم~~ ثم التحامض. وكانت بدلة الصابط الرسمية صتيقة وملتصقة بحمسه بحيث لا يستطيع التخلص على الأرض. لذلك أعذوا له كرسيًا ليحس عله ويضعوا أمامه مائدة ثم جاءوا بالمكلفين للخدمة الإلزامية وعددهم (١٦) شاباً. وحلّس أبائهم والزوار حول الحدار. وهؤلاء من مجموع (٣٢) مكلفاً.

كان الثمان من المكلفين في من الخدمة وأما البقية فهم أحداث دون سن المكلمية.

نظر النقيب في الأصابير ثم مسح وجهه الذي ينصب عرفاً ثم وضع النظارات، وهما الأسما. «عدوا من شطقة» لم يحب احد ثم كرر الاسم مرة أخرى فرد عليه أحد الرجال الحائسين حول الحدار قائلاً «راح إلى البصرة مع عائلته في السنة الماضية» ثم قلب القوائم ودون ملاحظة. ثم نادى.

«جلب بن حسن»

«مات في العام الماضي» جاء الرد سريعاً

«مريد بن علي» تقدم صبي إلى الأمام وعمره (١٢) سنة

«هل أنت مريد بن علي؟»

«لا» أحاب الصبي بسرعة ثم قال من بعد وكزة على ظهره «نعم»

«هل أنت مريد بن علي؟» كرر المقلب السؤال وهو في ريبة من ذلك

ثم بدأ بطر في قائمة الأسماء.

«نعم أنا مريد بن علي» قال الصبي بشيء من التأكيد.

«أنت مسجل بقائمتي عمر (١٨) سنة ارفع قميصك فوق ي ولد»

وبعد أن مسح وجهه بعصبية أكثر، التفت صوب الشبح فالح وقال

له

«لازم اكو في خطأ. هذا لا يمكن أن يكون مريد بن علي».

أحباب فالح بلطف فأنلأ. «هلولة»

يكون متأخر».

وهكذا، دون السقب من ~~مريد بن علي~~ القائمة وقال «فل له بان

بأنني في العام القادم».

وبعد شاول غداء فاحر عادر الضيف ومن معه وصحبتههم محتدان

اشان فقط وهما الوحيدان المنحبان من ذلك الجمع وهذا يدل على أن

البقية من مجموع (٣٢) شخصاً والمدوية أسماؤهم في الاصابة إنما قد

مانوا أو انتقلوا إلى مكان آخر أو أنهم لا يزالون صغار السن جداً.

كان هذا المشهد جيداً والشبح بوازر الفلاحين. ولكن المسألة

تختلف تماماً عن هذا المشهد إذا ما طلعت الشرطة من الشخص إبرار هوبته

أو دفتر خدمته العسكرية في مركز الشرطة في بغداد، وعرضهم من ذلك

بحويته ومصابضته. وهي على استعداد لاستخدام العنف ضدهم حتى ينزروا

منهم المفود.

٢٢ - البربر والمضايف

غادروا قري الاذبرج في الأسبوع الأخير من شهر نيسان واحدا
مشرق من قرية سبگال، وبإمكاننا أن نرى مصعب عبد الله عمر البحيرة.
وكما قد حصنا عدداً من الطر المرحامي اللون الذي جاء في الربيع إلى هذا
المكان ليضع بيوصه قطارت فحاء في ذلك الصباح وقد اندمجت كثيراً من
الأعداد الكبيرة من طيور بوشار المائية Bochar لأسبي كنت أنوقع أنها
غادرت هذا المكان الآن



أصرت بأصبر على أن نسير في هذه المنطقة وكانت القصص خوفاً من حدوث
روبعة مباحنة كالتي وقعت قبل بضعة أباء الحصار من فوق عدد من الدور
في القرية التي كنا قد مكثنا فيها

وقبل سنة، وفي هذا الموسم، كما محصورين من حراء الروبعة في
بعض هذا المكان وبقيتنا ينظر أكثر من ساعتي وقد لُصا صاب أحمر عريب
من نوعه

وفي أماكن بعيدة من البحيرة كان البربر يصطادون السمك وهم على
الفوارب. وبإمكاننا سماع صريرات النك والمرادي في المياه وهم يسوقون
السمك نحو سكانهم والمعدان يحترفون البربر بشكل فطيع، ولولا ذلك
لأكلوا معهم. كما أنهم يحترفون الصائنة أكثر بكثير من احتفارهم للبربر،
لأنهم يعتبرونهم في الدرجة السفلى من المقياس الاجتماعي. مع العلم أنه



البربر يصطادون السمك بالشباك بالقرب من أم قسي

لم يذكر لي أي فرد من العشائر من أن السرير هم من أصل معابر
والنحامل عليهم إنما هو سبب مذهبهم وسدو لأول وهلة أن هذا النحامل
غير مطلق ولا مبرر له طالما هم أممهم يصطادون السمك

والبربر يصطادون السمك بالشبكة لعرض البيع. بسما بصطاد المعدان
السمك بالرماح لعرض الطعام

صحيح أن المعدان بدأوا على التحويلات الأخيرة بيع السمك فاحرقوا
عملهم هذا عن عادتهم السافرة التي نقصي بعدم بيعه لكنهم يبيعون اللبن
والحليب أما الآن فقد أحرقت الظروف العص منهم على بيع السمك
والحليب معاً. مثلاً نبيع نساء المريحات البدويات الحليب واللبن والردة
أو الفير في قلعة صالح والمحجر حينما نصب خيامهم بالقرب من هاتين
المدينتين.

فالنحامل على البربر في الأصل كان سبب بيعهم السمك، لكنه
أصبح الآن ينماشى مع أساليبهم في صيد السمك والنظر يا سيدي هو
«لعنة الله على هذا العمل، الرجل الطيب قد بيع ما عنده من الدارح ولكنه
لا يزال لا يرميها إذا ما كانت تحصى البصر»

ويتواجد البربر بين عشيرة العرطوس والشفايا أو المريحات. ولكن

هناك الكثير منهم بين عشيرة النومحمد وهناك عدد أكبر بين الازريح. كما بنواحد آخرون منهم بين عشيرة سي أسد في الكبيش وهم يصيدون السمك على امتداد الحافة الغربية للأهوار ينصون الحيام ويبقون عدة أشهر فوق جزيرة صغيرة بالقرب من قرية حاسم الفارس

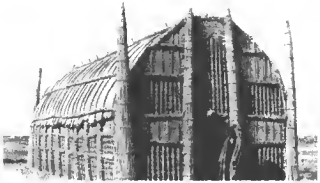
يُعرف ناجر السمك باسم (صفط). الذي يشتري أسماك ثم يملحها ويقلها إلى المصرة. ويستخدم الررس الشبكة السبنة Siene net (شبكة ضخمة) عبر أنبي شاهدنهم أيضاً بصطادون بالشبكات الطافية في الأنهر وعلى امتداد شبكات ثابتة متصلة بأوناد من الفصص نشت في الأراضي المعمورة بماء الفيضان خارج الأهوار

ومن حين لآخر يستخدم صيدان المحر الكبير الشبكات ويلفونها على سواحل الأنهر بالقرب من المدن ولم أر مثل هذه الشبكات في أي مكان آخر إلا في المصرة



ويصع العلاحون من السواد في الأهوار الشرقية أحياناً قطعة من الشبكة عبر فوات سريرة ~~في~~ إحدى المرات شخصين منهم يعمرها الماء إلى المصد ومعهما شبكة على شكل بقالة ويحميها أما الفرويون الذين يعيشون على حافة الأنهر فيصصون في أغلب الأحيان قطعاً صغيرة من الحصران في المياه تحت بيوتهم، حتى يؤمنوا الوقاية من النبار ثم ينصون عدداً من الفصص أو الردي مباشرة مع المحرى وعندما تأتي السمكة تحرك الفصص ويعملها هذا تكشف نفسها للصيد الذي ينتظر ويبدء رمح الصيد.

وفي فصل الربيع، وقبل ارتفاع منسوب المياه، ينجع المعدان على شكل جماعات، كل جماعة بمصايد مؤلفة من (٤٠ - ٥٠) زورفاً. ثم يحويون الهور صعوداً ونزولاً وهم على خط واحد بمفاصل مقداره (٤ - ٥) ياردات عن بعضهم البعض، ونرى الرماح بأيديهم وهم على أنهم استعداد لصيد السمك حالما يصبح بجانب الزورق.



أحدى المصائب بين آل حسن

وفي فصل الصيف يضاد المصائب بالرياح ليلاً وبأيديهم المشاعل من
الفصيب. عبر أن صيده بطريقة السم السحري (نوع من السمات له
خاصية التخدير) بمطبخي تانحل أكثر
مرحمتك بغير ربح رسول

وبسما كنا نجدف باتجاه عبد الله، قلت لرفاعي بأسي شاهدت مرة
سمكة طولها خمسة أقدام، اصطيدت في نهر دجلة بالقرب من مدينة
كركوك ثم سألتهم عن مقدار طول سمكة الفطان والتي في الأهوار.

«نصبدها وهي بطول ذراعي» قال بأسير لا ربما كانت تلك السمكة
التي رأيتموها من نوع شوط، فهي تعيش في المياه الحارة وبعضها تضعف
طول السمكة التي ذكرتها، وهناك سمك آخر كبير أيضاً نسميها بحس
حضان. وهي نسه سمكة الفطان الكبيرة ويجدها تحت الجبر الطافية.
نسيح تحت المياه ونمسكها بأيدينا نربط أحد ساقي «الرحل بالحبل»
ويمسك طرف الحبل الآخر رجل في الزورق وأحطاً في إحدى المرات
أحدهم بالساح وطعته في بطنه صاً منه إياها سمكة ثم أراد رفع الرمح بدفع

الحسم إلى خارج الماء. وإذا أردنا إخراج الرمح من حسمه علينا أن نزيل الشوكات من الرمح بقطعها بواسطة الحناجر إلا أن هذه العملية خطيرة جداً ومحففة لأن المصاب لا يفي ساكناً طوال هذه العملية»

الشبوط سمك جهري. وما أن الحصان يشه الخطأ فإله نوع آخر من السمك النهري. ثم أبدى ياسين ملاحظة فقال: «إشياء الله. هذه راح نشبه مثل سنة أم النى. هه الماي قليل أقل مما كان قبل. بيومين صدت كثير وحصلت على أربعة دبابير والله صعد حظي إذا ما بتدخل الشيخ محيد»

أبد حسر أفواله هذه وقال «عم رحنت إلى (أم النى) مع عمي قبل ما سد محيد البحيرة نوحه كل الناس بيومين إلا نوحه السرر شمنك صاحب هناك مع الفرطوس» ثم قال لي «كلكم جئتم مع السرر. وبهذا الوقت ما كنت أعرفك لكن. أعطيت بعض رفاقي أدوية للمعدة».

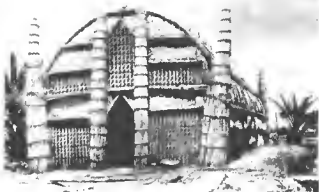
تذكرت المناسبة جيداً. كان ذلك في سنة ١٩٥١، أي في سني الأولى من زيارة الأهوار

مركز تحقيق وتطوير بحوث

كما قد وصلنا إلى قرية الكار أما وثلاثة أشخاص من الفرطوس في الأسوع الأخير من شهر تشرين الثاني ووجدنا القرية مهيورة فعلاً. كانت المياه واطئة بشكل استثنائي في تلك السنة. ولكن كانت قد ارتفعت في الأيام القليلة الأخيرة بسبب سقوط الأمطار في الشمال مهددت ماكنساح حقول الشلب التي كانت محصورة. وكان معظم الغروبيين يعبدن عن القرية، حرقوا لإنقاذ محاصيلهم وبنوا جهداً كبيراً في سبيل ذلك. أما الرجال الآخرون والصبيان فقد دهوا تصد السمك بالرماح في (أم النى) حيث كان الصيد بشكل استثنائي فدها بحر أيضاً إلى محل نواحدهم

لقد أحدث مرور عدد كبير من الغوارب والرواري أثراً واسعاً من خلال قلب مسات الفصص، وكانت بعض سبفات الفصص المسافطة على الطين والمداسة بسمك رسع بدي. وكانت الماء صحلة، وكنا أحببنا بلافي

صعوبة في تسير الورق وفد صادقاً فارحين نظرياً الصدفة محملياً بسلك
كثير. وكان التوبة المبالغ عددهم ستة بسجون الفارب بمشقة على امتداد
الساحل. وسمعت من بعد ذلك أن النجار كانوا يعطون دهباً واحداً
يومياً لكل فرد من توبة الفارب سبب عنهم الشاق والصعب



لحدى المصايف بين آل خنبر

وبعد أن عادرنا قرية الكار بثلاث ساعات، وصلنا إلى مسحة صغيرة
خالية، نصب فيها النجار حياهم تحت سفينة من الحصران. ويدعى الناجر
باسم الملاخر ومعه شخصان آخرا يشترون السمك لإرساله إلى أسواق
بعداد. وكانوا قد أمضوا في هذا المكان ستة أيام وطلبوا منا أن نمضي
الليل معهم لأنه لا يمكننا الوصول إلى (أم البسى) قبل حلول الظلام. وكان
بدفع ثلاثة دنانير عن كل مائة سمكة بصرف النظر عن حجمها. وكان
بشريها بالألوف أما الآن فقد انخفض العدد كثيراً.

وبعد أن جمعوا كميات كبيرة بدأوا بوضع الثلج فوقها حتى يرسلوها
إلى بعداد. نمنا بجانب سفينة فوق كومة من القصب أفتنا بعدد من عن

الماء. وكان المعوص شبنماً مؤذناً لا يمكن احتماله. أما الحو فكان بارداً لذلك أحطت حسمي بالطبانية. وصبت الحمامات الأخرى التي كانت منووحة إلى (أم السي) خيامها بحواراً ثم جلست حول النار وبدأت بالعناء حتى ساعة متأخرة من الليل. وشاهدت مرور ثلاثة أنلام في حوف الظلام وأخذ التاجر بفحص حملتها بواسطة مشعل من الفصص

وفي الصباح واصلنا سبرنا إلى (أم البي) فأصبنا ثلاث ساعات حتى وصلناها وأم السي عبارة عن بحيرة بطول ملبس وعرض نصف مبل، محاطة بمات الفصص، بصعب احتيازها ولا أظن أن أحداً قد زارها.

وحدثا البربر قد نصوا حيامهم فوق أرصفة من الفصص المنسافط فوق فتحة الأثر، ونشروا سكانهم الاحتياطية تحت أشعة الشمس لكي نحف تحت حراسة صي وصيين. كان معهم (١٥) فارساً، خرجوا جميعاً إلى الصبد في البحيرة أما نحن فحفظنا زرعنا بحانهم حتى يرافهم عن كسب وبترح على أعمالهم

من تفتيش سكانهم

رأيت الجذافين يدخلون إلى الماء ويخرجون منه في كل الأوقات وهم عراة في معظم حالات عملهم وبعد أن استعملوا الشكات السبية وشكلوا محيطاً بمقدار (٤٠) بارداً تقريباً، بدأوا يسوفون عدداً كبيراً من الأسماك أمامهم، كلها من النوع السي، معدل وزن الواحدة أربعة أرتال

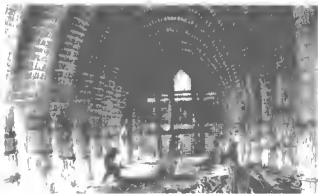
قال لنا أحد الرجال المسبيين، وقد وخط الشهب رأسه، بأن قاربه كان أول فارب يصل إلى البحيرة «كل حباتي وأنا أصطاد السمك بس ما شفت حباتي مثل هل شي». أول سوفنا شمساً أمامنا بمقدار (٩٠٠) سمكة تقريباً. صحيح ما كت أظن أن القارب يسع كل هذا العدد وهذه السمك قليل. كان عدد الفوارب ما يفر من (٢٠٠) فارب، نعود إلى الفرطوس والشفانيا والعربجات واليومحمد كنهم مهمكون في البحث عن السمك حول حافات البحيرة. وكان في كل فارب شخصان، أحدهما يحذف

والآخر يقف في مقدمة القارب يعرر رمحاً باستمرار في الأعشاب.

يعثر المعدان أنفسهم محطوطيين عادة إذا صادوا (١٢) سمكة في اليوم بأسلوبيهم الاعتيادي. أما إذا استعملوا طريقة التسميم فالحمد يكون أكثر طبيعة الحال.

وهنا على أبيه حال، كانوا يصيدون سمكة واحدة بعد كل (٣ - ٤) وحزات بالرمح. كان معظم هذه الأسماك من نوع الفطان.

التحفا بجماعة من أبناء المرطوس، كانوا إذا ما هيجنهم يدفعون نهور فيعطون رماحيهم في الماء ثم يرفعونها وفيها سمكة يفقدونها داخل القارب وهم يصبحون بأعلى صونهم "السمك بكثرة منارص واحد فوق الآخر. ما يحفظه في زحرات الرمح"



لعدى المصاييف على نهر لفرات خلال التشييد

كان السمك قد نحت في ثقبه واحدة لشفرة من الرمن. الصائدون متقاربون بحيث يرى كل واحد منهم مقدار ما يصيده رقيقه. فتبدأ عند ذاك المنافسة. فتري المحدث بحث حامل الرمح على الإسراع في الصيد.

وافترّب في هذه الأثناء بعض الرّسّاء منهم. فترك الصّيادون من
المرطوس حاجة البحيرة وانّدفعوا نحوهم وهم بصريحون في وجوههم
ويسبّرون زوارفهم فوق شكاكتهم السيّدة ويطعمون السمك من داخل
الشّبكة. أمّا البربر فإنهم استاءوا من هذا العمل واحتجّوا. لكنّ، ثمّ بعداً
نهم رجال العشائر فبدأوا يسبحون منهم ويضحكون عليهم

لا يذ أن البعض منهم اشنكى لدى الشيخ محمد الحليفة لأنه سذ
البحيرة بعد يومين من هذا الحادث روحه المعدان وسمح للبربر فقط
بالصيد.

ومن سيغال واصلنا سيرنا بالطراوة منحنيين صوب قرية العويدية،
ومكنا بضعة أيام بهضبة حاسم الفاروس.

تكون الأراضي الواقعة بين حافة الهور العربية وبحر الفرات مغمورة بمياه الفيضان إلى عمق أربعة أقدام على الأقل عبر أنه، في سنة ١٩٥٥، وسبب الجفاف، وجب علينا أن نلتجئ إلى الحبوب حتى نصل بحر الفرات تقريباً لكي نحد مياهاً كافية لنغمر فيها الأرياف والحدائق والأهوار.

مكثنا في حفار، في قرية نسمى (البوشامة)، نفع بين أشجار السجل
الناشفة في العراف الأسفل ونعيش أفخاذ أخرى من نفس العشيرة في
الأهوار كمعدان رخل ومربرا بمحمرعة منهم وهم يهاجرون إلى الأراضي
المرروعة بالقمح حتى نرعى حواميسهم بغايا سيقان القمح

وفي العراف مكثنا أبصاً مع العميرة. كان قسم منهم يسكن في قرية (مرد) وفي قرى المعدان الأخرى ويحصلون على المال من بيع حمولات فواربهم من الغصن البابس في مدينة سوق الشيوخ. ويعمل القروطوس الذين يجاورونهم نفس الشيء ويذهبون أكثر المرات إلى سوق الشيوخ مع أحمالهم من الحصران.

وهي شهر مايس، صادفنا حواً مشمساً، نبعث الشمس بأشعتها

البراقعة، غير أن الحو كان في بعض الأحيان منليداً بالعجوم ويدوم عدة أيام.



منزل إحدى المضاي على نهر الفرات من الخارج

كما صادفنا في طريقنا عدة مرات سقوط مطر شديد مصحوب برعد و برق

ويشكل عام، نهت الرياح العائبة من الشمال والعرب، نحمل معها الغبار، فيصبح الجو مكفهاً لكنه بارد ومريح لأنه، بدون هذه الرياح، يكون النهار حاراً رطباً جداً.

أضيا الشهر بين آك جوهر وآك حس ونفذا عشائر المتنك الأخرى، متقلبن على امتداد نهر الفرات.

كنا نقوم دوماً بسرقات مع محرقى الفسوات المشجرة بأشجار

الصفصاف. وكثيراً ما كنا نصل إلى حافات الأهوار لنسقى في المضارب
التي توجه الدعوة إلينا. وكما في كل هذه الأوقات في أراضي مزروعة
بالنجيل نمو على شكل صفوف مكنظة فوق كل أرض لا نعيمها مياه
الفيضان سوباً وحتى في الحزر الصغيرة بين مبات البردي. كما كانت
أشجار النجيل تغطي أيضاً حط الحزر إلى الحوب بحيث تظهر معنمة إزاء
مياه الهور الرافة، مثل هور السناف.

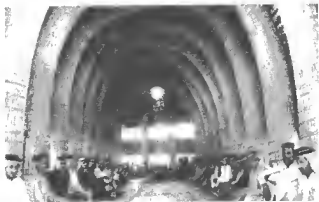
والعلامات الوحيدة للكارثة التي حلت بهذه العشائر في السنة الماضية
ما تركته مياه المبعضان من آثار واضحة يمكن رؤيتها بحلاء على حذوق
النجيل وعلى حدران المضارب.

وعلى نهر دجلة، كانت سنانير النجيل الغليظة العدد، متشابكة مع
الأحراش، وكنا نصطر أن توسع طريقنا بين حلالها وذلك عندما كنا بصطاد
دكور الخسائر. ولكن هنا في هذا المكان كانوا يعتنقون بالأشجار ويقطعون
الأعصان الواطئة حتى يتمكنوا من حرقها.

ورنا الحرور الواقعة على امتداد حافة هور الحمزار إلى الشمال وهي
مفصلة عن الأهوار بواسطة مياه مكشوفة ثم نعطي أوراق بيانات الرنس
المائية وعدد لا يحصى من أسواع الأزهار ذات اللون الأصفر البراق
والأزهار البيضاء سطح هذه المياه في نهاية الموسم.

وفي شهر أيلول، كنت قد شاهدت الجواميس نرعى وقد عطشت في
المياه إلى حد يقطعها بين هذه السانات المائية ومذت رؤوسها تحت المياه
فتنلع أغصانها المتدلية. وبدت هذه الجواميس للتاطر من مسافة بعيدة كأنها
فطير من العنم تفتت في مروح مليئة بالأزهار المختلفة الألوان. وفي
الحريف، هنالك في الأهوار أنواع أخرى من الزوايق المائية بعضها ببضاء
وبعضها الآخر حارية اللون.

لا نسكن عشائر المستنق في القرى بل في الأراضي الحاصة بها على



موقد القهوة

شكل متاعد هي حسب التقاليد العربية كريمة جداً، لذلك تحد أعدادا كبيرة من المصائب نصامي في عدهم عند الدور المستعملة للسكن وهي قائمة بين أشجار النخيل وبين الكثير من السكان حصوناً لهم من الطين محاط دورهم وهي عبارة على تحوطهم من الحطب والسب هو أنهم مولعون جداً بالحرب ولا يسون عداوة الدم، لذلك، يحمل كل واحد منهم، سواء كان كبيراً أم صغيراً حشراً ويملك معظمهم الساق مع عناد كثير، وهم بظلفون النار بكثرة حتى العفر نهرباً في حفلات الأعراس، وما أكثرها في تلك الأيام إذ لا تمضي ليلة إلا وتكون فيها حفلة عرس.

كنا في بعض الأحياء نضع حاحباناً في الصريه فل أن يرشدونا إلى المصيب. والصريه عبارة عن بناء صغير مثلث الشكل، جذراها من الأرناد، كأنها عريش، وسفها المحدث يُعطى بالحصران ويسند على دعامتين من الفصص. تكون الأعمدة المستعملة في الأطراف - بين إهالي المستنك - من جذوع النخيل الصغيرة عادة. ونكن في الأهوار فربها من حرم الفصص حيث يفضل النجار هذا النوع من الساء ليستخدموه كمخازن.

أما المدخل فيكون من جانب الماء. وكنت أشعر دوماً بفرح وسرور
حينما ألحاً إلى الصرائف لأستريح لفترة من الزمن هرباً من طريفة الحياة
الشائعة في المصيف

بعد سنوات كثيرة من العيش مع العرب وحدث أن عدم الانفراد
وللعلة شيء بدخل السأم في النفوس، وكنت كثيراً ما أشعر بالنعب
المصني من بعد معالجة عدد كبير من المرضى منذ الصباح وخاصة حينما
بدأ الحو برداد حماوة، فأجد منعة وراحة حينما ألقي نفسي في الصريفة.

وحينما يشعر رفاقي بالنعب يتوجهون إلى المصيف فكانوا ينهضون
من أماكنهم حالما يشربون العدد المألوف من صاحبي القهوة ويذهبون إلى
الطرف الآخر من المصيف قبلون أنفسهم بالعاءة وبامون وعندما يحلون
الطعام، يوفطون هؤلاء التيام حتى يأكلوا

كانت الحياة على هذا السط. وكنت أشعر بالصرح حينما أقوم بما
يقومون به ومن أمنياتي الكبيرة أن أحد نفسي في مكان معزل. لذلك
كنت ألحاً إلى الصريفة وينبغي أن أجلس رفاقي وشخصان أو ثلاثة آخرين
وسروى في إحدى أركانها. أما أنا فقرأ كتاباً أو نأخذني سلة من الموم

والمصائب على نهر دجلة، نكون نسبة حسب العرف إما منسعة
أفواس أو أحد عشر قوساً. أما المصائب على نهر الفرات فلها أكثر من
هذا العدد من الأفواس

وأكثر المصائب التي رأيتها كان بطول (٨٤) قدماً ويعرض (١٥)
وارتفاع (١٥) قدماً على الرعم من أنه مقام على خمسة عشر قوساً. وأكثر
المصائب فيها (١٧) قوساً. ورأيت أحد المصائب بنألف من (١٩) قوساً،
وكان طوله (٦٩) قدماً وعرضه (١٥) قدماً وارتفاعه (١٢) قدماً. وتكون
عرض المصائب الكائنة على نهر دجلة عادة بعرض (١٨) قدماً وارتفاع
(١٨) قدماً. بينما يكون عرض المصائب الكائنة على نهر الفرات (١٥)

قدماً وارتفاع (١٥) قدماً وهو القياس المعتاد وإذا ظهر أن المصيف آخذ في السقوط، بغرم صاحبه ورفاهة تغلب الارتفاع بالأسلوب التالي:

بحفرون أولاً حفرة خارج قمة قاعدة أحد الأفواس حتى يكشف مقدار قدمين من حرمة القصب من القاعدة المطمورة في الأرض. ثم يشدون القاعدة بالحبال ويسحبونها إلى هذه الحفرة ثم ينظفون الحفرة ويقطعون مقدار قدمين من أسفل الحزمة ثم يعيدونها إلى مكانها ويملأون الحفرة بالتراب المستخرج. وتكرر هذه العملية مع كل فوس آخر من أفواس المصيف. وبدأوا العمل في حاسب واحد ثم ينتقلون إلى الحاسب الآخر.



بيت من عشائر المنفوك

أما إذا أراد تغليب الارتفاع مرة أخرى بعد سنوات فإنه يشع الأسلوب نفسه ولكن الساكنين على نهر دجلة لا يعرفون هذه الطريقة والسبب هو أنهم يحصلون على القصب اللام بسهولة وهم يعصلون دوماً بناء مصيف جديد

ويحناح المصيف عادة إلى إعادة البناء كل عشر سنوات. وتوقف هذه العادة على حالة الأرض. والمصيف قد يدوم مدة خمس عشرة سنة في الظروف الصالحة والمؤاتة

ولبناء مصيف كبير يتطلب استخدام (١٠٠) شخص لمدة (٢٠) يوماً. ويتقاضى (الواسطة) فقط أجوراً عن عمله. أما العمال فإنهم يتوقعون حصة



المصيف من الداخل

سحلية من الطعام عند الطهي. لذلك
يذبح المصيف يوماً ذبيحة حتى يؤمن
لهم اللحم. ويشكل مركز كل حجرة
الفوس الذي يتألف من الفصص
المستخدم من السابق والذي يجعل
الحزمة لينة أكثر. ثم تحري نعلية
الوجه بمجموعة من الفصص الربع
حتى يصبح ملمسه ناعماً.

وفي أراضي المصيف، يكون
ارتفاع الفصص المنيسر أقل من
الارتفاع الكامل للأفواس بكثير



ولذلك يحري تطويلها بشكل مستطيل
بدلاً من جعله على شكل
الحبل كما لا تكون عرضاً بل هي النور كما يستخدمه المومحمد الذين
يستخدمون فصاً بطول واحد.

ومن عاداتهم أن يلطخوا كل فوس من بعد الانتهاء من بناء المصيف
بكف محتاف وفي أكثر الأوقات يحددون طمعة الكف عند مرور الذكرى
السوية لبناء المصيف وهم يربون في كل رأس سنة أو في عيد النوروز
الأفواس بأفان من الفصص الأصغر.

وبشكل عام، يختلف مطهر المصيف الخارجي بين عشيرة المومحمد
والأزيرج والعشائر الأخرى القاطنة على نهر دجلة فالسفوف، كما هي
الحالة في كل المضارب مصنوعة من حصيران طويلة متشابكة النسيج وهي
أحد المضارب رأيت الحصير النحاني مؤلفاً من قطعة كبيرة واحدة بحيث
يغطي السفوف كله. أما الحدردان السفلى مؤلف من حجرة واحدة
يحيث تتدلى إلى الأرض كأنها أحصة وراه الأفواس. ويمكن لقفها في

الأجواء الحارة وتخففها في الأجواء الباردة.

أما الطرف الجنوبي العربي ، المواجه لمكة المكرمة، فإنه يحتوي على ثلاثة مداخل بين الدعامتين الصخريتين مع وجود نواهد في الحصران الفوقانية أما الحدار الشمالي الشرقي فإنه عالي من كل شيء.

وتصميم المصائب وأشكالها جيدة الأنفاق كثيرة التنوع بين العشائر الفاطمية على نهر الفرات. ويتألف الحدار الشمالي بأسره من القصب المسوح على شكل مشبك، يتصل بالحارج من الأفواس ويربط بشريط من الحصى إلى السقف ويوجد أمام المشبك هذا في الداخل حاجر وافي الارتفاع لا يقل عن قدم واحد حتى يكره عليه الحائس



لحدى المصائب على نهر الفرات

وفي وسط الطرف الجنوب الغربي، نجد مدحلاً ذا فوس مذهب، تحيطه نواهد مشبكة ويكون شكل الصرف الشمال الشرقي وتصميمه على نفس الشاكلة ولكن من عبر مدحل.

ويكون ترتيب النواهد المشبكة ومودجها على أشكال مختلفة وفن

رعية وهوى البناء في كل بناء. وفوق المدخل، نجد عادة مشكاً من مس الححم والشكل كما هو موحود على المدخل الرئيس. وسجانه نافذتان صغيرتان بشبك على شكل عقد.

وشاهدت في أحد المصايف هذه واحدة مدورة الشكل كائنه في النصف العلوي من الحدار وفي هذه الحالة بحري نفسهم النصف النحتاني للحائط أقباً إلى ثلاثة أقسام متشابهة مع وجود فراغ في الحصران بين المشكات العلوية والنحتانية وبحري نفسهم ساء المصيف عمودياً بواسطة عمودين وسطين.

وكلما جلست في مضيف من المصايف الواقعة على نهر الفرات أشعر دوماً كأسى داخل كائندراية رومانشبكة أو كائندراية فوطية، وهو تصور راده السقف المصلع والنوافذ التي حفره الكائنة في كلنا السهائين حمالاً. والعرض من الموائد دخول حريم من الصباء الساطع حتى نجد العنمة الكائنة في الداخل.



وبمثل المصيف في منطقة نهر دجلة والفرات معاً إنحاراً معمارياً رائعاً مع أسط ما يمكن من المواد. إن أسلوب البناء يعطي انطباعاً جيداً للحرفة في الفصص، وتأثيراً في نفوس الناظرين وهذا الأسلوب من البناء مهم أيضاً من الناحية التاريخية وهذه السمات التي نشه في سائنا البيوت المسبة منذ عهد بعيد، نعطي للمرء فكرة بأن الناس يقدون في سائناهم تلك الأساليب المشيدة من اللبن على شكل أفواس. مثلهم في ذلك مثل اليونانيين الذين حلقوا أعمالاً فيه حشية من الحجر.

إن الأبنية التي نشه في شكلها هذه المصايف هي حزه من المظهر الذي نلاحظه في القسم الجنوبي من العراق طوال خمسة آلاف سنة أو أكثر وسوف نجني هذا النمط من البناء بعد عشرين سنة على أكثر احتمال، لكنها نخفي بالتأكيد إلى الأبد بعد خمسين سنة.



مرکز تحقیقات کتاب و بایگ ملی ایران

٢٤ - عداوة دم عمارة

أقصى كل سنة شهر حبران ومعظم أيام شهر نمور في كثير من الأحيان بين العشائر الفاطنة على امتداد ممر دجلة في شمال العمارة. وملكك الهم مرتين تقريباً صعوداً إلى حد مدينة الكوت.

كان يرافقتي كل من سبيني وعمارة في كل مرة إلا في سنة ١٩٥٤
حين جئت هذه الأرض من سبيل علي ظهر طرادني واحتوت الصحراء
المعمورة بماء الفيضان



كنا في السانق سنعمل على تفتيش الأرض لكي نعلم هذه الأراضي وكان مصيبتنا عبرنا الحبول إلى القرية الأخرى أو إلى المحجم الآخر

لم يكن أحد رفاقي قد ركب الخيل من قبل، وعندما فعلوا ذلك لأول مرة، سارت خيولهم بعكس الاتجاه عبر أنهم أصبحوا يحيدون ركوبها بشكل معقول فيما بعد. ولما كنت لا أجد الحذف في الرووق، سرى أن أكون قادراً على إظهار مراعتي في ركوب الخيل، ولو أننا كنا في أغلب الأحيان نسير على الأقدام لأساً كما يصح أحمالنا على ظهور الخيل.

وفي فصل الصيف، لا يمكن تحمل الحر عند منتصف النهار، عبر أنني وجدت الحو في شهر حزيران لا يزال بارداً في الليل ومع ذلك كنت أحمل معي بطانتين.

هبت رياح شمالية عربية عالية طوال الشهر بأسره وست حدوث

روابع نرابية بحيث نجعل مدى الرؤية قبلاً جداً لا يتجاوز الباردين. أما في شهر نموز فقد هذاب الرياح، إلا أنه لا يمكن التخلص من الرطوبة أثناء الليل مع وجود الحرارة بحيث قد تصل إلى (١٢٦) فهرنهايت في الظل

ومن رفاقي المستظمين الأربعة كنت أفضل عمارة وسيي وكما نحن الثلاثة أقرب ما يكون من بعضنا في هذه الحملات الاستكشافية بصرف السطر عن رفاقهم الآخرين من أبناء العشائر وعن المجالس المألوفة للأهوار

ومحلول سنة ١٩٥٦ وجدت نفسي حتم كثيراً بشؤونهم شيئاً فشيئاً.

كان ياسين وحسن قد تزوجا قبل سنة. أما عمارة وسني فكانا محطوبين، وعلمت أنهما سيجوزجان معادرتي العراق لأنهما لا يرغبان بمعارفتي وأنا موحود في هذه اللحظة

أما أنا فلم أعزم على الترحيل في البحر العراقي في السنة التالية لأنني كنت قد انصفت مع أحد الناشئين حول تأليف كتاب عن حروب الحرية العربية.

كان عمارة قد حطت أحت سببتي بعدما دعيت أنا وصحبي نيازة عن عمارة إلى بيت لارم، والد سببني لهذا العرص فل حمسة أشهر. وكان علينا أيضاً أن يلتقي مع أخي لازم لأن لابنه الأسفية في طلب بد الننت وفقاً لعاداتهم ونفاليدهم

ومن حسن الحظ، لم يحبب لازم رجاءنا إذ وافق على طلبنا بعد نقاش طويل حينما فيه مقدار المهر (٧٥) ديناراً عراقياً. ويعملنا هذا أدخلنا السرور والبهجة في نفسي عمارة وسببني واحتفلنا في ذلك المساء في قرية بومضبات بهذه المناسبة وأمصبتنا الليل بالرفص والعماء وإطلاق النار.

وفي تلك السنة، كما هي الحال في السنوات الأخرى، لم يكن لنا هدف من رحلتنا الاستكشافية. وكنا نعلم أن الناس جميعهم يرحلون بنا أبداً يحط رحالنا في القرى الصغيرة التي تقع أمامنا ما دمنا نوجه في سيرنا نحو الشمال.

كنا نتوقف عن المسير أبداً مرعب ونعود أدراجنا حينما نشناق للعودة. وكنا في صياغة عشيرة النودراج لفترة من الزمن، وهي من العشائر المفضولة. نزع الشلب على امتداد حدائق المياه التي تشدد في الأهوار المعرولة.

ومن هذه العشيرة استعمرنا الروافق لمرور عشيرة الفلاحة والمكبل البدوية التي نزعى حوامبها بين نباتات القصب القصيرة الارتفاع أو بين قطع من الأرض الملبنة بالاشواك. وكما وارفنا مرة ثانية وعمرنا حفول الشلب العائدة لعشيرة الوعلي، وهي عشيرة من عشيرة الومحمد، نزع الحاح سليمان في الشمال وذلك بعد المحرك التي دارت مع الشيخ محيد الحلبة وأخيراً وصلنا إلى عشيرة تيموكتيلا بعد رحلتنا.

نرى البحر الحائط بحري من خلال أرض نراية، ورأينا الشمس تشرق من أرض مسطحة ونعت بأشعتها البرتقالية ثم نعب في أرض منسطة في الأفق أمامنا عبر سهول خالية.

كان يوسعي أن أرى وقت الفجر في بعض الأحيان وسط رعاة الغنم في جيم سوداء صغيرة حيث يدوسوا المواشي ويحوم الدب فوق رؤوسا من الفجر إلى عسق الليل.

كنت أشعر بلدة حينما أحد يسمي دوماً بين هؤلاء الدو، حينما يعرف هؤلاء الرعاة بمراميرهم في الأمسيات وهم جلوس حول النار المتناحجة، فتفسي هذه الجلسات الرائعة سحرها ونعت في عسي الشو.

وفي أوقات أخرى، كما نصل إلى بعض القرى الواقعة على امتداد

ساحل النهر ونحل مروج حيولنا ونفنى الترحاب الحسن والصفافة الفاخرة
لدى هؤلاء الشيوخ الصغار

كان رفاقي متحاسبين في السلوك. وكما حببنا مخرج من الأكواخ
الطينية وقت الظهيرة شعر بالترباح الحارة جداً نلفح وجوهنا وأجسادنا على
عكس ما نلحده من سرودة داخل الأكواخ، لأن نوافدها كانت معطاة
بالعافول ونفى ملقة بالماء

وفي هذه الأرض الفقراء، كنت أشعر بفلس الأحاسيس من الحرية
التي يتمتع بها هؤلاء الغوم وهم يعيشون عبثة الكفاف في هذه الصحراء
الفسحة الأرحاء والحالية التي لا حد لها ولا نهاية.

كنت أعالج بأعداد كبيرة وأحد متعة لا حد لها في عملي هذا، وكنت
أشعر دوماً كأنني أقوم بإعمار عظيم

أحببتُ عشيرة سي لاء كثيراً فأصبح الكثيرون منهم أصدقائي أثر
رباراني المسافة. كنا نرى في كثير من الأحيان الدثاب. وقال لي رجل
عجوز بأنه قتل صبعاً في يوم من الأيام وهو يطاردها على ظهر الحصان.
ويجب أن يكون عبد المرء حصان جيد حتى يلحق بالصع كما عرفت ذلك
فل عشرين سنة حببنا كنت في السودان.

وأحبرني رجل آخر كيف حفر هو وأصدقاؤه حفرة وأحرقوا منها
الغريب، وكيف هاجمهم وعرض شخصين منهم وكانوا يصربونها صربات لا
تؤثر فيه فأدركوا عند ذلك أنه من الصعب التخلص من هذا المارق حتى
وصل أحد الأشخاص وأطلق النار عليها فأصابه في فمه فسقطت على
الأرض فنبلة.

كنا نرى أحياناً قطعاً برية ورأيت إحداها بلون سي، نختلف تماماً
عن القطط الأخرى إلا أنه لا أثر للعرلال في هذه المنطقة بل إنما تتواجد
كثيرة على الحدود الإيرانية وهي آخذة بالانقراض هناك أيضاً مع الأسف

لأن الصيادين بظاردونها بالسبارات، عندما يان هذا النوع من الصيد محرم قانوناً. ولكن الموظفين الحكوميين يتفادون عن تطبيق القانون ويعملهم هذا اعتبرهم محرمين

شاهدت مرة، عندما كنت أهدط من قسم جبال كردستان وأنا على ظهر الحيل قطعاً من العرلان، كل قطع بضعة (٥٠) غراًلاً أو أكثر وهنا أيضاً في العراق يتفادون على العرلان كما تفادوا بالأمس على الأسود.

أما نحن فكنا مصطاد الخسارير فقط وهي تنواحد بكثرة بين أحراش أشجار الطرفاء السامة على امتداد مجرى الأنهر، فضلاً عن وجودها بين الأدغال التي يبلع علوها ثلاثة أقدام والتي نعطي الأرض الكائنة بحاوب نهر دجلة. وهذا المكان هو أحسن مكان لصيد الحزير بالرماح. أما أنا فقط أستخدمها بالسديقية لاسي ما كنت أملي الرمح فكنت أطلق النار عليها بالمسدس بيد واحدة والشكيمة باليد الأخرى. وكنت أحد منعة عبد السبر حساً وأنا على ظهر الحصان. وكنت أستخدم كلاهما مصطاد بطريقة أخرى سيراً على الأقدام ومضطرباً إلى كثير من الحزير كنت أفسح في المجال إلى عمارة لبطون النار على الحزير. وكان رامياً ماهراً لا يحطىء هدفه إلا فيما ندر. واكنست شهرة من حراء إصاباته الدقيقة هذه ووضعته في مركز يستعاد منه عند الحاجة

وعندما رجعنا إلى المحر في نهاية شهر حزيران، جاءتنا الأخبار بأن نادی اس عم عمارة قد قتل أحد أولاد رضوي

والفتبل هو أخو حسن اس رضوي الآخر الذي أراد أن يتزوج زوجة نادی وحاول جاهداً مع إتمام عملية الزواج

تذكرت اليوم الذي أمصبنا فيه مع نادی في المعويش قبل ثلاث سنوات. وكيف أن عمارة ذهب في ذلك الوقت لبلنفي مع رضوي حتى يجد طريقة يسوي فيها هذه المشكلة. أما الآن فقد سمكت الدماء. وكان

عمارة قد فض علي، في وقت من الأوقات في أوائل السنة، بأن زوجة بادي قد هجرته وذهبت إلى بيت أسها وهنا في هذه المنطقة، بإمكان الرجل أن يطلق روحه بمجرد أن يقول لها «أنت طالق». فإذا طلق الرجل زوجته بهذه الطريقة، لا يحق له أن يسترد المهر المدفوع.

أما الروجة فليس لها الحق بأن تطلق زوجها بل إنما بإمكانها أن نهرب إلى بيت أبيها ونلتصق بالملاد أو نهرب إلى بيت أخيها ونطلب منه حمايتها. وإذا أصرت الروجة على الفداء وعادت بأن لا تعود إلى بيت زوجها، بلحون، عند ذلك، على الزوج بأن يطلق زوجته بعد أن يعرضوا عليه بأنهم سوف يدفعون له جزءاً من المهر أو كله.

أما في قضية بادي مع زوجته فإنه رفض أن يطلق زوجته حتى لا يتسنى لها أن تتزوج حساً ولأنه المسبب لكل هذه المشاكل ثم عرفت من بعد ذلك بقية القصة



أقام بادي بيته على قبة بالقرب من نهر الوادي مبعداً عنهم حتى لا نحدث له المشاكل. إلا أن أحد أولاد أخيه وقصدها بادي لقتلوه فبحلو الحو له ليتزوج الفتاة التي هو في عرام معها كان بادي كما قلت يسكن بالقرب من قلعة صالح في صربغة على شكل سفينة من الحصران وتتساعد هذه الصرافات الواحدة عن الأخرى.

وهنا لعب الحظ دوره. إذ كان بادي في ذلك الوقت، حارح المنطقة يبحث عن حاموسة مسروقة. فمكث هؤلاء القادمون لقتله محتجبين بتفرون عودته


عاد بادي في اليوم الثالث من عيبته. فتقدم هؤلاء الثلاثة في آخر الليل إلى بيته. عبر أنهم شوهوا فصاح عليهم أحد انحيروا فانلاً «لبش نحن كل يوم بالليل وتندرون على بادي؟ هو ما قتل واحد من أهلكم» ثم

أطلق النار فوق رؤوسهم فولوا هاربين

غير أن كلب بادي خرج من الدار وطاردهم وخرج بادي بتعصف
أنهم، وكان نباح الكلب يرشده إليهم

شاهدتهم جبما وقفوا حتى يشعروا سبكاراً. وسمع صوت حسن وهو
يقول: «حلي برمي كله» وعدها أطلق بادي النار وأخطأ في رمية، فتعرف
الثلاثة وهم يهربون. فأطلق بادي إطلاقاً أخرى سقط على أثرها أحدهم
على الأرض. ولما اقترب من هذا الشخص بعرف إليه وكان حليماً أخا
حسن، فوحده قد حرج في محله وتعرف العظم وقال له بادي: «أنت تريد
دم» هالك الدم» فأطلق النار عليه مصوباً على رأسه فأرداه قتيلاً.

وبعد فترة، التقى حسن بابن أخيه من معد تعرفهم أثناء الهرب وانتظرا
حتى يحصر حليف. لكنه لم يحصر  أدراجهما يبحثان عنه، ثم حثرا
عليه فوحدها قتيلاً فاحتاحا وفورا 

أسرعوا نحو بيت بادي،  فالتفتا فمالة البيت وبادي
حسن متحدياً بادياً بأن يحرج إليهما فأخذ بادي سدفيه في الحال وخرج
بحار محتجباً في ظلام الليل الدامس. وما أراد أي منهم أن يجعل نفسه
فريسة أمام الآخر إذا ما أراد التقدم نحوه وهو بحوص الماء. لذلك، بدأوا
بتراشقون برمي الإطلاقات مصوبين على مكان ومبص الإطلاقة

وقبل حلول المحر، تمكن العريجات المحاورين لبادي من إقناع
حسن بأن يعود أدراجه فائلين بأن الشبح سوف يوقف بادي إن كان لا يزال
في البيت. ثم تأتي الشرطة ونحسه كما تحس بادياً وتطلب منه أن يأتي
أبوه ليسلم نفسه للحكومة لأنه متعم نتهمني قتل. فحمل حسن واس أخيه
حثة المفتول. أما بادي فقد أصيب بحرج سقط له بعده عن العمل،
فمؤص داره عند الصباء الأول وحمل كل حاحبانه في الفارب واحتنى مع
أسرته وحيواناته في مناهات الأهوار. ولا علم أحد بالمكان الذي فصدته.

ولما أحطنا بالقصة بكاملها، بدا الحزن على وجه عمارة. فأردت أن أصرف الهم والحزن عن نفسه مبيهاً له بأن هذا القتل لا يخلف عن أي قتل آخر بين هذه العشائر الذين لا يحصون لأي قانون. وهنا تدخل سبيني وقال: «ما نعرف أن عمارة هو أقرب واحد لسادي وما نعرف أن رسوي وعائلته يريدون حسه قتله».

كنت قد عقدت العزم على تمضية ثلاثة أشهر في منطقة نورستان، وهي منطقة جبلية موحشة غير معروفة تقع على حدود حترال Ghutral وكست على وشك الرحيل خلال عشرة أيام إلى أفغانستان. والآن، علي أن أفعل شيئاً ما بضم سلامة عمارة.

طلت من عمارة أن نذهب إلى قرية الربعية لألنفي بوالده واستصر منه عما إذا كان هو ورثك ابنه الأخير بشعران أنهما في خطر فقال لي «لا، لكن، إذا ما بقدر رسوي من قتل سادي فحنماً يحاول قتل عمارة»

إقترح بأن ألنفي مع الشيخ صاحب الحليفة وأرنب فصيصة العظوة أو الهندنة لعمارة. وقال لي «بإلا تفكر في حليصة عظوة لمدة سنة أشهر فقط، يكون رسوي قد برد وبعدين يمكن أن بقل بالدية» فوافقت على الذهاب لألنفي بالشيخ محبد في الصباح لأرى ما يمكن أن أفعله

كنت أعرف أنه لا يمكن لأي شخص مهما كان معذراً ولا أي سيد مهما كان محترماً أن يسوي مهاتياً عداوة الدم إلا أنه توسع الفالط أو المختار أن يسوي المسألة بين المتخاصمين ويحتم الميثاق بعفده الكوفة على فصيصة ويتناول كل طرف منها إلى جماعة. إن مركزه هذا بنوارته أتاً عن جد حني ولو كان شبعاً حرقاً أو ابنه وأما إذا كان طفلاً فيتولى عند ذلك أقرب الذكور إليه هذا العمل بدلاً عنه

سألت (ثغب) والد عمارة، عما إذا كان من الحكمة أن يصطحب معنا صاحب لكونه فالطاً (مختار فحد من القربحات) حني بدبر الماشحات

لغرض الهدنة على شرط أن يتمكن من الاتصال مع رسولي . فأكد قائلاً بأنه، على أية حال، يمكن التوصل إلى العطوة بواسطة الشيخ أو بواسطة أي شخص آخر دون حضور القائل

أعرت عمارة مدسي، ونصحتني أن يفتي كلاً جيداً يصلح للحراسة، وأن يتدل مكان نومه في البت في كل ليلة

كان عمارة يملك بدفية صيد عيار (٢٧٥) كنت قد أعطينا له قبل سنين مع عدد كبير من العتاد. واشترى عمارة في الأيام الأخيرة بدفية لـ (رشك) مستعملة لكنها جيدة. ولما أردنا الذهاب لسام قال أموه ثقب: «راح انفي أحرس البيت، أما وحل كسر السر أحتاج إلى يوم قليل. أگدر ارناح باليهار». وقال رشك صاحكاً «افتل لسا دثب صاحب واعطنا عيه حتى نجبطها على رأسا. والملي بلس العين ما بنام»

بما نلك اللبلة ولم يحدث أي شيء سمعت من حسن الصعير وبين عمارة أما رشك فم نحابه. وصعدت منجى المحشوة باطلاقة نحاسي كما وضع عمارة بدفيتها نحابه. ~~أما رشك فم نحابه~~ مدخل الباب وبدوية رشك فوق ركبته

كانت والده عمارة المدعوة نافذة في الطرف الأخير من العروة تديدن بصوت هادي، لنسلي نفسها وهي ترتب بعض الأشياء. وكان أصغر الأطفال مشاكساً لذلك حملته أم عمارة وأخذت تداريه بجانب المار

ومن مكاني كان موسمي أن أرى عددًا لا بأس به من الحواميس المرموطة نقات بالبيانات التي جمعها (جلب) لها من الثور على ضوء القمر.

ضغط حسن على يدي كعلامة بأنه مبرور لوجودي معهم ثابتة. وفل هذا كان حسن قد أراني حقيبة الكتب التي كنت قد أعطيتها إياها وفيها دفاتره المدرسية.

والآن، كل شيء يسير بالنسبة لي حسب الأصول في بيت عمارة.
 فأحوه رشك فد مذر بذوراً كثيرة في أراضي كثيرة أكثر من أي وقت آخر،
 وكان فد حصد في السنة الماضية محصولاً جيداً على الرغم من شح المياه.
 ولم يبق ما يؤلمني عبر الفكرة التي ترواؤدي وهي أنه ربما ينسلل شخص ما
 في الظلام الدامس يحمل مدقة حاضرة للرمي، ينتهر الفرصة السامحة ليقتل
 عمارة دون سبب اقترفه. وما لم أرتد لهم (عطوة) لن يهدأ لهم بال
 ويتأثروا مرناحين. وكنت ألاحظ عمارة في هذه الليلة يرفع رأسه من الوسادة
 كل ما سمع ساح كله في الغربة



مركز أبحاث العمارة الإسلامية

٢٥ - سنتي الأخيرة في الأهوار

في وقت مبكر من صباح اليوم الثاني، ذهبت لزيارة الشيخ محبد في داره الحديد الذي بناه بالقرب من المحر. بعثني سيارة مع مسئله الشخصي، ورودي برسالة إلى الشيخ الذي يحل رصوي في أرضه بالقرب من قلعة صالح. ولما وصلته طلب من الشيخ أن يصدق لي هدية لمدة سنة لثقب وأسرته، فقال لي



صانع قارب من الصابئة

«رصوي همه هابح وحبيبي
وكلش عصيان ما أعنفد بواغ
العطوة أندأ وبالناكيد ما راح بواغ
إذا أدخلت يادي وباهم» وفنت له

«يادي مسزول عن نفسي ما
نهمسي فصبينه، أريد عطوة لامرة
نقب»

«راح أبذل كل جهدي لك،
ما أعنفد راح نجمع في ميمنة افق
هنا في المصيف وراح أروح إلى بيت
رصوي مع ممثل الشيخ محبد».

أرسلت سبيني معهم لمثلتي

فأمصوا وفناً لدرحة حمت بهب من أنهم أحفظوا في مهمتهم هذه. وأقوال الفهواني ما كانت مشحعة إذ يقول: «رصوي أمدأ ما يقل بالعطوة. وحلف بيم راح يأخذ دم مقابل دم وافته ما كثر حبر من هديج العائلة».



وأحببوا عادوا وهم يحملون الأخبار بأنه من بعد الإلحاح الكثير، أفلحوا في إقناع رصوي بأن يعطي هدية لمدة سنة أشهر لعمارة وأبيه وأخوته. وما كنت أمل أن أحصل على أكثر من هذا.

وبعد مضي ثلاثة أشهر، أي في شهر أيلول من سنة ١٩٥٦، توفيت لمدة أسوعين في الأهوار وأنا عائد من رحلتي من نورستان. وأمضيت عطلاتي في قرية الربعية وفي حلال رجبين الشهيرة. تزوج عمارة أخت سبيني ولكنه بقي يعيش مع والده كما هي العادة المشعة.

كانت زوجته فتاة رشيدة أهدت، لطيفة، لها عباة سوداوان واسعتان كانت قد حببت نفسها إلى أسرة روحها. إذ كانت هي ومطربة لا يتصلان عن بعضهما البعض.

وبسما كما يراقبها وهي داخلة لحلب الماء من الساقية، قال لي ثغب المعجور في أحد الأيام «الحمد لله، إني تزوج امرأة جيدة. ولولا عطفك ما كان بفكر بنزوح إلا بعد عدة سنوات. أريد أن أشكرك على كل ما فعلته من أخلتنا».



مراكمة كوز وبيع سودى
نصليح لقوارب

كنت منهمكاً بأعمالي فلم أستطع العودة إلى العراق حتى بداية سنة ١٩٥٨. وحيثما قدمت ذهبت إلى البصرة بالطائرة. وبإمكانى أن أرى الأهوار نحننا. وكنت أفكر في موضوع الأشهر السنة القادمة التي بنوفا عليها مصير عمارة وأسرنه

وحالما نزلت من الطائرة وحدث عمارة وسيني ينظران في المطار ونوحها يحوي حيثما دخلت دائرة الكمر ك فأحذا بحصانتي من شدة المرح. ولما سألتهما عن أحوال أسرتهما كما بردان بالحواف المعناد فأنلین «برصولك سلام».

وحدث سيني، الذي تروح خلال عياني عنهم بالمظهر نفسه لم بتعب



عمارة من قفد

منه شيء، لكنني وجدت عمارة قد
تعبير إذ تضيق جسمه كثيراً وأصبح
منحطاً بشكل عريب.

ولما وصلنا إلى القنصلية
البريطانية، أحدي مسيني وأخبرني بأن
والد عمارة وروحه قد نوبا.

سألت في الحال عما إذا كان
رضوي قد قتل نفساً أحاب مسيني
بالقي ثم قال بأنه توفي بأخيه الموعود
في الصيب بعد أن عانى من مرض في
معدته لمدة طويلة وفاسى الأما كثيرة

ومن أقوال عمارة عن الأعراس التي
سبب داء السرطان «لو جئت وياأنا» جان اعطته دواء حتى يروى

الآلم ما أقدر أسوي كل شيء لأنه هو
والدي» وبعد أسوعين من وقاء زائد

عمارة، ذهبت زوجته إلى بيت أبيها
بسبب الولادة حسب العرف الجاري
وأخبرني عمارة بأن والدته كانت ترصعه
مع طفلها الآخر الذي يبلغ من العمر
سنتين. «لكن حبيبها قبل، والحوامير
ما عدها همه حبيب»



صبي من عشيرة الفربعت

وبعد التشاور مع أناس كثيرين في
البصرة حول تغذية هكذا طفل، نصحت
بأن أشتري له كمية من ضمام الأطفال من
نوع فيريكس Farex وأنواع أخرى ولما راخ



وصلنا القرية افنصى مي ان ادل
جهدي لأفع وائدنه حتى نطعم الطفل
هذا العذاء.

فالت لي: «هل الطعام ريس إلى
أولاد الشيوخ. لكر الطعام الصحيح
لأولادنا هو حصر الأرز. وإذا ما كو
حليب نستعمل ماي وشوية طبر من
النهر»

باسين، الشخص الآخر من ندبة زورني

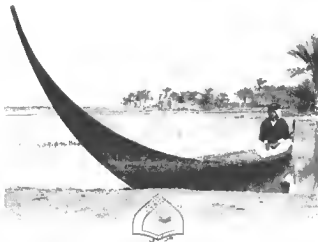
عبر أن أحت عمارة المدعوة
مطرة تطوعت لرعاية الطفل ونعهدت
باطعامه من هذا الطعام مثلما بنا لها
طريقة الاستعمال



مركز تنمية كويت برمج سدي



طرائفي مي المياه الهائجة



بدأ الطفل يسمو ويكبر ويضمن نتيجة لهذا العناء وكان يبدو نصف
ميت حبيما وأبنته لأول مرة وأنا متأكد أنه كاد يبعث لولا استعماله هذا
المعدّي

وفي إحدى المرات، أصابنا الخوف حيث كنا قد خرجنا في طرادتي
ونقبتا مدة شهرين ثم عدنا ووجدنا الطفل يعاني من آلام الاسهال والقيء
الشديد

نأثر عمارة بحالة طفله وأيقنت أنه ميت لا محالة لكسي طمأنته
محفته بإبرة البنسلين ثم رأته في صباح اليوم الثاني معافى وفي أتم صحة.

التحق بنا حسن في قرية يومئذيات ومعه ابن أخيه المدعو كاتر ليجل
محل ياسين الذي بقى مع أسرته في القرية.



مركز تقيت و تحقيقات في علوم و فنون



الشتاء في الاهوار



من أفراد عشيرة السودان

فما بزيارة القرى كلها
كنت أجد الناس يفرحون بقدومي
طبيبا عادونا وراح إلى بلدنا
وقال الكثيرون منهم أحسنا
الله بحفظك.



مع أفراد من عشيرة بني لام



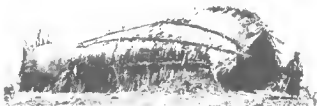
ولادة حسن . عفره - من بيت مكري

صاحب . هسه أنت ويانا هسا . راح
نصير كلش زين .

وكنت أشعر أن هذه
الكلمات هي بمثابة مكافأة كبيرة
لي عما كان بصيصي من تعب
وسخط وإحباط . أما موظفو
الحكومة فإنهم ما زالوا يظنون أنني
جاسوس بريطاني ، ولو أنه كان من
الصعب التصور عن نوع
المعلومات العسكرية التي أكتسبها
في الأهوار غير أن الغربيين
الذين ونفوا بي كانوا يعرفون بأن
وجودي هسا معهم هو
ومساعدتهم إن أمكن .

كانت عداوة الدم لا تزال
مهتد أسرة عمارة . وقد حذرت
عدة مرات بأن رضوي قد تحلى
عن محاولة قتل بادي ويريد أن يقتل عمارة بدلاً عنه .

كانت جماعتنا مسلحة نسبياً جيداً ، وشهرتنا كهدافين قد انتشرت في
كل مكان ، فمن الصعب على رضوي أن يحاول قتل عمارة في الوقت الذي
يكون فيه موبة . ولكنني كنت أحشى ما سيفعلونه من بعد معادرتي الغربية .
كان بادي في أمان لأنه يعيش بين عشيرة المرحوس في العرب . وإذا
ما شوهد رضوي في فريقهم فإنه سيكون عربياً أم عمارة الذي يسكن قرية
الرفيعية التي تبعد مقدار مسيرة ساعة أو ساعتين عن مكان سكى رضوي
فإنه سيصبح هدفاً واهناً له .



سفراء من قرية لوليلي - قسم السكر من المدينة البصري

وبما أسي أيفنت أن رصوني سيصرف صرته إن أجلاً أو عاجلاً ،
 لذلك نصحت عمارة بأن يرحل من هذه القرية ويسكن في سيغال . لكنه
 رفض وقال «ما أريد أحتنى إذا يادى بفضل سنى مع عشيرة العرطوس
 فهذا يعود له أنا . اح اننى هب لأن نقتل قاتلي كلهم هيا ورثك ما هي في
 أرضه عدي سدفة وأنت أعز مني مسامحاً ما أريد مشاكل اهل ثعب
 يربدون يعيشون سلام لكنهم يترقبونكم من غير خوف مني بحث عني أفضله»



في قرية القصور في إحدى السبعين عندما تكون المياه واطنة جداً



الجواميس في قرية أبو ليلي

وفي إحدى المرات ذهب السيد (سرووط) نفسه ليلتقي مصوي
 وبطلب منه أن يضل بالذبة ولكن بآلة جديدة بالمشل، وعدها استشاط
 السيد سرووط غصاً من أعمال مصوي بحيث صيربه بالفضة
 عرمت في آخر الأمر، أن ألقي نفسه مع مصوي وأخبره على إعطاء



راعي الجواميس من ريفه في قرية أبو ليلي



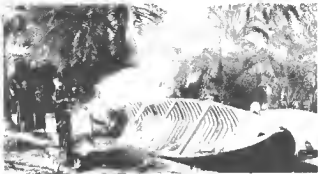
محيم لعشيرة ربيعة من قرية أبو لبلى



مركز تنمية الموارد البشرية



محرقة قطاروى على سدر لحظة بالقرب من العتير



تصليح الملح في الهوير

عمارة وأحونه هدية أمدها سنة واحدة هذه المرة. وسوف نكون هذه المدة مقبولة جداً لديهم لأنني سأعود مرة أخرى إليهم غير أن المشكلة هي العثور على مكان رضوي.



دهما مرتين بحث عنه ولم يفتح في العثور عليه ثم سمعت في نهاية شهر مارس سنة ١٩٥٨ بأنه ينوحد بالقرب من العدير، يسكن على أرض أحد اشيوخ اليومحمد المدعو (شنة).

فصدنا ذلك المكان والقباء بالشيخ (شنة)، وهو رجل طاعن في السن، جالس في مصبته. وبعد الشكليات من التحايا والاستفسار قلت له

«جئت حتى أحصل على عطفة لعمارة من رضوي. أريد أن يحضر إلى هذا المصيف».

صنع المشحوف في الهوير



٣٦١

«وبس هو؟» سأل شنته وهو
بتظاهر بعدم معرفته

«هناك هي البيوت الواقعة على
حافة الأرض الباسية».

استدعى شنته أحد رجاله وقال
له «روح عند رضوي وفل له ناسي
أريده. أحلبه معك» انظروا ونحن
جلوس خارج المصيف فوق الحشيش
نطل المصيف، لأن الجو كان حاراً
حداً

المرحلة الأولى من صنع المشحوف



الحاج حميد



بعد مصي نصف ساعة
الرسول وحده.

«رضوي ما بفل بحبي»
نظرت إلى شنته الذي هز كتفه
وهو يقول «مشوي بعد إذا ما بيريد
بحي؟»

ناجر راح اطرده من أرضي.
ولما لي نأه لا بيريد أن يساعدنا
في هذا الموضوع

«كلش رين» فلتت نعصب
«سبيني. حسن. كاتر. نعالوا معي.
نحن راح نروح وسحبته إلى هنا»
فأخذت ندفقني وبهصت.



سعيد: نثر على الطرقة

بهض شنه سرعة على قدميه
وقال لي «لا نروح صاحب
رصوي موخوش اسان»

«إذا انت ما نحبيه، أنا راح
أجيه» قلت له

«لا أنا وابسي راح نروح
عده. اني انت ورفاك هه»

نوجه شنه بنعه جمع من
أنساعه نحو بيت بقع على مسافه
بعده طال انتظارنا لهما حتى أحد
الليل بفترت. ثم رأياهم قادمين.
ولما أصبحوا قريبين منا قال لي
عمارة بصوت خافت «رصوي سويت
معهم».



طرلني نطوف في بحيرة صحمه

بهضنا ونبادلنا التحايا،
وحلس رصوي وجماعته فمالنا.
وجدته صعبير الجسم، هربلاً، ذا
لحية صعبيرة وذو عنبين نمان عن
القسوة. أمّا ولده حسن فبلغ من
العمر (٢٠) سنة تقربياً، فصير
القائمة، يدين الجسم، فط الطاع.
وكان معه ثمانية أشخاص من
عشيرة القربحجات كلهم عبر
مسلحين ما عدا بالخناحر، وأنا لا



أريد أن أخاطر فوضعت مسدسي فوق
الحصير بحاسي.

«صاحب. هذا هو رسوي» بدأ
سنته بالحديث «ح» لأنه سمع بأنك
تريد أن نتحدث معه».

فقلت له «أريد (عطوة) لمدة سنتين
لعمارة وأخوته وأنا ما بهمي بادي».

«لا أوافق أبداً. ما راح أعطي
عطوة» أحاب رسوي بنور.

«سنتين» كررت القول عليه ولم
أحوّل نظري عنه

«لا أوافق أبداً»

القتال في الأهوار في فصل الصيف



مركز تحقيق وتطوير حقوق الإنسان



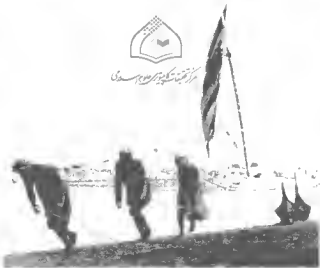
احتفالات الفوج في قرية الرقبة



عشيرة المو محمد في إحدى القرى



مركز تنمية كميّة التعليم



بالقرب من البحر الكبير



لحدى فرى القو محمد على مهر العدل وهو مريح من المحر

نظر كل واحد ما إلى الآخر بصمت .

وأخيراً قال سبني «بحر طائيس عطوة لأهل ثقب قطع»



«لا، ولا لأي أحد، هـ»

كنت أعرف سوانق رضوي فقلت له «اسمع ربي يا رضوي، اسمع



ربي. إما تعطيني عطوة

هسه أو راح أروح باحر

إلى الحكومة أنت

مطلوب من الساس

بنهمني قتل فإذا دخلت

السحر راح تفضي مقية

حباتك في السحر.

وحسن إبتك ساعدك في

الفضل الأحير. راح

يتوقف هو الآخر عن

الكلام بصع لحطات،

عاصفة هوائية بالقرب من الحمار



السوق من العهود على نهر الفرك

ثم وأصلب الفول: أسأعطي مكافأة مائة دينار لتوفيقك. راح يبحث عمك
وعن اسك كل شرط في اللواء وبعد كبر من الناس أيضاً فكر من ناله
عليك! وأنا أعرف الشيء الذي أقول لكم تعبانني وأقسم بما هو أهم من
مراة تقيت شكوكي من حرمي



الاربح يفككون نيونهم للذهب إلى الحصار



اقامة الاقوال



سواء رعد البحر على الأولى

ذلك إذا قنلت عمارة لما أكون في خارج أيدل كل حمدي حتى أناكد
أنك مفنول مهما يكلفني هذا المكنون في كل يوم



الفريجات بسطاطون السعد بالرماح



صديقة

كان عمارة طوال هذا الوقت يجلس في مساحته وهو جالس محاني ومر
من أمامها عدد من النحوايس الواحد وراء الآخر وهي عائدة إلى بيوتها
من الأهوار والشمس بدأت تضيئ المساحات، والسماء محسرة، والمعوض يدور
حولنا محدثاً صوته المعتقد ثم



قارب محفل بالحمران

اعتدلت بحلستني وبعد نصع
لحظات فال أحد الرجال من
جماعة رصوي، له لحية رمادية،
من عشيرة الصريحات، موجهاً
كلامه لرصوي «تعال وياي مرة
حتى نحجي حول هل المسألة»

نهضوا ومشوا مفدار مائة
بارد عما ثم جلسوا كمت أسمع
همهماتهم ثم ارتفع صوت

رصوي بمصعب. حل الظلام وحلب أحد الخدم فابوسا وأمر شنته مان بحلب القهوة وبعد مصي ساعة من الوقت رجعوا إلى أماكسهم ثم بدأ ذلك الشخص نفسه بالكلام وقال

«رصوي إنسان طيب وافق هو واسه على إعطاء أهل ثقب عطوة مدتها سنة واحدة. مو من عادتنا أن عطوي عطوة لمدة أطول أما بالنسة إلى نادي فما راح يعطيه رصوي أي عطوة هسه ولا إلى الأبد».



المعدان في طريقهم إلى السوق

قال شنته لي «صدقه. صانف. يعني شك حبيبته، ليس من عادتنا إعطاء عطوة لغيره نريد على السنة وعدم ننتهي مدة العطوة بميكك نحدددها صدق يا صاحب»

«هل نصم العطوة أنت» أريد أربعة أشخاص من مختلف الفئات «سأرتب ذلك» قال شنته

نشاورت مع جماعتي ثم قلت «ريس بحر موافق». وبعد انتهاء الشكليات عادت جماعة الثريجات ثم أرسل شنته إحصاء العشاء.

كنت على وشك المعادة إلى لندن لأن أمامي مدة سنة أشهر أخرى من العمل المصني لإعداد الكتاب قبل أن نناح لي فرصة العودة مرة أخرى.



في طريق عودتهم إلى الفرات لعرس الحصار

والآن، توسعي أن أذهب وأما مرناح المال على الأقل ولكن ستقطع
أخبار عمارة وأهله عني بعد معادرتي العراف إلى وطني ولن أستطيع
الانفصال بهم لمعرفة أحوالهم

وعندما عزميت على معادرة أعراف ذهبت إلى الصورة لأرتب معاملة
سفري هناك وعندما ذهبت إلى المطار، التفت بعمارة وسبني.

وبما أن الطائرة في منتصف الليل لذلك انتظروا في صدق المطار إلى
حين موعد حركة الطائرة. وشاهدت على الحذار الكائن قبالي نصوباً
مرفقاً لمضيئة طائرة عربية فذمت وجهه طعام لشاب حبيب الحركة وكن
نحت الصورة:

«شوف العالم وآت عني كرسبك».

والآن هيئت الطائرة التي سقطني ودخل القاعة حشد كبير من
المسافرين المعيين وحلوا على عتبة الطائرة بعدما بدأت الطائرة بالنزول
بالتوفود

مركز تحقيق شكوكي

حلب الخادم لهم الكوكا كولا وكان هؤلاء المسافرون قد عادوا
في ذلك الصباح أو قبل ليلة من ناكوك أو من سدي والآن سألتحق بهم
وسأكون في لندن بعد ثمان ساعات وهذا الوقت يكفي للنقل بالمشحوف
من قرية قباب إلى القرية وتناول العشاء مع عشيرة النويحي في الطريق.

بدأت مكبرات الصوت نقل المعلومات عن حركة الطائرة، توسعي
التقاط بعض الكلمات مثل «المسافرون على خطوط شركة الخطوط
الحوية البريطانية فيما وراء البحار، رقم الرحلة. . . روما.
لندن. . . جوارات السمر. نقطة تفتيش حوارات السمر».

كانت هناك حركة داخل القاعة. فهضت من مفعدتي ثم جمعت
حاجباني وقلت لرفافي «الرم أروح هه».

فلبني عمارة وسيني وودعاني ثم قال لي عمارة «إرجع إلينا ولا نطول العبة وأحبينهما فائلاً» وفي السنة القادمة إن شاء الله». تم التحقت بالجميع الوائف الواحد وراء الآخر.

وبعد ثلاثة أسابيع، كنت أتناول الشاي مع أصدقائي في أبرلنده، إذ بأحد الأشخاص بدخل علينا فائلاً «هل سمعتم بأخبار الساعة الرابعة؟ حدث انقلاب في بغداد وقُتلت العائلة المالكة وقتل نوري باشا السعيد رئيس وزراء العراق. والجماهير الحاشدة أحرفت السمارة البريطانية.». أدركت عند ذاك بأنه لن يُسمح لي بالعودة إلى العراق مرة أخرى وأن فصلاً آخر من حباتي قد انتهى



مركز تقييد كميته / مركز

المحتويات

٥	كلمة الناشر
٩	كلمة المؤلف
١٣	١ . لمحة عامة عن أهوار العراق
٢٥	٢ . الرجوع إلى حافة الأهوار
٤١	٣ . صيد الحبرير المرّي
٥٧	٤ . الوصول إلى قرية قناب
٦٩	٥ . الصورة الأولى المطبوعة في دهر المعنك
٧٩	٦ . في دار صياغة صدام
٨٩	٧ . يومقبقات إحدى فرى الأهوار
١٠٩	٨ . عبور الأهوار الوسطية
١٢٩	٩ . في قلب الأهوار
١٤١	١٠ . الحلقة التاريخية للأهوار
١٥٥	١١ . الفوز بكسب الصدافة
١٧١	١٢ . بين عشيرة المرطوس
١٨٣	١٣ . العداوة في الأهوار
١٩٣	١٤ . العودة إلى قناب

- ٢٠٩ . ١٥ . فالح بن محمد الخليفة
- ٢٢٣ . ١٦ . وفاة الشيخ فالح
- ٢٣٥ . ١٧ . مراسم العزاء
- ٢٤٥ . ١٨ . الأهوار الشرقية
- ٢٦١ . ١٩ . بين السودان والسويد
- ٢٧٧ . ٢٠ . عائلة عماره
- ٢٩١ . ٢١ . مصاد سنة ١٩٥٤
- ٣٠٩ . ٢٢ . سنة ١٩٥٥ سنة الحفاف
- ٣٢١ . ٢٣ . البربر والمصاييف
- ٣٣٩ . ٢٤ . عداوة دم عمارة
- ٣٤٩ . ٢٥ . سنتي الأخيرة في الأهوار



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران